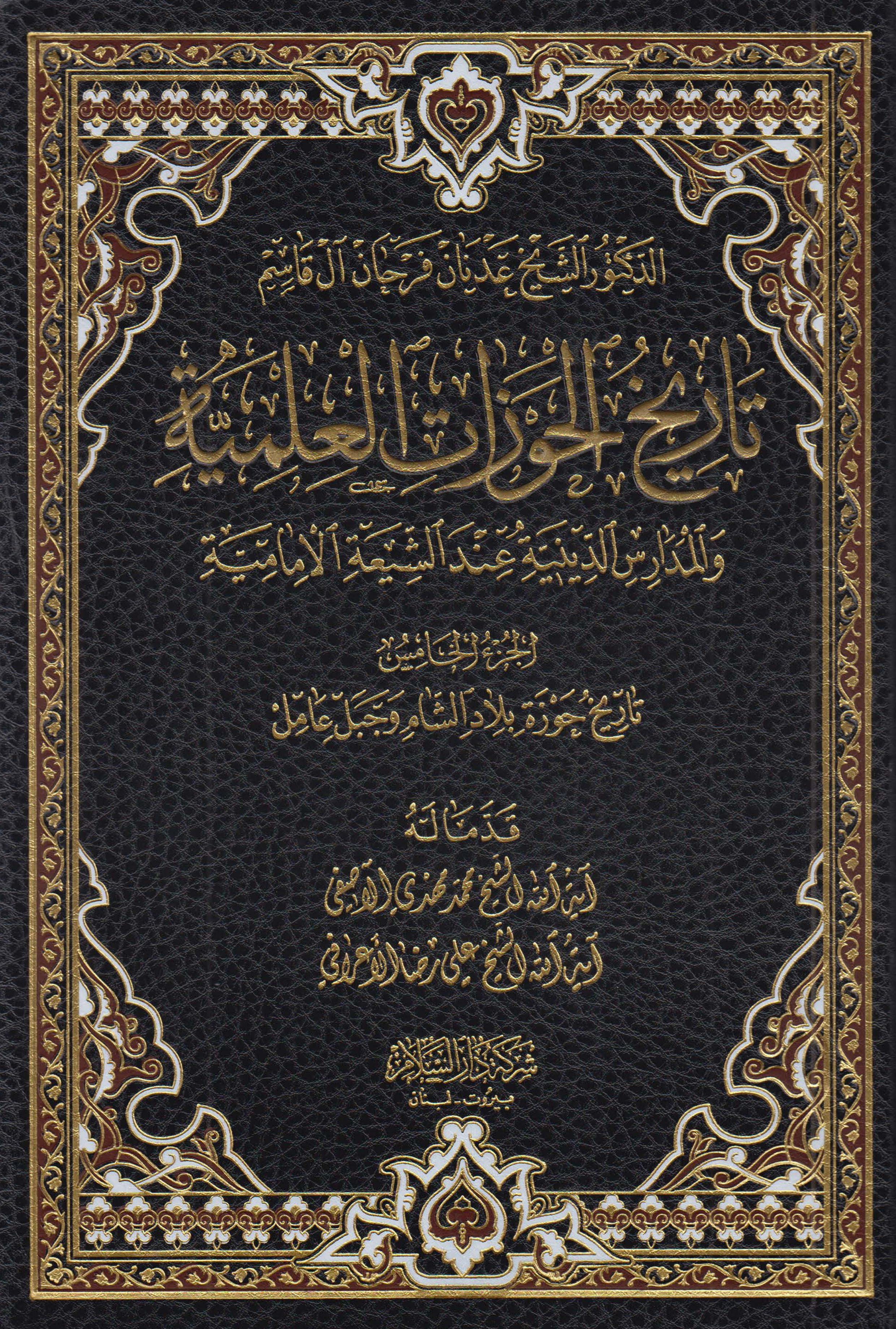
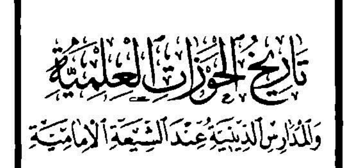

الدكتور الشيخ عدنان فرحان آل قاسم
تاريخ الحوزات العلمية
والمدارس الدينية عند الشيعة الامامية
الجزء الخامس
تاريخ حوزة بلاد الشام وجبل عامل
قدما له
آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي
آية الله الشيخ علي رضا الأعرافي
شركة دار السلام
بيروت - لبنان


تاريخ الحوزات العلمية
والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية
تاريخ حوزة بلاد الشام وجبل عامل





الطبعة الأولى

1436هـ - 2016 م

توزيع



009613210986
009611547698
009647813111272
iraqsms@gmail.com



لبنان : 009611472192 -009613461595
العراق : 009647802150376
E-mail:daralsalamco@hotmail.com

الدكتور الشيخ عدنان فرحان آل قاسم



تاريخ الحوزات العلمية

والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية

بحث تاريخي في نشأة الحوزات العلمية
والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية
منذ نشأتها الأولى حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري

الجزء الخامس

تاريخ حوزة بلاد الشام وجبل عامل

قدما له

آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي — آية الله الشيخ علي رضا الأعرافي


بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ
لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

التوبة: ١٢٢

مقدمة المؤلف

بسم اللّه الرحمن الرحيم

والحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

هذا هو المجلد الخامس من موسوعة «تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية».

ويحتوى هذا المجلد على تاريخ حوزة عريقة من حوزات العلم والجهاد، والتي لها عمق تاريخي وحضاري تليد يمتد إلى صدر الإسلام الأول، وكتبت فصوله بمداد علمائها وجهادهم، وهي حوزة بلاد الشام وجبل عامل.

وقد تعتبر الحوزة العلمية في بلاد الشام وفي جبل عامل تحديدا، من الحوزات العلمية الفرعية؛ إلّا أ نّها من الحوزات المهمة عند الشيعة الإمامية؛ وتأتي أهميتها؛ من خلال أعلام مدرستها من الفقهاء والأُصوليين والمفسرين...؛ وهم جهابذة العلم ولهم دورهم الكبير في نشر العلوم والمعارف الإسلامية وتشييد قواعد مذهب أهل البيت عليهم السلام ونشره في البلاد الإسلامية.

ومن خلال التراث العلمي الذي خلّفته لنا هذه الحوزة المباركة وعبر قرون من الزمن، والذي لا زال يعطي ثماره اليانعة لطلّاب العلم والمعرفة، ولا زالت محافل الدرس وطلّابها يَدرسون ويُدرِّسون هذا التراث العلمي.

ولهذه الحوزة العلمية تاريخ طويل من الجهاد على صعيدي السيف والقلم، وحمل رايتي كلا الجهادين أبناء هذه المنطقة، فكانت ولا زالت مدرسة كبرى للمجاهدين في سبيل اللّه، ومدرسة كبرى لتخريج الفقهاء والمجتهدين والدعاة إلى اللّه والمبلغين، وحملة الفكر والقلم.

وهذا التاريخ الطويل الحافل بالعطاء؛ لا يمكن لنا أن نسبر جميع أغواره، أو نحيط بكل ملابساته، أو أن نؤرخ لجميع أعلامه ـ بعد أن استوعب بعضها المؤلفات الكبيرة ـ فضلاً عن امكانية توثيق جميع تراثه العلمي في حقول العلم والمعرفة المختلفة والتي كُتب فيها الكثير من قِبل علماء هذه الحوزة ومن خارجها.

فالحديث التفصيلي في هذه المحاور وغيرها يحتاج إلى جهود متظافرة ويستوعب أكثر من مؤلف وكتاب.

ولهذا سوف نورد خلاصة عامة موجزة لأهم هذه المحاور وغيرها من الموضوعات التي تسلط الأضواء على معالم هذه الحوزة ضمن سياق تاريخها الطويل.

الدكتور الشيخ

عدنان فرحان القاسم

قم ـ شوال ١٤٣٤ هـ

المصادف ٢٠١٣ م

الحوزة العلمية في بلاد الشام، وجبل عامل

الفصل الأول: الحوزة العلمية في بلاد الشام

المدخل: امتدادات الحوزة العلمية من بغداد إلى بلاد الشام

المبحث الأول: حركة التشيع في بلاد الشام

المبحث الثاني: من أشهر علماء بلاد الشام وجهودهم العلمية

الفصل الثاني: منطلق الحركة العلمية في جبل عامل «حوزة جبل عامل»

المبحث الأول: أوائل العامليين المهاجرين إلى حوزة الحلة العلمية

المبحث الثاني: من أبرز علماء جبل عامل وعطائهم العلمي

١ ـ الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي «نموذجا»

٢ ـ الشهيد الثاني زين الدين العاملي «نموذجا»

المبحث الثالث: الهجرة العاملية إلى الأقطار الإسلامية

الفصل الثالث: المدارس الدينية والحوزات العلمية في جبل عامل

المبحث الأول: الشهيد الأول وتأسيس مدرسة جزين العلمية

المبحث الثاني: مدارس جبل عامل عبر التاريخ

المبحث الثالث: المناهج الدراسية في مدارس جبل عامل

المبحث الرابع: الأوضاع المالية والمعيشية لطلّاب وأساتذة وعلماء جبل عامل

الفصل الرابع: معطيات الحوزة العلمية في جبل عامل

المبحث الأول: من معطيات هجرة علماء جبل عامل إلى إيران

المبحث الثاني: التراث العلمي (الفقهي والأُصولي) لحوزة جبل عامل

المبحث الثالث: من روّاد الإصلاح في حوزة جبل عامل

الخاتمة: تقويم وتلخيص لأهم مفردات البحث

الفصل الأول:

امتدادات الحوزة العلمية من بغداد إلى بلاد الشام

(حلب وطرابلس)

يطلق مصطلح بلاد الشام قديما على الرقعة الجغرافية الممتدة: «من الفرات إلى العريش طولاً، ومن جبلي طيء إلى بحر الروم عرضا»[1]، وهي رقعة واسعة تعرّضت لتغيرات كثيرة خلال شتى المراحل التاريخية التي مرّت بها بلاد الشام، قبل أن تأخذ شكلها الحالي في عام (١٩٢٠م)[2]، ويطلق مصطلح بلاد الشام حاليا ليشمل بلدان، الأُردن وفلسطين وسوريا ولبنان. ولسوريا والأُردن حدود جغرافية مع العراق، كما أن للبنان حدودا جغرافية مشتركة مع سوريا ومن خلالها مع العراق. ولهذا كانت الأحداث السياسية والاجتماعية والمذهبية لها تأثيرها المشترك بين القاطنين في هذه المناطق، والمناطق المجاورة لها، فأنتشر التشيع الإمامي الاثنا عشري في بعض هذه المناطق، منذ ظهور التشيع بمعناه الخاص والذي حمل لواءه خلّص صحابة رسول اللهﷺ، كذلك تأثرت بلاد الشام وخاصة سوريا ولبنان بالحركة العلمية في بغداد وبقيّة المدن العراقية والتي شهدت حضورا علميا زاهرا في أزمنة مختلفة.

فكان للحوزات العلمية الإمامية حضور في بلاد الشام من خلال نشاطات بعض

(١) الاصطخري، المسالك والممالك: ٤٣، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال، القاهرة، ١٩٦١م.

(٢) عثمان ـ هاشم، تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام: ١٢، طبعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

علماء هذه الحوزات، ابتداءً من حوزة بغداد ثمّ حوزة النجف والحلة وغيرها من الحوزات العلمية، وكان أبناء هذه المناطق على اتصال دائم مع هذه الحواضر العلمية ومرجعياتها الدينية.

وفيما يلي بعض الأبحاث التي تسلِّط الأضواء على واقع الحركة المذهبية والعلمية في بلاد الشام.

المبحث الأول: حركة التشيع في بلاد الشام

يؤرخ بعض الباحثين لتاريخ التشيع في بلاد الشام فيقول: «اتفقت الآراء على أنّ أباذر الغفاري، هو الذي نشر التشيع في الشام وجبل عامل»[1].

ولأبي ذر الغفاري مع بلاد الشام قصّة يذكرها المؤرخون باسهاب إذ لم يهاجر إليها إلّا قسرا بعد أن سيره من المدينة الخليفة الثالث عثمان، حيث كان يحرض المسلمين على الخليفة ويندِّد بسياسته وخاصة في جانبها المالي.. وفي الشام لم يلقَ ذلك الترحيب من قبل حاكمها المطلق آنذاك معاوية بن أبي سفيان، إذ لم يسكت أبوذر هذه المرة أيضا، فكان يجلس في المسجد فيتكلم عن الحاكم وسياسته المالية كما كان يتكلم في مسجد رسول اللّهﷺ في المدينة، فضاق معاوية به ذرعا فكتب إلى عثمان «إن كان لك حاجة في الشام فأرسل إلى أبي ذر فقد أوغر قلوب الناس، فكتب إليه عثمان أن احمله على قتب بغير وطاء، فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه ثمّ نفاه إلى الربذة وبقي فيها إلى أن توفي في منفاه سنة (٣٢ هـ)»[2].

---

(١) عثمان ـ هاشم، تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام: ٢٥.

(٢) أُنظر المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٢ / ٣٣٨ ـ ٣٤٠، طبعة دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م، والطبري، التاريخ: ٣ / ٩٢، ١٠٥، طبعة دار الكتاب العربي ـ بغداد، الطبعة الأُولى، (١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م).

والذي يبدو من النصوص التاريخية أن أباذر قد تنقل بين عدّة أماكن في بلاد الشام «وكان يخرج إلى القرى والساحل داعيا إلى موالاة أمير المؤمنين عليعليه السلام»[1]. ولهذا استقطب الكثير من أبناء تلك المناطق الذين كان الكثير منهم يجتمع إليه، ويسمع منه، ويتأثر به، وكيف لا وهو من أوائل أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله، ومن الزهاد العباد، ومن المعارضين للخط الأموي ومن الموالين لخط أهل البيتعليهم السلام.

لم تكن المدة التي قضاها أبوذر في بلاد الشام بالمدة الطويلة؛ إذ يحددها المؤرخون ما بين سنة (٣٠ و ٣٢) من الهجرة، إلّا أ نّها كانت مؤثرة جدا في أبناء المنطقة؛ إذ غرس في قلوبهم بذور التشيع العلوي، الذي أعطى ثماره اليانعة بعد ذلك.

وقد ساهم أيضا في نشر التشيع في بلاد الشام وخاصة في الشريط الساحلي منه عدد من خواص أمير المؤمنين كالأشتر النخعي، وثابت بن قيس الهمداني، وكميل بن زياد، وزيد بن صوحان، وصعصعة بن صوحان.. وغيرهم ممن كانوا في الكوفة يتكلمون في حق عثمان.. فسيروا إلى معاوية في الشام فأنزلهم حمص والساحل..»[2].

وكان لأُولئك النفر الذين لم يتجاوز عددهم «تسعة نفر» بحسب رواية الطبري، تأثير كبير في نشر التشيع في بلاد الشام وخاصة المناطق الساحلية التي حلّوا بها مرغمين، ولهذا كان معاوية يحذرهم ويحذِّر عثمان منهم فيكتب إليه: «بسم اللّه الرحمن الرحيم، لعبد اللّه عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، أ مّا بعد يا أمير المؤمنين، فإنّك بعثت إليّ أقواما يتكلمون بألسنة الشياطين وما يملون عليهم، ويأتون الناس ـ زعموا ـ من قِبل القرآن، فيشبهون على الناس، وليس كل الناس يعلم

---

(١) عثمان ـ هاشم، تاريخ الشيعة: ٢٦ نقلاً عن أبي هلال العسكري في كتابه الأوائل.

(٢) للتوسع أُنظر، الطبري، التاريخ: ٣ / ١٠٠ وما بعدها.

ما يريدون وإنما يريدون فُرقة ويقربون فتنة،... فقد أفسدوا كثيرا من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم، فارددهم إلى مصرهم..؛ فكتب إليه عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردّهم إليه، فلم يكونوا إلّا اطلق ألسنة منهم حين رجعوا، وكتب سعيد إلى عثمان يضج منهم، فكتب عثمان إلى سعيد: أن سيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان أميرا على حمص،.. وسار الأشتر وأصحابه إلى حِمص، فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل، وأجرى عليهم رزقا...»[١].

ومهما يكن من أمر تفاصيل الهجرة القسرية لبعض الصحابة والتابعين من الموالين لعلي وأهل البيت عليهم السلام لبلاد الشام، فإن هجرتهم كانت إحدى العوامل الرئيسية التي ساهمت في ظهور التشيع في هذه البلاد. ويضاف إليها عوامل أُخرى مساعدة لا يسع المجال للدخول في تفاصيلها[٢].

من ذلك نستنتج، أن التشيع قديم في ساحل بلاد الشام، انتشر في نفس الفترة الزمنية التي انتشر فيها في جبل عامل، وكان انتشاره بأيدي كرام بررة، غرسوا غراسه في تربة طيبة نقية، وتعهدوها بالعناية والسهر حتى أصبحت هذه الغراس أشجارا باسقة ممتدة الفروع، ومنتشرة على مد النظر في طول بلاد الشام وعرضها خلال مرحلة زمنية طويلة»[٣].

يضاف إلى ذلك ما تتحدث عنه بعض المراجع التاريخية حول الهجرة القسرية لبعض الشيعة إلى بلاد الشام الساحلية، وسكناهم هناك؛ مما أسهم في نشر التشيع

---

(١) الطبري، التاريخ: ٢ / ١١٤.

(٢) أُنظر، تاريخ الشيعة في بلاد الشام: ٢٨ ـ ٣٠.

(٣) المرجع نفسه: ٣٠.

بين السكان فقد «جاء في الأخبار أن معاوية عندما فتح بلاد الشام وجد مدنها خالية من السكان فخشي غارات الروم عليها، فاستقدم قوما من العجم (الفرس) أسكنهم فيها وفي طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وعرقة، وأسكن فريقا منهم في بعلبك.. والشيعيون الموجودون حتى اليوم في تلك الأماكن وفي غيرها من هذه البلاد هم من نسل أُولئك الأعاجم (الفرس) إلّا من وُجد منهم في جبل عامل فإنهم وطنيون، والعائلات الممتازة في هذا الجبل هم من الأشراف العريقين في القوم»[١].

وتنص المصادر التاريخية وكتب الرحلات على انتشار التشيع في هذه البلاد: «وكانت غالبية سكان بلاد الشام الداخلية والساحلية في القرنين الخامس والسادس الهجريين من الشيعة، وكان يفتى بمذهبهم»[٢].

يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: «وقرأت في رسالة كتبها ابن بُطلان المتطبّب إلى هلال بن محسن بن إبراهيم الصابي في نحو سنة (٤٤٠ هـ) في دولة بني مِرداس فقال: دخلنا مِنَ الرُّصافة إلى حلب.. وفي البلد جامع وست بيع.. والفقهاء يفتون على مذهب الإمامية»[٣].

ووصف الرحالة المعروف ناصر خسرو بعض مدن ساحل بلاد الشام التي زارها سنة (٤٣٨ هـ) فقال عن طرابلس: «وسكان طرابلس كلهم شيعة،.. وقد شيّد الشيعة

---

(١) تاريخ الشيعة في بلاد الشام: ٣٠ عن إبراهيم الأسود في كتابه: تنوير الأذهان في تاريخ لبنان: ٢ / ١٠٢، طبعة مطبعة القديس جاورجيوس ـ بيروت، ١٩٢٧ م.

(٢) تاريخ الشيعة: ٣١.

(٣) الحموي ـ ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ٣ / ١٦٦ مادة حلب، طبعة دار احياء التراث ـ بيروت.

مساجد جميلة في كل البلاد.. وقال عن مدينة صور: ومعظم سكانها شيعة»[1].

كذلك كتب ابن جبير في رحلته الشهيرة عن مدينة دمشق التي زارها في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (٥٨٠ هـ) فقال: «وللشيعة في هذه البلاد أُمور عجيبة، وهم أكثر من السنيين بها، وقد عمروا البلاد بمذاهبهم»[2].

وكذلك كان للشيعة حضورهم الاجتماعي المتميز ونفوذهم الكبير في الأوساط الاجتماعية في حلب وفي غيرها من مدن بلاد الشام، حتى أن ولاة تلك المناطق كانوا يتحاشون التعرّض لهم بأذى، بل كانوا يتجنبون مواجهتهم «وهذا ما تدلنا عليه الحادثة التي رواها ابن شداد وهي أنه لما أراد بدر الدولة أبو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن ارتق ـ صاحب حلب ـ بناء المدرسة الزجاجيّة سنة ستّ عشرة وخمسمائة، لم يمكنه الحلبيون إذ كان الغالب عليهم حينئذٍ التشيع، فكان كلما بني فيها شيء بالنهار خربوه ليلاً إلى أن أعياه ذلك، فأحضر الشريف زهرة بن علي بن محمد بن أبي إبراهيم الاسحاقي الحسيني، والتمس منه أن يباشر بناءها بنفسه ليكف العامة عن هدم ما يبنى فيها، فباشر الشريف البناء ملازما له، حتى فرغ منه»[3].

واستمر الظهور الشيعي المذهبي والسياسي بشكل فاعل ومؤثر في مدن بلاد الشام وخاصة المدن الساحلية منها، وتتوج هذا الحضور الفاعل بتأسيس أمارات سياسية حاكمة كالأمارة التنوخية في اللاذقية وجبلة والتي تأسست سنة (٢٤٩ هـ) واستمرت إلى سنة (٣٦٤ هـ)، كذلك شهدت المنطقة حكم آل عمار القضاة في طرابلس من (٤٦٢ هـ) إلى (٥٠٢ هـ)، وكان للدولة الاسماعيلية حضور فاعل في مدينة مصياف

(١) ناصر خسرو العلوي، سفرنامه: ١١، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥ م.

(٢) ابن جبير، الرحلة: ٢٥٢، طبعة دار صادر ـ بيروت، ١٩٦٤ م.

(٣) عثمان ـ هاشم، تاريخ الشيعة: ٣١ ـ ٣٢.

واستمرت من سنة (٥٣٥ هـ) إلى سنة (٦٧٠ هـ) «وقد لعبت كل إمارة من هذه الإمارات الثلاث، دورا هاما على مسرح الأحداث السياسية في ساحل بلاد الشام إبّان الحروب الصليبية، وكانت مواقف كل منها مدعاة للفخر والاعتزاز على مرّ الأجيال»[1].

ولا يهمنا كثيرا الوقوف عند الأحداث السياسية التي زامنت ظهور هذه الإمارات، بقدر ما يهمنا منها الجانب العلمي، والذي له ارتباط بموضوع بحثنا في تاريخ الحركة العلمية الشيعية والمتمثلة في مدارسها الدينية وحوزاتها العلمية في هذه البلاد.

كما أن المعلومات التي بين أيدينا عن هذه الإمارات قليلة جدا ولا ترسم لنا صورة واضحة المعالم عنها، إلّا أنّها قد تسلط بعض الضوء على بعض الجوانب الإنسانية والعلمية لهذه الإمارات وخاصة إمارة طرابلس والتي كان يحكمها في الفترة من (٤٦٢ هـ) إلى (٥٠٢ هـ) آل عمار، «وهم باجماع المصادر من الشيعة الإمامية على الرغم من قصر عمرها ـ عاشت أربعين سنة تقريبا ـ أنصع صفحة في تاريخ بلاد الشام في القرن الخامس الهجري..»[2].

ومن المآثر العلمية التي تسجَّل لهذه الإمارة تأسيس (دار العلم) بطرابلس، وهي التي أسسها أمين الدولة أبو طالب عبد اللّه بن محمد بن عمار (ت ٤٦٤ هـ) لتكون جامعة شيعية، وجعل فيها ما يزيد على مائة ألف كتاب وقفا..، وكان أمين الدولة من أعقل الناس، وأسدهم رأيا، فقيها على مذهب الشيعة.. كما أنه كان عالما أديبا، ومن مؤلفاته كتاب [ترويح الأرواح ومصباح السرور والأفراح [3]].

(١) عثمان ـ هاشم، تاريخ الشيعة: ٣٤.

(٢) المرجع نفسه: ٤٧ ـ ٤٨.

(٣) المرجع نفسه: ٥٠ عن ديوان ابن الخياط، تحقيق: خليل مردم بك، طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٧ م، وابن شداد، الاعلاق الخطيرة.

وقد ذكر بعض الباحثين لأوجه الحضارة في بلاد الشام هذه المآثر العلمية لبني عمار فقال: «كان بنو عمار من خيرة الحكام، ولهم أياد بيض على العلم والأدب، وكانت مفخرة أعمالهم دار العلم التي انشأوها بطرابلس لتكون جامعة تنشر العلوم والآداب»[1].

ووصف باحث آخر دار العلم بأنها مركز من مراكز التشيع، ومقرٌّ لنشر المذهب[2].

وقال آخر: وكانت طرابلس بفضل دار العلم كعبة للمتعلمين[3].

وكانت (دار العلم) عبارة عن مؤسسة ثقافية فكرية، لها ما للمؤسسات الثقافية من مقومات كالميزانية المالية، والكادر الإداري من النساخ للكتب والمتولين للنظارة على شؤونها.. وغيرها.

يقول أحد الباحثين: «وقد اهتم آل عمار اهتماما كبيرا بدار العلم، ورصدوا لها الأموال الوافرة (وكان جلال الملك يفرق على أهل دار العلم ذهبا تشجيعا لهم) وكان لهم وكلاء يجوبون مختلف الأقطار الإسلامية بحثا عن الكتب النفيسة والمخطوطات النادرة. وكان في مكتبة دار العلم أكثر من مائة وثمانين ناسخا يعملون على نسخ الكتب، وكانت أغلب كتب دار العلم مجلدة ومزخرفة ومحلاة بالذهب والفضة، منسوخة على أيدي أشهر الخطاطين.

وكانت خزائن دار العلم مملوءة بكتب الفرس والعرب واليونان، وبلغ مجموع ما فيها ثلاثة ملايين من المجلدات، منها خمسون ألف نسخة من القرآن الكريم، وثمانون ألف نسخة من كتب التفاسير»[4].

---

(١) كرد علي ـ محمد، خطط الشام: ٤ / ٣٣.

(٢) أسعد طلس، مصر والشام، طبعة دار المعارف بمصر، ١٩٤٥ م.

(٣) تاريخ الشيعة: ٦٦.

(٤) عثمان ـ هاشم، تاريخ الشيعة: ٦٧ عن محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام: ١٣٣.

وأما عن مصير هذه المكتبة وما آلت إليه «فمما يؤسف له، أنّ هذه المكتبة.. أحالها الصليبيون إلى رماد عند احتلالهم طرابلس سنة (٥٠٢ هـ) وكان وراء حرقها أحد القساوسة الصليبيين الحاقدين»[(١)].

وخلاصة الأمر، لقد كان العهد الذي عاشته بعض مناطق بلاد الشام في ظل إمارة آل عمار الشيعية، من أزهر عصور العلم في ذلك العهد «وأن المؤرخين مجمعون على أن طرابلس كان فيها دار حكمة على مثال بيت الحكمة ببغداد، وقد قال الأثري العلّامة فإن برشم في مفكراته: «ازدهرت طرابلس زمن القاضي ابن عمار وقد جعلها مركزا من مراكز التشيع؛ وانشأ فيها بيت حكمة جهزه بمائة ألف مجلد من الكتب، وكان فيها على عهده مدرسة جامعة، ومدارس دينية، وخزائن كتب، وربما كانت طرابلس قبيل استيلاء الصليبيين عليها أول بلدة علمية في الشام»[(٢)].

ويتحدث السيّد الأمين عن مدينة حلب وتشيّعها في أعيانه فيقول: «حلب من أُمهات المدن السورية.. دخلها التشيع قبل عهد الحمدانيين وانتشر وقوي فيها على عهدهم، قال ابن كثير الشامي في تاريخه: «كان مذهب الرفض فيها في أيام سلطنة الأمير سيف الدولة بن حمدان رائجا رواجا تاما..» ثمّ ينقل السيّد الأمين نصوص من رسالة ابن بطلان الطبيب والتي نقلنا فقرات منها عن ياقوت في معجمه والتي يتحدث فيها عن حلب فيقول: «والفقهاء فيها يفتون على مذهب الإمامية» وذلك نحو سنة (٤٤٠ هـ) في دولة بني مرداس.

ثمّ ينقل السيّد الأمين عن ابن كثير في تاريخه في حوادث سنة (٥٧٠ هـ): «إنه لما فرغ بال صلاح الدين الأيوبي من مهمات ولاية مصر توجه نحو بلاد الشام ثمّ جاء إلى حلب ونزل في ظاهرها فاضطرب والي حلب وطلب أهلها إلى ميدان باب العراق

---

(١) حمادة ـ محمد ماهر، المكتبات في الإسلام: ١٣٤.

(٢) كرد علي ـ محمد، مجلة المجمع العلمي بدمشق، المجلد الثاني، ج ٩، ص ٢٧.

وأظهر لهم المحبة واللين وبكى كثيرا ورغبهم في قتال صلاح الدين وتعهد لهم بكل ما يلزم، وشرط الروافض عليه شروطا وهي اعادة الأذان بحَيَّ على خير العمل، وان يقولوها في مساجدهم وأسواقهم، وأن يكون لهم جامع الجانب الشرقي الذي هو الجامع الأعظم، وأن ينادوا بأسماء الأئمة الاثني عشر أمام الجنائز، ويكبروا على الجنازة خمس تكبيرات، وأن يكون أمر عقودهم وأنكحتهم مفوضا إلى الشريفين أبي الطاهر وأبي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني اللذين هما مقتدى شيعة حلب. فقبل الوالي جميع ذلك وأذّنوا في تمام البلد بحَيَّ على خير العمل»[1].

ثمّ ينقل الأمين عن معاصره في كتابه «نهر الذهب» قوله: «لم يزل الشيعة بعد عهد سيف الدولة في تصلبهم حتى حل عصبتهم وأبطل أعمالهم نور الدين الشهيد (٥٤٣ هـ)، ومن ذلك الوقت ضعف أمرهم، غير أنهم ما برحوا يجاهرون بمعتقداتهم إلى حدود (٦٠٠) فأخفوها، ثمّ ذكر أن مصطفى بن يحيى الحلبي الشهير بـ (طه زاده) فتك بهم في حدود الألف فاخفوا أمرهم، وذكر بعض ما كان يفعله الحلبيون مع الشيعة من الأعمال الوحشية والمخازي والقبائح التي سودت وجه الإنسانية، ويخجل القلم عن نقلها، وقد كان في الحجة والبرهان لو كان ما يغني عن الأذى والاضرار والاعمال الوحشية»[2].

وفي مجالس المؤمنين للتستري: «أهل حلب كانوا في الأصل شيعة، وإلى أواخر زمان الخلفاء العباسية كانوا على مذهب الإمامية، والظاهر أنه في زمان انتقال تلك الولاية إلى حكم السلاطين العثمانية أجبروا على ترك مذهبهم»[3].

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١ / ٢٠١، وأنظر ابن كثير في البداية والنهاية: ١٢ / ٣٥٥ ضمن حوادث سنة ٥٧٠ هـ

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١ / ٢٠١.

(٣) المرجع نفسه: ٢٠١ عن التستري، مجالس المؤمنين.

ويلخص لنا السيّد الأمين سبب انقراض التشيع في حلب، فيقول: «وبالجملة فإن سبب انقراض الشيعة من حلب هو ظلم الملوك وجورهم، وتعصب العامة، وابتداؤه أوائل القرن السادس، وشدته في القرن السابع، وتناهيه في أوائل القرن العاشر، ولكن العادة قاضية أنه لابد أن يكون بقي فيها جماعات من الشيعة تحت ستر الخوف والتقية فإما أنهم بقوا على تشيعهم حتى اليوم مستترين أو أخرجهم عن التشيع تعاقب السنين.

وفي نهر الذهب: «إنه لم يزل يوجد في حلب عدة بيوت معلومة، يقذفهم بعض الناس بالرفض والتشيع ويتحامون الزواج معهم، مع أن ظاهرهم على كمال الاستقامة وموافقة مع أهل السنة» فانظر واعجب»[1].

ويلخص لنا أحد الباحثين أسباب أُفول التشيع في حلب وتاريخه فيقول: «وقد بدأ عهد الأُفول ـ للشيعة ـ في سنة (٥٠٢ هـ) بانتهاء حكم آل عمار في طرابلس وجبلة،.. وان عددهم تضاءل كثيرا بسبب الضغوط التي تعرضوا لها، وحملات التصفية التي طالتهم في كل بلاد الشام. فكما هو معلوم، أن جميع الحكومات التي تعاقبت على بلاد الشام بعد انحسار ظل الدولة العباسية ـ سلاجقة، زنكيون، ايوبيون، مماليك، عثمانيون ـ كانت سنية، شديدة العداء للشيعة، في بلاد الشام بعد أن تم القضاء عليهم في مصر..»[2].

لقد تمّ القضاء على التشيع في حلب وطرابلس، وبعض مدن الشام بواسطة سيوف الولاة، وتعصب بعض العامة، وفتاوى بعض العلماء من أمثال ابن تيمية الحراني، والشيخ نوح الدمشقي وأمثالهم[3].

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١ / ٢٠١.

(٢) عثمان ـ هاشم، تاريخ الشيعة: ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٣) للتوسع أُنظر المصدر نفسه: ١٠٨ وما بعدها.

المبحث الثاني: من أشهر علماء بلاد الشام (حلب وطرابلس) وجهودهم العلمية

لقد كان الارتباط وحلقة التواصل بين الشيعة في مدن بلاد الشام (حلب وطرابلس وبعض مدن الساحل) والمركز الرنيسي للحوزة العلمية الشيعية والمتمثل آنذاك بالحاضرة العلمية بغداد، ارتباط وثيق وتواصل مستمر تمثل في مجموعة مراسلات تلك البلاد مع المرجعيات الدينية آنذاك والتي كانت تتمثل في السيّد المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦ هـ) ووصلتنا مجاميع من هذه المراسلات تحت عنوان الرسائل.

يقول أحد الباحثين: «توسعت زعامة المرتضى بعد وفاة المفيد عام (٤١٣ هـ)، واتجهت أنظار الشيعة في البلدان المتاخمة إليه تسأله عن مشكلات المسائل الدينية، وتنتظر أجوبته عليها، وقد تشكلت من ذلك مجموعة كبيرة من الكتابات طُبعت بعنوان «رسائل الشريف المرتضى» وقد حوت هذه الرسائل الاستفتاءات في المسائل الدينية والبحوث الكلامية والفقهية، ومواضيع متعددة أُخرى»[(١)].

وقد عُرفت بعض هذه الرسائل باسم مدن بلاد الشام التي أرسلت منها، من قبيل أجوبة المسائل الصيداوية، وأجوبة المسائل الطرابلسية الأُولى والثانية والثالثة والرابعة، والتي تشتمل على مجموعة من الأسئلة الكثيرة الواردة من طرابلس في دفعات متفرقة إلى السيّد الشريف المرتضى علم الهدى...، وكتب السيّد جواباتها في دفعات..».

وهنالك (جوابات المسائل الصيداوية) للسيّد الشريف المرتضى أيضا[(٢)]، ولم

---

(١) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية: ٢٨.

(٢) الصالحي ـ عبد الحسين، الحوزات العلمية: ١٤٨، والطهراني، الذريعة: ٢ / ٥٣ و ٥ / ١٦١ و ٢٠ / ٢٣٢.

تنقطع المراسلات الفقهية والكلامية بعد وفاة السيّد المرتضى وإنما اشتهرت من خلال المراسلات مع خليفة السيّد المرتضى في مرجعية الشيعة ببغداد الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ).

كما أن كتب الرجال والفهارس قد دوّنت أسماء بعض العلماء ممن ينتسبون إلى بلاد الشام ومدنها، وكانت لهم مراسلات مع السيّد المرتضى والشيخ الطوسي وغيرهما من علماء بغداد، أو ممن وفد على بغداد وتتلمذ على علمائها وتخرّج منها وعاد إلى بلده ليمارس دورهُ العلمي والمرجعي فيها.

يقول أحد الباحثين: «ويبدو أن وجود الدرس الشرعي الإمامي فيها ـ أي بلاد الشام ـ كان في بدئه امتدادا للدرس الشرعي الإمامي في بغداد»[1].

وفيما يلي أسماء أبرز أُولئك الأعلام الشاميين من بلدان حلب وطرابلس وبعض المدن الشامية الأُخرى، عدا مدن جبل عامل والتي سوف نتحدث عن حوزتها العلمية في الفصل اللاحق.

١ ـ آل أبي شعبة:

قال السيّد الأمين في الأعيان: «وينسب إلى حلب من رواة الشيعة الأقدمين آل أبي شعبة في أواسط المائة الثانية، وهم: عبيد اللّه بن علي بن أبي شعبة الحلبي، وأُخوته محمد وعمران وعبد الأعلى وأبوه علي بن أبي شعبة وعمه عمر بن أبي شعبة الحلبي، وابن أخيه أحمد بن عمران بن علي بن أبي شعبة، وهم بيت مذكور في الشيعة، وكان عبيد اللّه كبيرهم ووجههم، صنّف كتابا فيما رواه عن أئمة أهل البيت مشهور وهو أول ما صنّفه الشيعة، وكانوا من أهل الكوفة يتجرون إلى حلب فنسبوا إليها»[2].

---

(١) الفضلي، تاريخ التشريع: ٣٨٥.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١ / ٢٧٨.

٢ ـ الشيخ كردي بن عكبري بن كردي الفارسي:

وصفه سيّد الأعيان بقوله: «الفقيه الثقة الصالح، كان يقول بوجوب الاجتهاد عينا، وعدم جواز التقليد، قرأ على الشيخ الطوسي وبينهما مكاتبات وسؤالات وجوابات»[(١)].

٣ ـ السادات من آل زهرة:

يقول السيّد الأمين: «وكان في حلب سادات آل زهرة، كانوا نقباء وخرج منهم جملة من العلماء منهم: السيّد أبو المكارم حمزة صاحب (الغنية) وقبره بسفح جبل الجوشن إلى اليوم، وذرية بني زهرة الآن يوجدون في الفوعة من قرى حلب، وهم أهل جلالة ومكانة وعندهم كتاب نسب عظيم جليل قديم، عليه خطوط نقباء حلب وعلمائها..»[(٢)].

وقال صاحب الرياض في ترجمة السيّد علي بن زهرة الحسيني العلوي الحلبي؛ وهو والد السيّد ابن زهرة أبي المكارم حمزة بن علي: «وقد كان علي.. هذا من أجلة العلماء بحلب.. ثمّ قال: واعلم أن هذا السيّد وأبوه زهرة وأولاده يحيى وحمزة وفلان، وسائر سلسلته المعروفين، كلهم من أكابر العلماء ببلاد حلب»[(٣)].

٤ ـ الحسين بن أحمد بن محمد بن القطان البغدادي:

ذكره ابن أبي طي في رجال الشيعة وقال: امام عالم فاضل من فقهاء الإمامية، قرأ على الشريف المرتضى وعلى الشيخ المفيد، وقدم حلب سنة (٣٩٠ هـ) فأقرأ في جامعها ثم توجه إلى طرابلس فأقام عند رئيسها أبي طالب محمد بن أحمد، وأقرأ

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١ / ٢٧٨، والطهراني، طبقات أعلام الشيعة: ٢ / ١٤٣.

(٢) المرجع نفسه: ١ / ٢٧٨.

(٣) أفندي ـ عبد الله، رياض العلماء: ٤ / ٩٧.

أولاده، توفي بعد سنة (٤٢٠ هـ)، عرفنا من مؤلفاته كتاب (الشامل)[١] في الفقه أربعة مجلدات[٢].

٥ ـ الحسين بن أحمد بن عياش الحلبي (ت ٥٠٨ هـ):

في لسان الميزان ذكره ابن أبي طي في شيوخ الشيعة وقال: كان فقيها صنّف كتاب (الأنواع والاسجاع) وكتاب (الإمامة)، وأخذ عن العيزاري وغيره، وتفقه عليه جماعة مات سنة (٥٠٨ هـ)[٣].

٦ ـ القاضي سعد الدين، وقيل عز الدين، أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج قاضي طرابلس (ت ٤٨١ هـ):

عبر عنه الطهراني في الطبقات: «وهو القاضي أبو القاسم سعد الدين عزّ المؤمنين، وجه الأصحاب وفقيههم، وكان قاضيا بطرابلس، وله مصنّفات: (المهذّب) و (المعتمد) و (الروضة) و (الجواهر).. كذا ذكره منتجب الدين بن بابويه علي بن عبيد اللّه بن حسكا، وحسكا هو والد المنتجب وتلميذ ابن البرّاج، ومن تلاميذ ابن البرّاج أيضا: المفيد أبو الوفاء عبد الجبار بن عبد اللّه الرازي،.. توفي بطرابلس ودفن في حجرة القاضي.. في تاسع شعبان (٤٨١ هـ)، وذكر في الروضات من تصانيفه: (شرح جمل العلم والعمل) للمرتضى، و (المعالم)، و (المغترب) و (المنهاج)»[٤].

وللقاضي ابن البراج ترجمة واسعة في رياض العلماء للميرزا عبد اللّه أفندي، جاء

---

(١) عثمان ـ هاشم، تاريخ الشيعة: ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) الأمين ـ أعيان الشيعة: ٩ / ٩١.

(٣) المرجع نفسه: ٩ / ٦١.

(٤) الطهراني، الطبقات: ٢ / ١٠٧، والحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ١٥٢ ـ ١٥٣.

في بعض مقاطعها: إنه من غلمان المرتضى.. وله شرح جمل العلم والعمل للمرتضى،.. وهو خليفة الشيخ أبي جعفر (الطوسي) في البلاد الشامية.. وقال بعض العلماء: إن ابن البراج تلميذ الشيخ الطوسي..، وكان للشيخ أبي جعفر الطوسي أيام قراءته على السيّد المرتضى كل شهر اثنا عشر دينارا ولابن البراج كل شهر ثمانية دنانير.

وجاء في ترجمة الرياض عن قول بعض الفضلاء: «ان ابن البراج قرأ على المرتضى في شهور سنة تسع وعشرين وأربعمائة وأقام بها إلى أن مات سنة (٤٨١ هـ) وقد نيف على الثمانين..» وعرف ابن البراج بالقاضي كونه تولى القضاء بطرابلس إحدى مدن ساحل الشام عشرين سنة أو ثلاثين سنة، لدفع الضرر عن نفسه بل وعن غيره أيضا، والتمكن من التصنيف، وقد عمل أكثر الخلق ببركته بطريق الشيعة[١].

٧ ـ الشيخ عز الدين عبد العزيز بن أبي كامل الطرابلسي القاضي:

قال عنه الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل: «كان فاضلاً عالما محققا فقيها عابدا، له كتب منها: المهذب، والكامل، والاشراف، والموجز، والجواهر، يروي عن أبي صلاح وابن البراج وعن الشيخ والمرتضى ﷺ»[٢].

وقال صاحب رياض العلماء: «وهذا الشيخ ليس بالقاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي المشهور، وان اتحدا في أكثر المذكورات والعصر أيضا كما قد يتوهم..»[٣].

---

(١) أفندي ـ عبد الله، رياض العلماء: ٣ / ١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ١٤٩.

(٣) أفندي، رياض العلماء: ٣ / ١٣٥.

وقال البحراني في لؤلؤة البحرين: «قاضي طرابلس، وهو يروي عن القاضي عبد العزيز بن البراج، فيكون توليه القضاء بعد القاضي ابن البراج»[1].

٨ ـ محمد بن عثمان بن الحسن النصيبي (القاضي أبو الحسين):

من مشايخ أبي العباس أحمد بن علي النجاشي (ت ٤٥٠ هـ)، روى عنه في رجاله مكررا.. وجاء في «المستدرك» نقلاً عن «فوائد بحر العلوم» انه ادركه بحلب وقرأ عليه.. ويظهر أن الجعابي محمد بن عمر من مشايخ صاحب الترجمة، كما أنه من مشايخ المفيد أيضا.. ومن مشايخه ابن خالويه صاحب كتاب «الآل»، قال النجاشي: حدّثنا القاضي أبو الحسين النصيبي، قال وقرأته على ابن خالويه بحلب...»[2].

٩ ـ محمد بن علي بن الحسن الحلبي:

أبو جعفر، فقيه صالح، أدرك أبا جعفر الطوسي، وروى عنه وعن ابن البرّاج، وقرأ عليه الإمام ضياء الدين أبو الرضا فضل اللّه الراوندي، والإمام قطب الدين سعيد بن هبة اللّه الراوندي، كذا ذكره منتجب الدين في الفهرست، وجاء في بعض نسخ الفهرست، وفي «فوائد بحر العلوم»: محمد بن علي بن محسن المقرئ الحلبي، وهو الصحيح[3].

١٠ ـ محمد بن هبة اللّه بن جعفر الورّاق:

أبو عبد اللّه الطرابلسي، فقيه ثقة، قرأ على أبي جعفر الطوسي كتبه وتصانيفه.. ذكره منتجب الدين بن بابويه، ولعلّه بقي إلى المائة السادسة.. من آثاره؛ «الواسطة بين

---

(١) البحراني ـ يوسف، لؤلؤة البحرين: ٣٣٦.

(٢) الطهراني، الطبقات: ٢ / ١٦٩.

(٣) المرجع نفسه: ٢ / ١٧٠.

النفي والإثبات»، و «ما لا يسع المكلّف اهماله» و (عمل يوم وليلة) و (الزهرة في أحكام الحج والعمرة) والأنوار، والأُصول والفصول، والمسائل الصيداوية..»[١].

١١ ـ تقي الدين بن نجم الحلبي:

التقي أبو الصلاح فقيه عين ثقة، من تلاميذ الشريف المرتضى والشيخ الطوسي، له «الكافي»، يرويه عنه المفيد عبد الرحمان النيسابوري الرازي.. وله أيضا «البداية» في الفقه و «تقريب المعارف» و «شرح الذخيرة» لأُستاذه المرتضى، ذكر الأول والآخر في «معالم العلماء» وما ذكر تتلمذه على الطوسي، ولكن صرح الطوسي في رجاله، في باب من لم يرو عن واحد من الأئمة، أنه قرأ عليه وعلى المرتضى»[٢].

١٢ ـ علي بن منصور بن تقي الدين أبو الصلاح:

الشيخ أبو الحسن الحلبي، عمل مسألة طويلة في «انتصار القول بالتضييق» والرد على الشيخ أبي علي الحسن بن طاهر الصوري القائل بالمواسعة، كما ذكره الشهيد في «غاية المراد في شرح نكت الارشاد» في مبحث قضاء الفوائت[٣].

وهنالك أسماء كثيرة لعلماء شيعة ينتسبون إلى البلاد الشامية، ذكرهم بعض الكتّاب في كتبهم لا يسع المجال لذكرهم[٤].

---

(١) الطهراني، الطبقات: ٢ / ١٨٩.

(٢) المرجع نفسه: ٢ / ٢٠٧، والطوسي، الرجال: ٤١٧.

(٣) المرجع نفسه: ٣ / ٢٠٧.

(٤) أُنظر: الشيخ إبراهيم نصر اللّه في كتابه: حلب والتشيع: ١٣١ وما بعدها، طبعة مؤسسة الوفاء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

*** حاضر الحوزة العلمية في بلاد الشام:**

رغم أن التشيع انحصر وتلاشى شيئا فشيئا عن بلاد الشام حتى اضمحل واختفى من مدنها الكبيرة كحلب وطرابلس ودمشق، وفرضت على أهالي هذه المدن المذهب الحنفي والشافعي وبنيت لهذين المذهبين المدارس والمعاهد الدينية وأوقفت لها الأوقاف.. بالاضافة إلى التعصبات المذهبية وحلول الفتن...

إلّا أنّ هذا لم يمنع من مواصلة بعض علماء الشيعة نشاطهم في هذه البلاد وخاصة في العقود الأخيرة، وبالخصوص بعد أن أصبح للتشيع دولة إسلامية بانتصار الجمهورية الإسلامية وتجاوب حكام بلاد الشام ـ نسبيا ـ مع هذه الدولة المباركة، فظهر خلال هذه الفترة نهضة علمية شيعية تمثل في حضور علماني وانشاء مدارس علمية، بالاضافة إلى تشييد المساجد والحسينيات في بعض المدن والقرى بالاضافة إلى تعمير بعض المشاهد المنسوبة لأهل البيت عليهم السلام كالمرقد المنسوب للسيّدة زينب بنت الإمام علي عليه السلام، ومرقد السيّدة رقية بنت الحسين عليه السلام، والمشاهد الأُخرى في حلب وغيرها، بالاضافة إلى تعمير قبور الصحابة كقبر حجر بن عدي وعمار بن ياسر، وأويس القرني...

ومن المدارس التي يمكن الاشارة إليها في مدينة دمشق:

١ ـ الحوزة العلمية الزينبية:

أسسها آية اللّه السيّد حسن الشيرازي (استشهد سنة ١٤٠٠ هـ في بيروت) مع مجموعة من العلماء في حي السيّدة زينب عليها السلام في ريف دمشق سنة (١٣٩٠ هـ)، وقد بذل المؤسس رحمه الله جهوده في التأسيس والتشييد والبناء، وواصلت هذه الحوزة مسيرتها

بعد استشهاده ولا زالت قائمة إلى يومنا هذا..[1].

٢ ـ مدرسة الإمام الخميني:

أسسها السيّد أحمد الفهري عام (١٤٠٣ هـ) ثمّ سلمها إلى منظمة الحوزات والمدارس الدينية، وهي الآن ضمن مدارس وحوزات جامعة المصطفى العالمية وتحظى برعايتها المالية والعلمية والإدارية ولا زالت هذه المدرسة قائمة ولها فرع نسائي يحمل نفس الاسم تأسست سنة (١٤١٧ هـ).

٣ ـ مدرسة المرتضى:

أسسها سماحة آية اللّه السيّد محمد حسين فضل اللّه سنة (١٤١٣ هـ) وبقيت برعايته وتوليته إلى ما بعد وفاته في عام (١٤٣٠ هـ) ولا زالت هذه المدرسة مستمرة برعاية مؤسسات السيّد وتولية ولده الأكبر السيّد علي فضل اللّه.

وهنالك مدارس أُخرى تأسست خلال هذه الفترة منها: مدرسة القائم للسيّد محمد تقي المدرسي، ومدرسة أهل البيت للسيّد محمد الموسوي، ومدرسة أهل البيت النموذجية للسيّد صادق الحكيم، ومدرسة المصطفى للشيخ جمال الوكيل، ومدرسة الخاقاني للشيخ محمد الخاقاني..[2].

---

(١) للتوسع أُنظر، عبد الحسين الصالحي، الحوزات العلمية في الأقطار الإسلامية: ١٨٩ وما بعدها.

(٢) المرجع نفسه: ١٩٨.

الفصل الثاني:
منطلق الحياة العلمية في جبل عامل
وتاريخها الثقافي والفكري

المدخل

قبل الدخول في تفاصيل مباحث الحوزة العلمية في جبل عامل لابد لنا من الاشارة إلى جغرافية المنطقة، وتاريخ التشيع فيها، ثمّ نتحدث عن منطلق الحركة العلمية في هذه المنطقة؛ الصغيرة في مساحتها، والواسعة في عطائها العلمي والفكري والثقافي، والحافلة بالعلم والعلماء والفضلاء.

يقول السيّد الأمين في الأعيان: «جبل عامل؛ أو جبل عاملة، وهو عاملة بن سبأ الذي تفرق أولاده لما أرسل اللّه عليهم سيل العرم ـ كما أخبر عنه القرآن الكريم ـ في البلاد، فهبط (عاملة) هذه الجبال وسكنها وبقيت ذريته فيها.. ويسمى أيضا جبل الجليل أو جبل الخليل. وهو اسم لصقع واسع يتراوح عرضه بين ستة فراسخ وثمانية أو أكثر، وطوله نحو اثني عشر فرسخا مشتمل على عدّة قرى ومدن، وكله معمور ليس فيه خراب. ويحده غربا: البحر المتوسط، وشرقا: الحولة ووادي التيم والبقاع وبعض جبل لبنان، وجنوبا فلسطين»[١].

وأما عن تاريخ التشيع في هذه المنطقة فيقول الحر العاملي في أمل الآمل: «ان تشيعهم أقدم من تشيع غيرهم.. وإنه لم يسبق أهل جبل عامل إلى التشيع إلّا جماعة محصورون من أهل المدينة، وقد كان أيضا في مكة والطائف واليمن والعراق والعجم

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١ / ٢٨٤.

شيعة قليلون، وكان أكثر الشيعة في ذلك الوقت أهل جبل عامل»[1].

ويوافقه في هذا الرأي السيّد الأمين في الأعيان فيقول: «وإذا صح أن تشيع أهله من عهد أبي ذر صاحب رسول اللّهﷺ كما يدل عليه النقل المشهور المأخوذ يدا عن يدٍ، ووجود مساجد فيه تنسب إلى أبي ذر؛ فأهله أقدم الناس في التشيع لم يسبقهم إليه إلّا بعض أهل المدينة، ومرَّ في طرفه ناصر خسرو الرحالة الفارسي المعروف سنة (٤٣٧ هـ)» فقال عن صور: «إنَّ أكثر أهلها شيعة» مع أنها كانت معروفة في القديم بالتسنن. وهو مشتمل على قرى وبلدان كثيرة تنبو عن الحصر كل أهلها شيعة امامية إلّا ما ندر..»[2].

وأما تاريخ الحركة العلمية في جبل عامل، فليس لدينا معطيات تاريخية محددة لنعرف من خلالها البدايات والأدوار الرئيسية للحركة العلمية فيها، «وللأسف فإنّ عدم اهتمام الماضين بتسجيل الوقائع التاريخية، وتلفَ ما سجّل منها قد جعلنا لا نرى تاريخا واضحا أمينا ناطقا يشيرُ إلى ماضي الحوزة الشيعية، في جبل عامل»[3].

وقد حاول بعض الباحثين أن يحدد مرحلة التكون للحياة الفكرية في جبل عامل بنهاية القرن الثاني حتى السادس الهجري.. ثمّ يأتي بعدها مرحلة الانطلاق أو النهضة الأُولى، وهي المرحلة التي يقول عنها: «أصبحت الحياة الثقافية في جبل عامل قادرة على العطاء.. في مجالات العلوم والمعارف المختلفة التي تأسست لأول مرة في جبل

---

(١) الحر العاملي ـ محمد بن الحسن، أمل الآمل: ١ / ١٣، وأُنظر: الفقيه ـ محمد تقي، جبل عامل في التاريخ: ١٥ وما بعدها، طبعة دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦ م.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١ / ٢٨٤.

(٣) الصالحي ـ عبد الحسين، الحوزات العلمية: ١٤٧.

عامل بأُصولها الإمامية الواضحة»[1]. إلّا أنّه تحديد لا يستند إلى معطيات واضحة.

إلّا أن السيّد الأمين يقول: «وكثرت فيه ـ أي جبل عامل ـ العلماء من القرن السادس إلى اليوم، أما قبل ذلك فحالته العلمية مجهولة»[2] وهذا التحديد أقرب للواقع.

ومن المؤكد أن هذه المنطقة لم تكن تخلو بالكامل من وجود بعض العلماء؛ وهي على اتصال وثيق بالحركة العلمية في حلب وطرابلس في ظل دولة آل عمار، كما: «ان العامليين كانوا على اتصال وثيق بالمرجعية منذ عصر السيّد المرتضى، ولعل أبرز شاهد على ذلك هو أسئلة وردت عليه من جبل عامل تعرف بـ(المسائل الصيداوية). وقد أقام الشيخ أبو الفتح الكراجكي ـ أحد أبرز تلامذة الشيخ المفيد والسيّد المرتضى ـ في جبل عامل ونسب إلى صيدا من ولايات الجبل»[3].

والكراجكي هو: أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان المتوفى عام (٤٤٩ هـ) صاحب كتاب (كنز الفوائد) و (نهج البيان) و (عدّة البصير) و (التعجب) و (النوادر)[4].

ترجم له الشيخ الطهراني ترجمة واسعة في طبقات أعلام الشيعة في القرن الخامس، كما ذكر مُشجر لمشيخته وهم كثرة من علماء عصره كالمفيد والمرتضى، والطوسي ـ بحسب قول السيّد بحر العلوم في الفوائد ـ وغيرهم.

---

(١) مكي ـ محمد كاظم، منطلق الحياة الثقافية في جبل عامل: ١٠٦ ـ ١٠٧، طبعة دار الزهراء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١ / ٢٨٤.

(٣) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٦.

(٤) الطهراني، الذريعة: ١٥ / ٢٢٧، والطبقات: ٢ / ١٧٧.

ثمّ نقل أقوال بعض المترجمين له، فنقل بعضهم ما لفظه: «ذكر الكراجكي في كتاب (الفهرست) أ نّه صنّف مائتين وعشرين كتابا بقم والري».. وفي شذرات الذهب: «أبو الفتح الكراجكي الخيمي محمد بن علي مات بصور في ربيع الآخر (٤٤٩ هـ) رأس الشيعة وصاحب التصانيف، من كبار أصحاب السيّد المرتضى، كان نحويا لغويا منجّما طبيبا متكلما متفننا»[١].

والكراجكي، واسطي المولد، ومن قرية كراجك الواقعة على باب واسط، بحسب ما نقل عن السمعاني[٢]؛ وصيداوي الوفاة والمدفن، فعرف بـ (الصيداوي).

ويقول عنه الخوانساري: «إنه كان سائحا في البلاد، وغالبا في طلب الفقه والحديث والأدب وغيرها.. واشتهر وصفه في الاجازات بنزيل الرّملة أو الرملة البيضاء..»[٣].

ومهما يكن من أمر فلا يمكن تحديد البدايات للحركة العلمية في جبل عامل بدقة، إلّا أنه لا يمكن نفي وجود حركة علمية ناشئة قبل القرن السادس الهجري «فلم يكن الجبل العاملي واحة في صحراء، بل كان جزءا من بلاد الشام، فتأثر في مجال الثقافة بمحيطه في الساحل اللبناني، وفي الداخل، وبالمدن السورية الكبرى، عملاً بمبدأ المحاكاة والتآخذ، فقد شهدت هذه الحواضر حياة ثقافية انتقل أثرها إلى الجبل العاملي»[٤].

وقد شهدت منطقة جبل عامل بقراها وبلدانها المتعددة وعبر تاريخها العلمي

---

(١) الطهراني، الذريعة: ٢ / ١٧٩.

(٢) المرجع نفسه: ٢ / ١٧٩، وأُنظر، مراصد الاطلاع: ٣ / ١١٥٣.

(٣) الخوانساري، روضات الجنات:: ٦ / ٢١٣.

(٤) مكي ـ محمد كاظم، منطلق الحياة الثقافية: ٨٥.

حركة علمية متصاعدة، وخَرّجت أفواجا من الفقهاء، ينقل السيّد الأمين عن القاضي نور اللّه التستري في كتابه (مجالس المؤمنين) قوله: «جبل عامل ولاية من أعمال الشام معمور مشهور.. وبالجملة؛ تجلي أنوار الرحمة الإلهية شامل لأهل جبل عامل، ونور المحبة من نواصي ايمانهم ظاهر، ولا يوجد قرية من قراه لم يخرج منها جماعة من الفقهاء والفضلاء الإمامية، وجميع أهله من الخواص والعوام والوضيع والشريف يجدِّون في تعليم وتعلم المسائل الاعتقادية والأحكام الفرعية على طبق مذهب الإمامية»[1].

وينقل الحر العاملي في مقدّمة كتابه أمل الآمل ما سمعه من بعض مشايخه حول الحركة العلمية النامية في جبل عامل فيقول: «وقد سمعت من بعض مشايخنا أنه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مجتهدا في عصر الشهيد وما قاربه، وستعرف ـ إن شاء اللّه ـ ان عدد علمائهم يقارب خُمس عدد علماء المتأخرين، وكذا مؤلفاتهم بالنسبة إلى مؤلفات الباقين، مع أن بلادهم بالنسبة إلى باقي البلدان أقل من عشر العشر ـ أعني جزء من مائة جزء من البلدان ـ فظهر ما قلناه»[2].

وقد حاول الشيخ الحر العاملي أن يستوعب تراجم علماء جبل عامل في كتابه (أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل) فجمع تراجم لأكثر من مائتين من علمائها وفضلائها، معترفا بأنه «لم يطلع على الجميع ولا على مؤلفاتهم كلها»[3]، ولهذا فاته تراجم الكثير منهم مما دعى البعض إلى كتابة تكملة للكتاب، واستدراكا لما فات الشيخ الحر من تراجم.

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ١ / ٢٨٤ عن مجالس المؤمنين: ٣١.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٥ مقدمة المؤلف.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ١٥.

نقل السيّد حسن الصدر في كتابه تكملة أمل الآمل، في ترجمته للشيخ شمس الدين محمد قول صاحب البحار في الاجازات وتعجبه من الشيخ الحر «كيف غفل عن ذكر مثل هذا الشيخ الجليل مع انه من اجلاء سلفه..» فعقب السيّد الصدر على ذلك وقال: قلتُ: «ولا عجب فقد غفل عن مائة أمثاله كما يظهر من كتابنا هذا، فلاحظ»[1].

وأما المدن والقرى ومراكز الثقافة في جبل عامل، فسوف نتحدث عنها ضمن حديثنا عن المدارس الدينية في هذه المدن والقرى.

المبحث الأول: أوائل العامليين المهاجرين إلى الحلة لتحصيل العلوم الإسلامية:

ليس بين أيدينا ما يشير إلى هجرة العامليين إلى حوزة بغداد العلمية زمن زعامتها ومرجعيتها العلمية؛ والتي امتدت لما يقارب ثلاثة قرون من الزمن، واختتمت بأقطابها الثلاثة (المفيد، والمرتضى، والطوسي)، وأفلت بهجرة الشيخ الطوسي من بغداد سنة (٤٤٨ هـ)؛ وإنما بدأ التواصل مع منطقة جبل عامل زمن السيّد المرتضى من خلال رسائله وأجوبته؛ ومن خلال تلميذه أبي الفتح الكراجكي الذي هاجر واستوطن ومات في هذه المنطقة ـ كما أسلفنا ـ

وكانت مدرسة الحلة العلمية ـ وهي وريثة بغداد في زعامتها العلمية ـ الوجهة التي شهدت هجرة بعض العامليين الأوائل من منطقة جبل عامل إليها وشدَّ إليها الرحال من هذه المنطقة في عصر ازدهارها العلمي.

«ويبدو أن الوشائج بين الحلة وجبل عامل تسبق عصر النهضة العلمية في جبل

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٣٦٤.

عامل، وأسبق هجرة إلى الحلة كانت في زمن رائد المدرسة وزعيمها آنذاك المحقق الحلي، ثمّ أَخذت الهجرة تتزايد شينا فشينا خصوصا على زمن فخر المحققين»[1].

يقول أحد الباحثين: «ولم تزدهر الشام مركزا علميا رئيسيا إلّا في القرون من السابع إلى العاشر الهجرية، متأثرة بمركز الحلة العلمي حيث ايفاد الطلّاب إليه، وايفاده العلماء إليها.

يقول الدكتور (مكي) في كتابه (منطلق الحياة الثقافية في جبل عامل): «وبين القرنين (٧ ـ ١٠ هـ) عدد كبير من العامليين قصدوا الحلة لأخذ العلوم الدينية، والتعمق فيها، ثمّ العودة إلى جبل عامل، للتوجيه والتثقيف، منهم: ابن مشرف العاملي جد الشهيد الثاني وتلميذ المحقق الحلي، ويوسف بن حاتم الشامي، وابن حسام العاملي، والشهيد الأول العاملي، الذين أخذوا اجازاتهم الفقهية من العلّامة الحلّي، ومن ولده فخر المحققين.

ويضيف هذا الباحث: «وان نفرا من علماء الحلة قصدوا جبل عامل لنشر العلوم الفقهية والمعارف العقائدية، وللاستزادة علما، منهم: أحمد بن فهد الحلي (ت ٨٤١ هـ)، وقد درس على ابن الشهيد الأول في جزّين»[2].

وقد تحدثنا عن بعض العلماء العامليين المهاجرين إلى الحلة عند الحديث عن حوزتها واعلامها، وزعامتها للحركة العلمية الشيعة، وأرجأنا الحديث عن أبرز وأشهر العلماء المهاجرين إليها وهما (الشهيدان الأول والثاني) اللذان «كان لهما دورهما في تطوير حركة الفقه الإمامي بما أضافاه إلى المكتبة الفقهية الإمامية من مؤلفات قيمة

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١١٨.

(٢) الفضلي ـ عبد الهادي، تاريخ التشريع: ٣٨٧، ومكي ـ محمد كاظم، منطلق الحياة الثانية في جبل عامل: ٩٤.

متنا واستدلالاً، فـ (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) الكتاب الفقهي الشهير الذي هو من تأليفهما لا يزال إلى اليوم مقررا دراسيا في الحوزات العلمية الإمامية»[1].

وفيما يلي بعض الفصول المختصرة عن حياة الشهيدين العامليين:

١ ـ الشهيد الأول؛ هو: أبو عبد اللّه محمد بن مكي بن محمد بن حامد الجزيني العاملي الدمشقي المستشهد سنة (٧٨٦ هـ):

له ترجمة واسعة في كتب التراجم والسير لا يمكن لنا استيعابها في هذا المختصر، نقتطف منها بعض القطوف الدانية لنرسم صورة لها معالمها العلمية والعملية والجهادية.

قال عنه الحر العاملي: «كان عالما ماهرا فقيها محدثا مدققا متبحرا كاملاً جامعا لفنون العقليات والنقليات، زاهدا عابدا ورعا شاعرا أديبا منشئا، فريد دهره، عديم النظير في زمانه.

روى عن الشيخ فخر الدين محمد بن العلّامة، وعن جماعة كثيرين من علماء الخاصة والعامة، وذكر في بعض اجازاته أنه روى مصنّفات العامة عن نحو أربعين شيخا من علمائهم.. له كتب، منها...»[2].

ولم يرض السيّد حسن الصدر عن الترجمة المقتضبة التي ذكرها الحر العاملي للشهيد الأول فقال عنها، إنه: «ذكره في الأصل، ولم يستوف تواريخه ولا ترجمته»[3]، فذكر له ترجمة وافية استدرك فيها ما فات صاحب الأمل.

---

(١) الفضلي، المرجع نفسه: ٣٨٧.

(٢) الحر العاملي ـ محمد بن الحسن، أمل الآمل: ١ / ١٨١.

(٣) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٣٦٥ وما بعدها.

ومن جميل عبارات الثناء على الشهيد الأول ما نقله المجلسي في اجازات البحار عن أُستاذ الشهيد ومعلمه فخر المحققين والتي كتبها على ظهر نسخة القواعد بعد قراءة الشهيد جاء فيها: «قرأ عليَّ مولانا الإمام العلّامة الأعظم أفضل علماء العالم سيّد فضلاء بني آدم مولانا شمس الحق والدين محمد بن مكي بن حامد ـ ادام اللّه أيامه ـ من هذا الكتاب مشكلاته.. وأجزت له رواية جميع كتب والدي»[1].

وهنالك شهادات عظيمة أُخرى بحق الشهيد الأول صدرت عن أساطين العلماء والمحققين لا يسع المجال لذكرها، وإنما نتوقف عند بعض مقاطعها ضمن محطات حياة الشهيد الأول وضمن نقاط محددة:

أولاً: رحلته العلمية:

لقد بدأ الشهيد رحلته العلمية مع بواكير حياته حيث ولد (رضوان اللّه عليه) في (جزين) احدى قرى جبل عامل في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، وارتحل إلى العراق أوان بلوغه وهو ابن ست عشرة سنة.. ومدة بقائه في العراق خمس سنين، فرجع إلى بلاده وهو ابن إحدى وعشرين.. واستشهد في سنة ست وثمانين وسبعمائة، فيكون عمره حينئذٍ اثنتين وخمسين سنة»[2].

فيعتبر الشهيد الأول أكبر فقيه عاملي نقل فكر مدرسة الحلة إلى بلاد الشام بعد أكثر من خمس سنوات من تلمذته على يد زعيم الإمامية فخر المحققين ابن العلّامة الحلّي..»[3].

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٣٦٧ عن المجلسي في بحار الأنوار: ١٠٧ / ١٧٨.

(٢) المرجع نفسه: ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

(٣) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ١٦٣.

إنه لعمر قصير في حركة الزمن، إلّا أنّه عمر حافل بالعطاء، ورحلة عملية سار فيها الشهيد﵀ سيرا حثيثا كادحا، ففتح اللّه سبحانه على يديه آفاق المعارف والعلوم، فهو ـ كما يصفه السيّد الصدر ـ من آيات اللّه الباهرة، لأنّ آثاره العلمية الباقية في فنون الشريعة يعجز عنها الفحول المعمرون من المحققين، فهو ممن اختاره اللّه لاحياء الدين، وتكميل شريعة سيّد المرسلين»[1].

ويتوقف السيّد الصدر عند عبارة فخر المحققين في اجازته للشهيد والتي جاء فيها: «أفضل علماء العالم سيّد فضلاء بني آدم» فيقول معقبا: «وقد عرفت ان سِنَهُ يوم أجازه أولاً سبع عشرة سنة، ويوم أجازه أخيرا إحدى وعشرين، وهي سنة رجوعه إلى بلاده وهذا مما يبهر العقول عند التأمل، أن يكون في هذا السن أفضل علماء العالم وسيّد فضلاء بني آدم»[2].

لقد بدأت الرحلة العلمية للشهيد الأول من مسقط رأسه (جزين) التي تلقى فيها المراحل الأُولى من نشأته الفكرية، ومنها شد الرحال ـ وهو في أوان بلوغه ـ إلى العراق، فطاف في مدنها: (الحلة) و (كربلاء) و (بغداد) لتلقي العلم والافادة على يد أساطين علمائها، ثمّ انطلق منها إلى (مكة) و (المدينة المنورة) و (الشام) و (القدس)، فعاش وجوها مختلفة من الفكر، وتفاعل مع الاتجاهات الفكرية المتضاربة[3]، وهذا ما يظهر من قوله في اجازته لابن الخازن: «وأما مصنفات العامة ومروياتهم، فإني اورويها من نحو من أربعين شيخا من علمائهم بمكة، والمدينة، ودار السلام بغداد، ومصر، ودمشق، وبيت المقدس، ومقام الخليل ابراهيم﵇ وذكر في بعض كلماته أن

---

(١) الصدر، تكملة أمل الآمل: ٣٦٦.

(٢) المرجع نفسه: ٣٦٧.

(٣) الآصفي، مقدمة اللمعة الدمشقية: ١ / ٨٢.

طرقه إلى الأئمة المعصومين(ع) ما يزيد على ألف طريق»[1].

يقول الشيخ القمي في الكنى والألقاب عند ترجمة الشهيد الأول: «ومن تأمل في طرق اجازات علمائنا ـ على كثرتها وتشتتها ـ وجدها جلّها أو كلّها تنتهي إلى هذا الشيخ المعظّم»[2].

ثانيا: أساتذته وتلاميذه:

تتلمذ الشهيد الأول على يد نخبة من علماء عصره، ومن مختلف المذاهب الإسلامية، فمن يذكره من أساتذته في جزين والده الشيخ (جمال الدين مكي) وكذلك الشيخ (أسد الدين الصائغ)، ويصف الشيخ البحراني والد الشهيد بقوله: «وكان والده من فضلاء المشايخ في زمانه ومن أجلاء مشايخ الاجازة»[3].

وفي حاضرة العلم آنذاك (الحلة الفيحاء) لم يدرك الشهيد عصر المحقق والعلّامة الحليين، وإنما أدرك عصر فخر المحققين ولد العلّامة، فاتصل به وحضر دروسه وأبحاثه ودرس عليه كتاب (ايضاح الفوائد في شرح اشكالات القواعد) وغيره.

ويروى عن فخر المحققين كلمة مشهورة بحق تلميذه الشهيد الأول حيث قال عنه: «لقد استفدت من تلميذي محمد بن مكي أكثر مما استفاد مني»[4].

إلّا أنها ربما تكون من المشهور الذي لا أصل له، إذ: «الواقع يشهد بخلاف ذلك فإن فخر المحققين كان في أوج زعامته الدينية، ويبلغ من العمر يومذاك ثمانية وستين

---

(١) المجلسي، اجازات البحار: ١٠٧ / ١٩٠. وعنه الصدر في التكملة: ٣٦٥.

(٢) القمي ـ عباس، الكنى والألقاب: ٢ / ٣٧١، والطهراني، الطبقات: ٥ / ٢٠٥.

(٣) البحراني ـ يوسف، لؤلؤة البحرين: ١٤٤.

(٤) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٤ / ٣٧٣، وخطط جبل عامل: ٨٠.

عاما، وأما الشهيد فكان لا يزال يرفل في سني شبابه الفتيّة الأُولى»[1].

ولقد كان معظم اشتغاله في العلوم عند فخر المحققين، الذي اجازه لأكثر من مرة واثنى عليه كثيرا في هذه الاجازات، وقد نقلنا سابقا مقطعا منها.

ويذكر من مشايخه في الحلة أيضا: محمد بن قاسم بن معية الحسيني، وعميد الدين، وضياء الدين الأعرجيان، ومن مشايخه في الشام (قطب الدين الرازي) «فهؤلاء الخمسة كان لهم الأثر البالغ في تكوين ذهنية الشهيد.. فقد تأثر فكريا بهؤلاء، وجرى على مذهبهم بعدما أحدث بعض التجديدات على مذهبهم في الفقه والكلام»[2].

وممن يروي عنهم الشهيد السيّد شمس الدين محمد بن أحمد العلوي الموسوي[3].

وأما أساتذته ومشايخه ومن يروي عنهم من أبناء العامة فإنهم من الكثرة الكاثرة وفي مختلف مجالات المعرفة، وهو يروي عن أربعين شيخا من علمائهم.

وأما تلامذته ومن تخرج عليه من العلماء والفضلاء فهم أيضا كثيرون، قال السيّد الصدر: «وقد تخرّج عليه في هذه المدة اليسيرة جماعة من العلماء الأعلام..»[4].

والذي يبدو من حياة الشهيد الأول انه مارس التدريس والافادة من الأيام الأُولى لرحلته العلمية، وخاصة في حاضرة العلم الكبرى آنذاك «الحلة» حيث نجد في ترجمة بعض أعلامها تتلمذهم على الشهيد فيها، بالاضافة إلى ممارسته للتدريس في مسقط رأسه (جزين) والأماكن الأُخرى التي ارتحل إليها.

---

(١) القزويني، تاريخ المؤسسة الدينية: ١٨٠.

(٢) أُنظر الخوانساري في روضات الجنات: ٧ / ٥.

(٣) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٢٣٥.

(٤) الصدر ـ حسن، التكملة: ٣٦٧.

يقول أحد الباحثين في حياة الشهيد: «استقل الشهيد بالتدريس في الحلة، والتفّ حوله الطلّاب.. يدرسون عليه مناهج الاستنباط والفقه، وعُرف الشهيد في الحلة بتدريسه لقواعد العلّامة، والتهذيب، وعلل الشرائع، وكتب أُخرى في الفقه والأُصول والحديث.

ولم يقتصر الشهيد على التدريس في الحلة، أو في جزين في مدرسته الخاصة، وإنما كان يقوم بالتدريس في رحلاته التي كان يقوم بها،.. وقد استطاع في هذه المدّة.. أن يربي عددا كبيرا من العلماء الذين خلفوه في مكانته العلمية والدينية..»[1].

وقد مرّت الاشارة إلى بعض تلامذة الشهيد عند الحديث عن مدرسة الحلة ومنهم:

١ ـ السيّد أبو طالب أحمد بن القاسم بن زهرة الحسيني[2].

٢ ـ الشيخ جمال الدين أحمد بن النجار، صاحب الحاشية على (قواعد العلّامة الحلي)، جمع فيها تحقيقات شيخه الشهيد ونظرياته في الفقه[3].

٣ ـ السيّد بدر الدين الحسن بن أيوب، الشهير بابن نجم الأعرج الحسيني الاطراوي العاملي، كان من تلامذة الشهيد[4].

٤ ـ الشيخ عبد الرحمان العتائقي، صاحب المؤلفات الكثيرة، تلقى عن الشهيد كثيرا من العلوم[5].

٥ ـ الشيخ أبو عبد اللّه المقداد بن عبد اللّه المعروف بالفاضل السيوري، «يروي

---

(١) مقدّمة اللمعة: ١ / ١١١.

(٢) الخوانساري، روضات الجنات: ٢ / ٣٤. وعنه في مقدّمة اللمعة: ١ / ١١١.

(٣) مقدمة اللمعة: ١ / ١١١.

(٤) الصدر ـ حسن، التكملة: ١٣٦ ـ ١٣٧، وأُنظر أمل الآمل: ٢ / ٦٣.

(٥) مقدمة اللمعة: ١ / ١١٤.

عن الشيخ الشهيد، محمد بن مكي العاملي»[1].

٦ ـ الشيخ محمد بن تاج الدين عبد علي الشهير بـ (ابن نجدة)، اجازه الشهيد في رمضان سنة (٧٧٠ هـ) وصرّح فيها بأنه سمع من مؤلفاته[2].

٧ ـ الشيخ زين الدين أبو الحسن علي بن بشارة العاملي، تلميذ شيخنا الشهيد الأول، كتب له اجازة في شعبان سنة (٧٥٧) وصفه بما نصه: «الشيخ الأجل العالم العامل الفقيه الكامل الزاهد العابد زين الدين أبي الحسن علي بن بشارة العاملي الشقراوي الحناط..»[3].

أُولئك نخبة من الأعلام الذين تتلمذوا على الشهيد وغيرهم الكثير مما لا يسع المجال لذكرهم.

عائلة الشهيد الأول:

يضاف إلى أُولئك الأعلام (عائلته الكريمة) إذ «قد أكمل اللّه تعالى له النعمة وجعل العلم والفضل والتقوى فيه وفي ولده وأهل بيته»[4].

وقد ترجم المحدث النوري في المستدرك ترجمة واسعة للشهيد الأول وعائلته[5].

ولخص المحدث القمي ترجمة عائلة الشهيد، فقال:

«أما زوجته أُمّ عليّ فقد كانت فاضلة فقيهة عابدة، وكان الشهيدرحمه الله يثني عليها ويأمر النساء بالرجوع إليها.

---

(١) القمي ـ عباس، الكنى والألقاب: ٢ / ٤٩٤.

(٢) مقدمة اللمعة: ١ / ١١٤.

(٣) الصدر، أمل الآمل: ٢٨٥.

(٤) القمي، الكنى والألقاب: ١ / ٣٤٢.

(٥) النوري، المستدرك: ٣ / ٤٣٧.

وأما ولده فمن الذكور: الشيخ رضي الدين أبو طالب محمد، والشيخ ضياء الدين أبو القاسم علي، وكانا من الفقهاء الأجلاء، والشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن، فاضل محقق فقيه. ومن الإناث أُمّ الحسن فاطمة المدعوّة بست المشائخ. قال في الأمل: انّها كانت عالمة فاضلة فقيهة صالحة عابدة، سمعت من المشائخ مدحها والثناء عليها، تروي عن أبيها وعن ابن معيّة شيخ والدها إجازة، وكان أبوها يثني عليها ويأمر النساء بالاقتداء بها والرجوع إليها..»[1].

لقد كانت هذه السيدة الفاضلة موضع احترام وعناية الفقهاء والناس عامة، حتى أنها لما توفيت في قرية جزين حضر تشييعها سبعون مجتهدا من (جبل عامل)[2].

لم تترك ست المشايخ فاطمة أثرا علميا يخلد ذكرها، وكل ما تركته وثيقة كتبتها لأخويها تهب بها ما يخصها من تركة أبيها في جزين لأخويها ابتغاءً لوجه اللّه، وفي قبال ذلك يعوضها أخواها بكتب في الفقه والحديث»[3].

وكذلك للشهيد‌ﷺ احفاد علماء فضلاء، يقول صاحب الكنى والألقاب: «ومن أحفاد الشهيد خير الدين بن عبد الرزاق بن مكي بن عبد الرزاق بن ضياء الدين علي بن الشهيد، فعن رياض العلماء قال: هو من أجلّة أحفاد شيخنا الشهيد، فاضل عالم، فقيه متكلّم، محقق مدقق، جامع للعلوم العقلية والنقلية والأدبية والرياضيّة.. ولهذا الشيخ أولاد وأحفاد.. وبالجملة؛ سلسلة خلف عن سلف كانوا أهل الخير والبركة اسما ورسما..»[4].

---

(١) القمي ـ عباس، الكنى والألقاب: ٢ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣، والحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٩٣.

(٢) مقدمة اللمعة: ١ / ١١٢.

(٣) أُنظر نص الرسالة في: الكنى والألقاب: ٢ / ٣٧٣، وتكملة أمل الآمل: ٤٤٦ ـ ٤٤٧، ومقدمة اللمعة: ١ / ١١٣، وأعيان الشيعة ٨ / ٣٨٨ ـ ٣٨٩.

(٤) القمي، الكنى والألقاب: ٢ / ٣٧٣ ـ ٣٧٤، وأفندي، رياض العلماء: ٢ / ٢٦٠.

ثالثا: آثار الشهيد الأول العلمية:

للشهيد الأول آثار ومولفات علمية كثيرة «احصاها بعض الباحثين إلى اثنين وثلاثين كتابا»[1] وهي مؤلفات مشهورة وصلنا جلها، وقد ذكرها الشيخ الطهراني في الذريعة، وقال عنها بحسب موضوعاتها، ونوه عنها في الطبقات عند ترجمة الشهيد فقال: وقد ذكرنا مؤلفاته في الذريعة منها: «الأربعين» في الكلام، و (الأربعين) في الفقه و (الألفية) و (البيان) و (التكليف) و (الدروس) و (الذكرى) و (القواعد الكلية) و (اللمعة) و (مختصر أصل علاء بن رزين) و (النفلية)، وله شروح وحواشٍ كثيرة، وأشعار رقيقة وردت في (مجموعة الجباعي)، و (الاثني عشرية) و (اجازات البحار): أوردها الشيخ جعفر النقدي في (خزائن الدرر) والسيّد محمد صادق بحر العلوم في (المجموع الرائق).

ومن آثاره الباقية نسخة من (ايضاح الفوائد في شرح القواعد) لفخر المحققين، كتبه المترجم له بخطِّه وفرغ منه بالحلّة منتصف ليلة الثلاثاء: (٥ / شوال / ٧٥٦)[2].

وذكر له الشيخ الحر في الأمل: «كتاب غاية المراد في شرح نكت الارشاد» و «كتاب جامع البين من فوائد الشرحين» جمع فيه بين شرحي تهذيب الأُصول للسيّد عميد الدين والسيّد ضياء الدين و (رسالة الباقيات الصالحات) و (الأربعون حديثا)[3].

ويعتبر كتاب (اللمعة الدمشقية) من أشهر كتب الشهيد الأول وأوسعها انتشارا، وهو من المتون التدريسية في الحوزات العلمية الشيعية مع شرحه الموسوم بالروضة

---

(١) مقدمة اللمعة الدمشقية: ١ / ٩٩.

(٢) الطهراني، الطبقات: ٥ / ٢٠٦، والذريعة: ٢ / ٤٩٦ و ٢٠ / ٧٧، ٢٠٤، وأُنظر المحدث النوري، المستدرك: ٣ / ٤٣٧ وما بعدها. والصدر ـ حسن، التكملة: ٣٦٨.

(٣) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٨١.

البهية للشهيد العاملي الثاني. كما أن لهذا الكتاب شروحا كثيرة أُخرى.

قال الشيخ الطهراني في وصفه للكتاب (اللمعة الدمشقية): «أحد الكتب الفقهية المهمة عند الشيعة الإمامية، ألّفه الإمام شمس الملة والدين.. الشهير بالشهيد الأول، وكان تأليفه في سجن دمشق. وقد حظي بعناية من تأخر عنه من الفقهاء، وتولوه بالشرح والتعليق. ومن أهم شروحه وأشهرها (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية)، وهو للإمام الجليل الشيخ زين الدين بن علي العاملي الشهيد سنة (٩٦٦ هـ)، الشهير بالشهيد الثاني، وهو من امتن الشروح، حيث يصعب التمييز بينه وبين المتن، وقد اشتهر وتداول بين العلماء منذ القرن العاشر حتى التاريخ، وعليه اعتمادهم، وهو من الكتب الدراسية في معاهد العلم الشيعية..»[١].

وأحصى الشيخ الطهراني (٩٦) حاشية على الروضة البهية، بالاضافة إلى (٢٥) شرحا، مما وقف عليه في حياته[٢].

ومما تجدر الاشارة إليه وتصحيحه في قصة تأليف كتاب اللمعة ما ذكره الشيخ الحر من أن الشهيد الأول قد «كتب اللمعة في سبعة أيام وهو محبوس لم يكن عنده من الفقه غير المختصر النافع»[٣].

وتداول هذا الكلام بعض المترجمين للشهيد في ثنايا ترجمته، وهو من الاخطاء الشائعة، والصحيح في قصة تأليف (اللمعة) ما ذكره الشهيد الثاني في شرح اللمعة ـ في شرح قول المصنّف ـ «إجابة لالتماس بعض الدّيانين» قال: «وهذا البعض هو شمس الدين محمد الآوي، من أصحاب السلطان علي بن مؤيّد ملك خراسان وما

---

(١) الطهراني ـ آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٦ / ٦٦ وما بعدها، و ١٣ / ١٧٧ وما بعدها.

(٢) الطهراني، الذريعة: ١٨ / ٢٢٥.

(٣) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٨٣، والصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٣٦٧، والطهراني، الذريعة: ١٨ / ٢٢٥.

والاها في ذلك الوقت، وكان بينه وبين المصنّف﷫ مودة ومكاتبة على البُعد.. وطلب منه أخيرا التوجه إلى بلاده في مكاتبة شريفة.. فأبى واعتذر إليه، وصنّف له هذا الكتاب بدمشق في سبعة أيام لا غير، على ما نقله عنه ولده المبرور أبو طالب محمد، وأخذ شمس الدين الآوي نسخة الأصل.. وذلك سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة! ونقل عن المصنف﷫ أن مجلسه بدمشق ذلك الوقت ما كان يخلو غالبا من علماء الجمهور لخلطته بهم وصحبته لهم، قال: «فلما شرعتُ في تصنيف هذا الكتاب، كنتُ أخاف أن يدخل عليَّ أحد منهم فيراهُ، فما دخل عليّ أحد منذ شرعت في تصنيفه إلى أن فرغت منه» وكان ذلك من خفي الألطاف وهو من جملة كراماته قدّس اللّه روحه ونور ضريحه»[1].

فما ذكره الشهيد الثاني يدل على بطلان ما ذكره الحر العاملي في كتاب (أمل الآمل) من أن الشهيد قد صنّف اللمعة في الحبس في قلعة دمشق[2].

ومما يدل على بطلان ما قيل، أن الشهيد الأول قد حبس في قلعة دمشق لمدة سنة قبل استشهاده سنة (٧٨٦ هـ) واللمعة قد كتبها سنة (٧٨٢ هـ) أي قبل استشهاده بأربع سنوات! بالاضافة إلى أن أجواء السجن لم تكن تسمح بزيارة علماء الجمهور، ولم يكن هنالك مجلس يحضر فيه أُولئك حتى يحذر الشهيد منهم. يضاف إلى ذلك «أن الشهيد﷫ قد أورد اسم (اللمعة) في اجازته لعلي بن الخازن، وكان تاريخ تلك الاجازة سنة أربع وثمانين وسبعمائة قبل شهادته بسنتين»[3].

---

(١) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ١ / ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) البحراني ـ يوسف، لؤلؤة البحرين: ١٤٦، وأُنظر تكملة أمل الآمل: ٣٦٧ الحاشية.

(٣) أفندي ـ عبد اللّه، رياض العلماء: ٥ / ١٩٠.

* **قصة استشهاده وأسبابها:**

من الثابت تاريخيا أن الشهيد الأول: «كانت وفاته سنة (٧٨٦ هـ) في اليوم التاسع من جمادى الأُولى، قتل بالسيف، ثم صلب، ثم أُحرق، بدمشق، في دولة بيدر وسلطنة برقوق، بفتوى القاضي برهان الدين المالكي، وعباد بن جماعة الشافعي، بعد ما حبس سنة كاملة في قلعة دمشق»[١].

وذكر بعض من ترجم له، أن سبب ما جرى على الشهيد من سجن وقتل وصلب وحرق هو: «ان وشي به تقي الدين الجبلي الخيامي بعد ظهور إمارة الارتداد منه وإنه كان عامليا، ثمّ بعد وفاة هذا الفاجر، قام على طريقته شخص آخر اسمه يوسف بن يحيى وارتد عن مذهب الإمامية وكتب محضرا يشنع فيه على الشيخ محمد بن مكي وكتب في ذلك المحضر سبعون نفسا من أهل الجبل..»[٢].

ونقل بعضهم أن القاضي عباد بن جماعة كان من الحاقدين على الشهيد بسبب مناظرة جرت بينهما وكانا متقابلين وبين يدي الشهيد دواة كان يكتب بمدادها، وكان ابن جماعة كبير الجثة جدا بخلاف الشهيد فإنه كان صغير البدن، فقال ابن جماعة في ضمن المناظرة تحقيرا له: اني أجد حسا من وراء الدواة ولا أفهم ما يكون معناه.

فأجابه الشيخ من غير تأمل وقال له: نعم ابن الواحد لا يكون أعظم من هذا. فخجل ابن جماعة من هذه المقالة كثيرا، وامتلأ منه غيظا وحقدا إلى أن فعل به ما فعل»[٣].

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٤ / ٢٧٣، وتكملة أمل الآمل: ٣٧٠.

(٣) الخوانساري، روضات الجنات: ٧ / ١٤، والأمين، الأعيان: ١٤ / ٣٧٣.

ومهما يكن من أمر، فكل من ذكر قصّة استشهاده اوعز سببها إلى توجيهه تهمة الرفض والتشيع والتعصب والحقد.. ولا تعكس لنا روايات خبر الاستشهاد أي اشارة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت حاكمة آنذاك والتي كانت تحف بحركة الشهيد العلمية والاجتماعية.

ففي الوقت الذي لا ننكر دور التعصب المذهبي والحقد الشخصي في قضية استشهاد الشهيد الأول، إلّا أنّ الأسباب الحقيقية قد تكون أعمق بكثير مما ذكر، وتعود إلى النشاط والتحرك العلمي والاجتماعي والسياسي الواسع والمؤثر الذي قام به الشهيد الأول في مسقط رأسه (جزين) ثمّ الانتقال بنشاطه إلى (دمشق).

يقول أحد الباحثين: «وذكر قصة استشهاده مفصلة غير واحد ممن ترجم له.. وتركز القصة في مختلف رواياتها على توجيه تهمة التشيع له؛ ولكن الأمر ـ فيما اعتقد ـ أبعد من هذا، وما توجبه تهمة التشيع إلّا لتبرير انزال عقوبة الاعدام به، والتضبيب على عوامل واهداف حركته السياسية.

أما الادانة ـ حقيقة ـ فكانت لأنه كان يقول (بولاية الفقيه)، وكوّن له تحت مظلتها مرجعية كبيرة في ربوع الشام، حفزته لأن ينتقل من جزين إلى دمشق، ويصبح من الأعلام البارزة فيها، وذا مكانة مرموقة وشخصية محترمة حتى عند أهل السنة.

وبدفع قوي من هذه المرجعية تحرك في ربوع الشام لتجميع فلول الشيعة وجمع أمرهم، واقامة سلطة سياسية شرعية لهم، فجبى الأموال وأعدّ الرجال، واتصل بحكومات الشيعة في وقته سرا وعلانية، ومنها ما ذكر من المكاتبة بينه وبين الملك علي بن المؤيد، عاهل خراسان وما والاها.

ولعل النظام الحاكم في دمشق آنذاك، والذي كان بأمرة (بيدمر) وفي ظل سلطنة الملك الظاهر برقوق العثماني الشركسي سلطان مصر والشام.. أراد أن يغطي على هذا

فنسب إلى الشهيد﵀ تهمة الاعتقاد بما يخالف السنة..»[1].

وما ذكره هذا الباحث اجمال وتلخيص لما ذكره الشيخ محمد مهدي الآصفي في مقدمته الواسعة لكتاب اللمعة الدمشقية والتي أحال إليها هذا الباحث «لمعرفة المزيد عن نشاطه ـ الشهيد الأول ـ الاجتماعي والسياسي»[2].

كذلك توسع في ذكر هذه الأسباب وأضاف إليها الزميل السيّد جودت القزويني في دراسته القيِّمة لتاريخ المؤسسة الدينية، وتاريخ المرجعية الدينية عند الشيعة الإمامية[3].

ولا نستطيع أن نتوسع أكثر في تأييد ما ذكره أُولئك النخبة من الباحثين، والذي تؤيده الشواهد التاريخية، وبعض الآراء الفقهية للشهيد الأول؛ ونكتفي بما استنتجه السيّد الشهيد محمد باقر الصدر من رأي له قيمته العلمية، «فمن الناحية التاريخية استنتج السيّد محمد باقر الصدر﵀ ـ ومن خلال تقسيمه للمراحل التي مرّت بها الحوزة العلمية ـ ان الشهيد الأول قد نقل الحوزة العلمية من المرحلة الفردية إلى مرحلة الجهاز المرجعي «فعلى عهد الشهيد الأول (رضوان اللّه عليه) تطوّر هذا الكيان، وأصبح عبارة عن أجهزة من الوكلاء وعلماء الأطراف، يرتبطون بالمرجع ويتصلون بالقواعد الشعبيّة ـ ثمّ يقول ـ وأنا لا أعرف تطبيقا أسبق من الناحية التاريخية له من تطبيق الشهيد الأول، قام بهذا التطبيق في لبنان وسوريا وعين الوكلاء، وفرض جباية الزكاة والخمس على القواعد الشعبية من الشيعة؛ وبذلك انشأ كيانا دينيا قويا

---

(١) الفضلي ـ عبد الهادي، تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٩٢.

(٢) أُنظر الآصفي، مقدمة اللمعة الدمشقية: ١ / ١١٩ وما بعدها.

(٣) أُنظر، القزويني، تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية: ١٧٧ وما بعدها، والمرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية: ١٢٩ وما بعدها.

للشيعة مترابطا لأول مرة في تاريخ العلماء، وكان إنشاؤه لهذا الكيان هو من أهم الأسباب التي أدّت إلى مقتله»[1].

ومن الشواهد الفقهية؛ ما لاحظه زين الدين العاملي الملقّب بالشهيد الثاني أنّ الشهيد الأول رأى لزوم دفع الأخماس إلى «نائب الإمام» أي الفقيه الجامع لشرائط الحكم[2]. ويبدو أنّ هذه العبارة الفقهيّة استُعملت لأول مرّة على لسان الشهيد الأول من بين الفقهاء[3].

فهذا التحرك الاجتماعي والسياسي والذي أخذ صيغة تنظيمية، بعيدا عن الأنظار هو السبب الرئيسي لمقتل الشهيد الأول؛ وهذا ما تنبه إليه حتى بعض المؤرخين من علماء السنة.

فقد اعتبر صاحب شذرات الذهب أنّ سبب مقتل الشهيد الأول مرتبط بهذا التحرك لأنه: «شرع بالعمل في منطقته الجبليّة بعيدا عن أعين السلطان في دمشق، وعيّن له نوّابا على المناطق في طرابلس وغيرها»[4].

*** المنجزات العلمية والحوزوية للشهيد الأول:**

لقد كانت حياة الشهيد الأول ﷺ حياةً حافلة بالعمل والحركة الدوؤبة، بذل خلالها جهودا كبيرة أثمرت عن منجزات علمية وحوزوية، لا زالت الأوساط العلمية تأخذ من

---

(١) الصدر ـ محمد باقر، محاضرات حول المحنة، نشرت ضمن كتاب ومضات مجموعة من مقالات ومحاضرات ووثائق للسيّد الشهيد الصدر: ٤٣٣ ـ ٤٣٤، إعداد المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر.

(٢) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ٢ / ٧٩.

(٣) القزويني، المرجعية الدينية العليا: ١٣١.

(٤) المرجع نفسه: ١٣٠.

معينها الدافق.

ويمكن تلخيص منجزات الشهيد الأول بما يلي:

أولاً: نقل فكر مدرسة الحلة العلمية وحوزتها الكبرى إلى بلاد الشام عامة، وجبل عامل خاصة، بعد أن تتلمذ في حوزتها على يد زعيم الإمامية آنذاك فخر المحققين ابن العلّامة الحلي.

ثانيا: تربية وتعليم مجموعة من العلماء والفضلاء ممن كانوا يحضرون دروسه العلمية في حوزة الحلة، أو حوزة جزين في جبل عامل، أو حوزة بلاد الشام وقد كان﴿ حريصا على هذا المنحى في التدريس؛ حتى في أشد الظروف الأمنية الشديدة؛ فقد: «نقل عنه﴿ أنه كان في [بعض الأيام يشتغل بتدريس كتب المخالفين ويقرؤهم، ولم يحصل له فرصة لتدريس كتب الشيعة لشدة التقية إلّا في الليل بقدر ما بين المغرب والعشاء، فكان يدرس في تلك الشدة حين الخلوة في بيت معين عمله تحت الأرض»[(١)]، وقد ذكرنا فيما سبق أسماء بعض تلامذته والمجازين من قبله والراوين عنه[(٢)].

ثالثا: تأسيس مدرسة «جزين» العلمية:

بعد عودة الشهيد إلى مسقط رأسه في جبل عامل بدأ نشاطا ثقافيا من خلال تأسيس مدرسة علمية في جزّين لتدريس العلوم الدينية على كافة المستويات، وتخريج الطلبة المتخصصين في المجال الديني والاجتماعي[(٣)].

ولم يبق لهذه المدرسة آثار تذكر إذ حُوّل المسجد الذي ينسب إليه إلى كنيسة،

---

(١) أفندي ـ عبد الله، رياض العلماء: ٥ / ١٨٩.

(٢) للتوسع أُنظر، أعيان الشيعة: ١٤ / ٣٧٥.

(٣) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ١٨١.

ودارهُ ومدرستهُ العتيدة حولّت إلى طريق عام تعرف اليوم بمنطقة الساحة[1].

رابعا: التركيز على ارجاع الهوية المذهبية المفقودة للشيعة والتي ضاعت ضمن زحمة التيارات السياسية المناوئة لهم، والتي تجلت في عدم التسامح مع المذاهب غير السنيّة ومحاربة المذاهب الأُخرى التي تعتبر خارجة عن المذهب السنّي المعتبر[2].

خامسا: اعادة تنظيم هيكيلية حوزته العلمية، بخلق أجهزة تمثلُهُ وترتبط به؛ فأصبح كيان «الفقيه» عبارة عن أجهزة من «الوكلاء» يرتبطون به، ويتصلون بالقواعد الشعبية[3]، وبهذا نقل المرجعية من مرحلة الفردية إلى مرحلتها الثانية وهي مرحلة المرجعية (المؤسسة) التي لها جهازها المرجعي.

سادسا: التصدي للحركات الفكرية المنحرفة:

فقد تصدى لحركة (محمد الجالوشي) أو (اليالوش) المقتول سنة (٧٨٥ هـ) وكان قد «ادّعى النبوّة في جبل عاملة، وبلغ أمره ما بلغ، فقتله المصنّفﷺ في سلطنة برقوق بعد ابطال سحره»[4]. كذلك محاولته العمل على ارجاع (النصيرية) إلى المذهب الإمامي[5].

سابعا: النفوذ إلى جهاز الحكم واستثماره لأهدافه:

يقول أحد الباحثين: «وربما كان من أسباب اختيار (الشهيد) لدمشق موطنا لنفسه ليكون قريبا من الحركات الفكرية والسياسية، وليشرف على الوضع من قريب، فارتبط

---

(١) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٢٣٣.

(٢) المرجع نفسه: ١٣٠.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) الخوانساري، روضات الجنات: ٧ / ٤، وأُنظر مقدمة اللمعة الدمشقية: ١ / ١٣٥ ـ ١٣٧.

(٥) القزويني، المرجعية الدينية: ١٣٢.

بكثير من أقطاب العلم والسياسة في وقته، وفسح من مجلس درسه وندوته اليومية في البيت ليحضره أكبر عدد من العلماء والساسة..»[1].

ثامنا: اعداد الكتب الدراسية المنهجية:

أ لّف الشهيد الأول كتبا غنية أُعتبرت مادة خصبة لدراسة العلوم الدينية، وقد نالت هذه المؤلفات اهتماما عاما بدراسة هذه العلوم، وعلى الرغم من شهرة مؤلفاته وأهميتها العلمية، فقد تميّز بعضها ككتب دراسية منهجية.. وكان من بين هذه الكتب مختصر في الفقه بعنوان «اللمعة الدمشقية» أصبح من أهم المصادر في دراسة الفقه في الحوزات العلمية[2].

تاسعا: الانفتاح على المذاهب الفقهية غير الشيعية والتتلمذ على علمائها:

وهذه الميزة تسجل للشهيد الأول، فبعد أن درس في جزين، ثمّ حوزة الحلة، فقد غادر إلى بغداد، وأقام بها برهةً من الزمن استجاز بعض علمائها، من الشافعية، والمالكية، والحنبلية، ثمّ تنقّل في دمشق، القاهرة، مكة، المدينة، القدس.. وقد ذكر في بعض اجازاته انه يروي مصنفات العامة ومروياتهم عن نحو من أربعين شيخا من علمائهم بمكة، والمدينة، ودار السلام ومصر..»[3].

«ونقل عن السيّد حسين البروجردي (ت ١٣٨٠ هـ) قوله: «امتاز فقه خمسة من الفقهاء باحاطتهم لأقوال الفقهاء الشيعة والسنّة معا، وهم: المحقق، العلّامة، فخر المحققين والشهيدان» ونُقل قوله: «ان الشهيد الأول أفضلهم بالفقه»[4].

---

(١) الآصفي، مقدمة اللمعة الدمشقية: ١٣٦.

(٢) القزويني، المرجعية الدينية: ١٣٧ وما بعدها، وأُنظر مقدمة اللمعة: ١ / ١٠١ ـ ١١٠.

(٣) المرجع نفسه: ١٨١، وأُنظر اجازات البحار: ١٠٧ / ١٩٠.

(٤) القزويني، المؤسسة الدينية: ٢٢٨.

حوزة جبل عامل بعد الشهيد الأول:

«اتفقت روايات المؤرخين على أن مقتل الشهيد الأول كان في شهر جمادى الأولى عام (٧٨٦ هـ)، ووقع الاختلاف في اليوم الذي قُتل فيه»[١].

وبشهادته (رضوان اللّه عليه) انطوت صفحة جهادية كادحة لفقيه من فقهاء مدرسة أهل البيت، خاض غمار لجج الحق بالعلم والعمل حتى وصل إلى معدن الحكمة، وخلّف للأُمة سيرة عطرة معطاءة، لها ثمارها ونتائجها إن على مستوى ما تركه من آثاره العلمية، أو على مستوى مدرسته وطلّابه ومريديه.

وبمقتل الشهيد الأول: «تخلّصت السلطة السياسية من خصم كان يؤلّب القوى عليها، وأرضت الفقهاء والعامة بإعدام رجل كانوا يعتبرونه عدوّا هادما لمعتقداتهم»[٢].

لقد كان الشهيد الأول وفيا لمسقط رأسه (جبل عامل) ولقريته التي نشأ فيها (جزين) فبعد رحلته العلمية التي طاف بها مدن الحلة وبغداد وبعض الحواضر العلمية الأُخرى عاد إلى جزين وآثر البقاء فيها، حفاظا على كيانها العلمي من الانقراض. وقد رفض العروض المغرية التي تلقاها من قبل حاكم خراسان ابن المؤيد للقدوم إليه.

إلّا أن أوضاع جبل عامل قد تغيرت بعد شهادة الشهيد الأول، «وبدأت صفحة جديدة من تاريخ جبل عامل، فقد زالت القيادة الدينية من جزّين، وأصبح الاقطاع الشيعي مسيطرا في الجنوب، وقد بدأ نفوذ بعض العوائل الشيعية في الظهور حتى

---

(١) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٢٠٦، وأُنظر هامش الصفحة نفسها.

(٢) القزويني ـ جودت، المرجعية العليا: ١٣٤.

أصبح لهم دورٌ في النزاع مع الأُمراء المماليك، كما أنهم أصبحوا من القوى الاقطاعية الشيعية في الجنوب التي بقيت مسيطرة حتى عام (٩٠٩ هـ) ولم ينتهِ دورها إلّا مع الفتح العثماني لبلاد الشام عام (٩٢٣ هـ)[١].

إلّا أنه رغم زوال القيادة من جزّين، فلم تتوقف الحركة العلمية في هذه المنطقة، بل استمرت في عطائها من خلال «النشاط المذهبي الذي قام به الفقهاء الشيعة بشكل مكّنهم من السيطرة على الحياة الثقافية بأكملها.. وقد انبعثت فترة جديدة تميّزت بنهضة علمية واسعة امتدّت لتشمل المناطق المتاخمة له من سهل البقاع»[٢].

قد تكون ظروف القهر والاستبداد السياسي التي ألقت بظلالها القاتم على منطقة جبل عامل ساهمت في انزواء الشيعة وحجبهم وتهميشهم عن الحياة السياسية والاجتماعية، «إلّا أن هذه الطائفة لم تقطع أسباب العلم، بل احتفظت به على صعيد عال، حيث تمكنت هذه البقعة الصغيرة من الأرض خلال قرن من الزَمن أن تنتج فقهاء كان لهم دور كبير في ارساء دعائم الدولة الصفوية بإيران، والتي قامت بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي (٩٣٠ ـ ٩٥٠ هـ). وقد تزامن قيام هذه الدولة الشيعية بنهضة علمية في جبل عامل نادرة المثال، وكان فيه على محدودية رقعته عدد من المجتهدين يزيد على ما كان في أية منطقة شيعية أُخرى»[٣].

هذه هي مجمل أوضاع منطقة جبل عامل من الناحية السياسية والعلمية بعد شهادة الشهيد الأول.

---

(١) القزويني ـ جودت، المرجعية العليا: ١٣٤.

(٢) المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية إلى إيران: ٨٩ ـ ٩١.

(٣) القزويني، تاريخ المؤسسة الدينية: ١٣٤ ـ ١٣٥ عن مُروّة؛ التشيع بين جبل عامل وإيران: ٢٣، والوردي، لمحات اجتماعية: ١ / ٦٤.

وأما مدرسة الشهيد في جزين، والحركة العلمية التي ابتدأها الشهيد في هذه المنطقة، فقد واصلت عطاءها العلمي من خلال تلامذته ووكلائه «الذين اكتسبوا اهميّة أكبر بعد رحيل أُستاذهم محمد بن مكي، وكان لهم فضل الحفاظ على خطّه العلمي، واستمراره من بعده»[1].

ويعتبر الشيخ (جمال الدين أحمد بن النجار)، من أبرز تلامذة الشهيد، والذي قام بجمع تحقيقات شيخه الشهيد الأول، ونظرياته في الفقه.

وقد ذكره السيّد الأمين في الأعيان فقال: «الشيخ جمال الدين أحمد بن النجار، هو العالم الجليل الفقيه، من خواص تلامذة الشهيد الأول صاحب الحاشية المعروفة (بالنجارية) على القواعد، ذكر فيها إفادات الشهيد وتحقيقاته على القواعد، وهي حاشية مشحونة بالفوائد»[2].

وقال السيّد الأمين عند ترجمة الشيخ حسن بن علي بن حسن المعروف بابن النجار: «ذكره صاحب الرياض في موضعين وقال: «فاضل عالم فقيه، وهو من المعاصرين للمقداد السيوري ونظرائه، (وأظن أنه صاحب الحواشي (النجارية) على قواعد العلّامة في الفقه، ولكن تنسب تلك الحاشية إلى الشهيدين[3] فلاحظ». ولكنه جزم في موضع آخر بأن الحواشي النجارية على القواعد ليست للمترجم، بل هي للشيخ جمال الدين أحمد بن النجار، قال: «وقد رأيتُ بخط ابن النجار نسخة من كتاب تحرير العلّامة وكان تاريخ الفراغ من كتابتها (٢٥ / ربيع الآخر / ٨٣٣ هـ) وقد قرأها على بعض أفاضل السادات» وأيضا قال: «وقد يطلق ابن النجار على جمال

---

(١) القزويني، تاريخ المؤسسة الدينية: ١٣٤.

(٢) الأمين، أعيان الشيعة: ٤ / ٥٨٤.

(٣) هذه العبارة غير موجودة في النسخة المطبوعة من كتاب رياض العلماء.

الدين أحمد ابن النجار تلميذ الشهيد»[1].

ثم يعقب صاحب الأعيان على قول صاحب الرياض فيقول: «أقول: صاحب الحواشي النجارية على القواعد هو الشيخ جمال الدين أحمد.. لا صاحب الترجمة، ووجه نسبتها إلى الشهيد أنها من تقريراته، وابن النجار صاحب الحواشي كان قبل الثمانمائة»[2].

وتعقيبا على قول السيّد الأمينﷺ نقول: اننا لم نجد في كتاب (رياض العلماء) الموضع الثاني الذي ذكر فيه ترجمة أحمد بن النجار، وإنما قال في ترجمة حسن ابن علي بن النجار: والظاهر أن هذا الشيخ ليس ابن النجار الذي كان تلميذ الشيخ الشهيد، أعني صاحب الحواشي النجارية على قواعد العلّامة، لأنه قبل الثمانمائة وهو زمن الشهيد»[3].

ومهما يكن من أمر، فليس لدينا تفاصيل واضحة عن المسيرة العلمية لابن النجار بعد شهادة أُستاذه.

كذلك يرد علينا من أسماء تلامذة الشهيد الأول وممن واصل مسيرته العلمية بعد استشهاده اسم: أحمد بن الحسن بن محمود: الذي يقول عنه الطهراني: «الظاهر بل المظنون أنه كان شيخا يسكن جبل عامل، وكان تلميذ الشهيد محمد ابن مكي سنة شهادته (٧٨٦ هـ) ويقرأ عليه تصانيفه، وكان يكتب كل ما يخرج من كتاب «الذكرى» لأُستاذه الشهيد، لأنه بلغ تأليف «الذكرى» إلى آخر كتاب الصلاة، ثمّ ذكر أنه يتلوه في

---

(١) وهذه العبارة أيضا غير موجودة في النسخة المطبوعة من كتاب رياض العلماء.

(٢) المرجع نفسه: ٨ / ٢٦٧.

(٣) أفندي ـ عبد اللّه، رياض العلماء: ١ / ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

المجلد الثانيكتاب الزكاة، لكنه لم يبرز من الزكاة شينا..»[1].

كذلك استمرت مدرسة الشهيد الأول في جزين من خلال أولاده الثلاثة؛ وابنته:

١ ـ الشيخ جمال الدين حسن.

٢ ـ الشيخ ضياء الدين أبو القاسم علي.

٣ ـ الشيخ رضي الدين محمد.

٤ ـ الفقيهة فاطمة المدعوة بست المشايخ.

وهكذا استمرت مدينة (جزين) بعد الشهيد الأول «تعطي للفكر الإمامي خلال ثلاثة قرون متتابعة»[2]، إلّا أنّ عوامل كثيرة قد تظافرت وأدت إلى انقراضها بعد ذلك، ومن أهم تلك العوامل النزاع الذي كان قائما بين سكانها العامليين والقبائل المجاورة، فهدد أوضاعها وخسرت مكانتها بعد أن هجرها ساكنوها. وخلت من العلماء والفضلاء، وكانت آخر هجرة منها بعد أربعة قرون تقريبا من اضمحلال مدرستها الفقهية[3].

٢ ـ الشهيد الثاني: زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح العاملي الجبعي الشهيد الثاني (استشهد عام ٩٦٦ هـ):

له ترجمة واسعة في أغلب كتب التراجم، وأمره في الثقة والعلم والفضل والزهد والعبادة والورع والتحقيق والتبحر، وجلالة القدر وعظيم الشأن، وجميع الفضائل

---

(١) الطهراني، الطبقات (الحقائق الراهنة في المائة الثامنة): ٥ / ٦.

(٢) مكي ـ محمد كاظم، منطلق الحياة الثقافية في جبل عامل: ١٠٠ عن مجلة العرفان: ٢٧ / ٤٦٢.

(٣) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ٣٣.

والكمالات، أشهر من أن يذكر، ومحاسنه وأوصافه الحميدة أكثر من أن تحصى وتحصر، ومصنفاته كثيرة مشهورة»[1].

يقول الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل:

«وقد صنّف تلميذه الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن العودي العاملي الجزيني في أحوال شيخنا المذكور تاريخا وقفت على نبذة، وانتخبت منه بعض أحواله..».

والشيخ العودي ـ كما يقول الطهراني ـ من تلاميذ الشهيد الثاني وملازميه سفرا وحضرا كما يظهر من رسالته: «بغية المريد في الكشف عن أحوال زين الدين الشهيد»، ذكر فيه أ نّه تلمذ عليه من (٩٤٥ هـ) إلى أن سافر إلى خراسان في (٩٦٢ هـ)، والأسف أ نّه لا يوجد من الرسالة إلّا المقدار الذي ظفر به الشيخ علي (حفيد الشهيد) وأدرجه بتمامه في (الدر المنثور)، وفيه أنّ الشهيد ولد (٩١١ هـ) واستشهد (٩٦٦ هـ)[2].

لقد أفرد ابن العودي رسالته المهمة في فصول عشرة، إلّا أنّ ثلاثة فصول منها فقط عَثَرَ عليها الشيخ علي العاملي، حفيد الشهيد الثاني وأدرجها في كتابه (الدر المنثور..) والذي طبع مؤخرا في مجلدين، «وكان ابن العودي قد عمل (فهرسا) بمضامين رسالته هذه من خلاله يظهر أنّ الكثير من القضايا التأريخية التي ترتبط بحياة الشهيد، وما جرى له من الأحداث خلال السنوات العشرة الأخيرة من حياته

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٨٥.

(٢) الطهراني، الطبقات؛ «احياء الداثر في القرن العاشر»: ٧ / ٢٢٩ ـ ٢٣٠، وأُنظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٨ / ٥٥.

كانت قد فقدت، ولم يبقَ منها سوى المضامين الدالة على الوقائع التي ألمَّت به»[1].

ومهما يكن من أمر، فقد اتسمت حياة الشهيد الثاني العاملي الجبعي، بالحركة والنشاط وبذل الجهد في سيره التكاملي العلمي والعملي والروحي، «فلم يصرف لحظة من عمره إلّا في اكتساب فضيلة، ووزع اوقاته على ما يعود نفعه في اليوم والليلة» كما يقول تلميذه ابن العودي في رسالته[2].

وكم كنا نتمنى أن تكون رسالة ابن العودي موجودة لننقل منها مباشرة خصائص شخصية الشهيد الثاني، ولكن ـ وللأسف ـ ضاعت هذه الرسالة فيما ضاع لنا من تراث، وضاعت معها كثير من الوقائع والأحداث التي حفت بحياة الشهيد الثاني، فلم يبق إلّا مختصر نقل عنه الحر العاملي وغيره، عند ترجمة الشيخ الشهيدﷺ.

محطات من حياة الشهيد الثاني:

أولاً: نشأته ورحلته العلمية:

نشأ الشهيد الثانيﷺ في بيت علم معروف في جبل عامل، إذ كان أبوه من كبار أفاضل عصره، وكذلك جداه جمال الدين، والتقي، وجدّه الأعلى الشيخ صالح من تلاميذ العلّامة، وكذلك باقي أجداده الثلاثة كانوا أفاضل أتقياء، وفي روضات الجنات: «ان كلا من آبائه الستة المذكورين كانوا من الفضلاء المشهورين»[3]، وأخوه الشيخ عبد النبي، وابن أخيه الشيخ حسن، وبعض عمومته، كانوا علماء أفاضل، وأبناؤه

---

(١) القزويني ـ جودت، المؤسسة الدينية: ٣٣٨.

(٢) ابن العودي، رسالة بغية المريد في الكشف عن أحوال الشهيد، والذي ذكر قسم منها حفيد الشهيد الأول علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين في كتابه: الدرّ المنثور من المأثور وغير المأثور: ٢ / ١٥١، طبعة قم، ١٣٩٨ هـ وعنه الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٨٨.

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١١ / ٧٠، والخوانساري، روضات الجنات: ٣ / ٣٥٢.

تسلسل فيهم العلم والفضل زمانا طويلاً، وسموا بسلسلة الذهب.. وكان ـ الشهيد الثاني ـ واسطة عقدهم وأكثرهم به يعرفون واليه ينسبون والمشهور في جبل عامل أن (آل زين الدين).. هم من ذريته»[1].

وللشهيد الثاني رحلة علمية طويلة تنوعت فيها البلدان، وتعدد فيها المشايخ والرواة والأساتذة، ومن مختلف المذاهب الإسلامية.

بدأ الشهيد رحلته العلمية من مسقط رأسه قرية (جُبع)، ودار بعدها في بلدان عديدة ليعود مرة أُخرى إلى مسقط رأسه، ثمّ يهاجر منها.. وهكذا إلى حين استشهاده.

وقد سجل لنا بنفسه تفاصيل رحلته العلمية، ضمن القطعة التي نقلها ابن العودي حيث يقول: «رأيت قطعة بخطه في تاريخ يتضمن مولده وجملة من أحواله جاء فيها: هذه جملة من أحوالي وتصرف الزمان بي في عمري وتاريخ بعض المهمات التي اتفقت لي: كان مولدي في يوم الثلاثاء (١٣ / شهر شوال / ٩١١ هـ) من الهجرة النبوية، ولا أحفظ مبدأ اشتغالي بالتعليم، لكن كان ختمي لكتاب اللّه العزيز سنة (٩٢٠ هـ) على الوالد﵀ إلى أن توفي سنة (٩٢٥ هـ)»[2].

وبعد أن درس مقدمات العلوم الحوزوية عند والده في جبع، وبعد وفاة والده الذي كان يرعاهُ علميا وماديا إذ «قد جعل له راتبا من الدراهم بازاء ما كان يحفظه من العلم»، ارتحل إلى قرية «ميس» يقول في رسالته: «ثمّ ارتحلت في شهر شوال من تلك السنة (٩٢٥)] أي سنة وفاة والده مهاجرا في طلب العلم إلى (ميس) واشتغلت بها على شيخنا الجليل الشيخ علي بن عبد العالي (قدس اللّه سره) من تلك السنة إلى

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١١ / ٧٤.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٨٨، وللتوسع أُنظر كتاب الدر المنثور من المأثور وغير المأثور: ٢ / ١٥٧ ـ ١٥٨.

أواخر سنة (٩٣٣ هـ) وكان من جملة ما قرأته عليه (شرائع الإسلام) و (الإرشاد) وأكثر (القواعد)، ثمّ ارتحلت في شهر ذي الحجة إلى كرك نوح، وقرأت بها على المرحوم المقدس السيّد حسن بن السيّد جعفر جملة من الفنون، وكان مما قرأته عليه (قواعد) ميثم البحراني في الكلام، و (التهذيب) في أُصول الفقه، و (العمدة الجلية في الأُصول الفقهية) من مصنفات السيّد المذكور و (الكافية) في النحو، وسمعت جملة من الفقه وغيره من الفنون. ثم انتقلت إلى (جبع) وطني زمن الوالد في شهر جمادى الآخرة سنة (٩٣٤)، وأقمت بها مشتغلاً بمطالعة العلم والمذاكرة إلى سنة (٩٣٧ هـ)[١].

وفي ثنايا هذه الترجمة نستنتج مع السيّد الأمين ما يلي: أنّ الحوزات العلمية في منطقة جبل عامل كانوا يقرأون هذه المتون الدراسية التي ذكرها الشهيد مع بيان أدلة المسائل بوجه مطول أو مختصر، وعندما نستعرض أسماء تلك المتون ومؤلفيها نجدها من التراث العلمي لمدرسة الحلة العلمية وعلمائها كالشرائع والقواعد، والإرشاد، والتهذيب..»[٢].

لقد استمرت رحلة الشهيد إلى هذه المناطق قرابة (عشرة أعوام) عاد بعدها إلى وطنه، لتبدأ بعدها مرحلة جديدة في حياته العلمية، حيث توجّه للدراسة في المراكز السنية المزدهرة يومذاك بالشخصيات العلمية في دمشق، والقاهرة، وبيت المقدس،.. في رحلة علمية شيقة وشاقة، درس خلالها مختلف الوان العلوم والمعارف فدرس في كتب الطب، والهيئة، والحكمة، وعلم القراءات القرآنية، والصحيحين، وذلك في

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١١ / ٧٤، والخوانساري، روضات الجنات: ٣ / ٣٥٣.

(٢) المرجع نفسه: ١١ / ٧٤.

سفرته الأُولى والثانية إلى دمشق؛ والتي تخللها عودته إلى مسقط رأسه (جبع) ولمدة خمس سنوات. ليعود بعدها إلى دمشق، ومنها ارتحل إلى القاهرة والتي وصلها سنة (٩٤٢ هـ) بعد رحلة استمرت لمدّة شهر من حين خروجه من دمشق إلى حين وصوله القاهرة، تخللها كرامات وألطاف إلهية ذكرت في رسالة تلميذه ابن العودي، وفي القاهرة اشتغل بالتحصيل العلمي على جماعة كثيرة من علمائها عد منهم ستة عشر شيخا، وهم من علماء المذاهب الأربعة، فدرس عندهم أُمهات كتبهم الفقهية والأُصولية والحديثية مع شروحها وحواشيها المتعددة.

بالاضافة إلى العلوم الأُخرى والتي كان معروفا تدريسها آنذاك في حوزات العلم، كعلم الهيئة، والهندسة، والمنطق، وبالاضافة إلى العلوم اللسانية والبيانية كعلم العروض، والقوافي، وشروح الألفية.. ومن مصر ارتحل إلى الحجاز في (١٧ / شوال / ٩٤٣ هـ)، وبعد الحج والعمرة عاد إلى وطنه (٩٤٤ هـ).

وهذه الرحلة العلمية القصيرة في عمر الزمن، إذ إن (مدة مقامه بمصر ١٨ شهرا ويومين)[1] والتي كانت حافلة بالحركة والنشاط العلمي، ومجالسة العلماء والأخذ منهم، ومناظرتهم، والاستجازة منهم.. قد تكون من العجائب في أيامنا هذه، والتي تكاسل فيها بعض طلّاب العلم فنجدهم يقضون سنوات طويلة من عمرهم وهم لا يتجاوزون بعض الكتب وبعض المشايخ.

والذي يبدو من تفاصيل هذه السفرة العلمية إلى القاهرة، والفترة التي قضاها في معاهدها ومدارسها العلمية، أ نّها «من أغزر فترات المعرفة التي حصل عليها زين الدين في سني نضجه العلمي، وهو ابن الحادية والثلاثين، والتي استمرت عاما،

---

(١) الأمين ـ محسن، الأعيان: ١١ / ٧٥ ـ ٧٧.

ونصف العلم»[1].

ليعود بعدها إلى وطنه وهو في قمة نضوجه العلمي، حيث يصف لنا تلميذه ابن العودي في رسالته عودة أُستاذه فيقول:

«وكان قدومه إلى البلاد كرحمة نازلة أو غيوث هاطلة، أحيا بعلومه نفوسا أماتها الجهل، وازدحم عليه أُولو العلم والفضل، كأنَّ أبواب العلم كانت مقفلة ففتحت، وسوقه كانت كاسدة فربحت، وأشرقت أنواره على ظلمة الجهالة فاستنارت، وابتهجت قلوب أهل المعارف، وأضاءت أشهر ما اجتهد في تحصيله منه، وأشاع وظهر من فوائده ما لم يطرق الأسماع، رتب الطلّاب ترتيب الرجال، وأوضح السبيل لمن طلب، وفي هذه السنة ترشح ببرود الاجتهاد وأفاض مولاه عليه من السعادة ما أراد، إلّا أنه بالغ في كتمان أمره..».

ثمّ يذكر ابن العودي أن الشهيد قد أخبره ببلوغه درجة الاجتهاد فيقول: «أخبرني ـ قدّس اللّه لطيفه ـ وكان في منزلي بجزين متخفيا من الأعداء ليلة الاثنين (١١ / صفر / ٩٥٦ هـ)، ان ابتداء أمره في الاجتهاد كان سنة (٩٤٤ هـ)، وأن ظهور اجتهاده وانتشاره في سنة (٩٤٨ هـ) فيكون عمره لما اجتهد (٣٣ سنة)، وكان في ابتداء أمره يبالغ في الكتمان وشرع في شرح الارشاد ولم يبده لأحد..»[2].

ثانيا: رحلته السياسية إلى عاصمة الخلافة العثمانية:

مكث الشهيد في قريته (جبع) إلى أواخر سنة (٩٥١ هـ) مشتغلاً بمطالعة العلم

---

(١) القزويني ـ جودت، المؤسسة الدينية: ٣٣٢.

(٢) الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٨٨ ـ ٧٨، والدر المنثور: ٢ / ١٦٨، ١٨٣.

ومذاكراته..»[1]، سافر خلالها إلى العراق للزيارة فقط، إلّا أنه قد التقى ببعض فضلاء العراق وكان منهم شرف الدين السماك الصحبي أحد تلامذة الشيخ علي بن عبد العالي الكركي الذي أخذ على الشهيد العهد عند قبر أمير المؤمنين، إلّا ما أخبره ان كان مجتهدا؟ وبعد رجوعه إلى (جبع) كانت بين الشهيد وبين فضلاء العراق مراسلات تضمنت سؤالات ومباحث وايرادات، أجاب عنها الشهيد.

كذلك سافر للزيارة إلى بيت المقدس، واجتمع اثناءها بالشيخ شمس الدين المقدسي، وقرأ عليه بعض صحيح مسلم، وأجازه اجازة عامة[2].

وفي أواخر سنة (٩٥١ هـ) عزم على السفر إلى عاصمة الخلافة العثمانية (القسطنطينية).

وليس لدينا معطيات واضحة عن أسباب سفره إلى هذه الجهة، والتي كانت على خلاف ميوله النفسية، وقد عبَّر عن سفره بقوله: «ثمَّ برزت لي الأوامر الإلهية والاشارات الربانية (يشير إلى الاستخارة) بالسفر إلى جهة الروم والاجتماع بمن فيها من أهل الفضائل والعلوم، والتعلق بسلطان الوقت والزمان، السلطان سليمان ابن عثمان، وكان ذلك على خلاف مقتضى الطبع وسياق الفهم..»[3].

ويستنتج أحد الباحثين ـ ومن خلال ما ذكره الشهيد حول هذه الرحلة ـ «أنّ زين الدين كان قد تدارس موضوع رحلته مع عدد من الشخصيّات العلمية والاجتماعية في بلاد الشام؛ في محاولة لتصحيح الفهم السائد الذي يقرّر ربط الشيعة العرب بعجلة الامبراطورية الصفوية، وحفظ الكيان الشيعي فيها من الاضطهاد والتبعية، ومن ثَمَّ

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٧٨.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) الأمين، الأعيان: ١١ / ٧٨.

إقامة الروابط السليمة مع فقهاء البلاط العثماني، وتحسين صورة الشيعة..».

وهنالك مبرر آخر لهذه السفرة يذكرها الباحث نفسه بقوله: «ويبدو أنَّ حوادث العنف كانت قد طالت بعض رجال الشيعة في بلاد الشام في هذا العام نفسه.. فإنَّ السلطة الحكومية في بلاد الشام كانت تمارس العنف ضد الشيعة، بسبب الأوضاع السياسية المضطربة التي يمر بها العثمانيون في قبالة الحكم الصفوي، الأمر الذي دعا الشهيد الثاني أن يقرر السفر إلى عاصمة الخلافة الإسلامية في محاولة لإفهام السلطة العليا بضرورة حفظ كيان الشيعة، وعدم انخراط علمائهم في المشاريع السياسية للدولة الصفوية»[١].

إلّا أنّ هذا الاستنتاج وإن كان معقولاً إلى حد ما في حد ذاته، إلّا أنّه لا يستند إلى ما يؤيده من النصوص التاريخية، والتي سجلت تفاصيل هذه الرحلة باسهاب وتفصيل، فيبقى ما ذكره هذا الباحث في حيز الاستظهار والاستنتاج والتحليل.

ومهما يكن من أمر في أسباب ومبررات هذه السفرة، فإنها لم تكن بالسفرة الهينة، وإنما كانت شاقة وطويلة سجل فصولها الشهيد بقلمه على طريقة الرحالة المشهورين، واستمرت هذه الرحلة من (١٢ / ذي الحجة / ٩٥١ هـ) إلى (١١ / رجب / ٩٥٢ هـ) بدأت بمدينة دمشق مرورا بحلب والمدن التركية، وصولاً إلى مدينة القسطنطينية والتي أقام فيها الشهيد مدة: «ثلاثة أشهر ونصف» ثمّ خرج منها إلى العراق في (شعبان سنة ٩٥٢ هـ) للزيارة، ثمّ وصل إلى بلده في شهر صفر سنة (٩٥٣ هـ)[٢].

---

(١) القزويني ـ جودت، تاريخ الموسسة الدينية: ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٢) للتوسع في تفاصيل هذه الرحلة أُنظر، الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٧٩ ـ ٨٣.

ثالثا: اقامته في بعلبك:

عاد الشهيد إلى وطنه (جبع) بعد أن أُوكلت إليه مهمة تدريس الفقه على المذاهب الخمسة في المدرسة النورية، إحدى مدارس بعلبك الرسمية، كما أُوكل لزميله الشيخ حسين بن عبد الصمد ـ والد الشيخ البهائي ـ التدريس في إحدى مدارس مدينة بغداد[1].

انتقل الشهيد إلى مدينة (بعلبك) ليمارس مهمة التدريس والافتاء، يقولؒ في رسالته: «ثمَّ أقمنا ببعلبك، ودرّسنا فيها مدة في المذاهب الخمسة وكثير من الفنون وصاحبنا أهلها على اختلاف آرائهم أحسن صحبة وعاشرناهم أحسن عشرة وكانت أياما ميمونة، وأوقاتا بهجة ما رأى أصحابنا في الاعصار مثلها،.. ثم انتقلنا عنهم إلى بلدنا (جبع)» بنية المفارقة امتثالاً لأمر إلهي.. وأقمنا في بلدنا إلى سنة (٩٥٥ هـ) مشتغلين بالدرس والتصنيف.

قال ابن العودي: «هذا آخر ما وجدته بخطِّه الشريف مما نسبته إليه من التاريخ، كان خاتمة أوقات الأمان والسلامة من الحدثان، ثمّ نزل به ما نزل»[2].

لم يمكث الشهيد الثاني في بعلبك للتدريس إلّا سنوات معدودة، إلّا انها كانت سنوات «ميمونة وأوقاتها بهجة» كما يصفها بنفسه في رسالته.

ويصف لنا ابن العودي أوضاع بعلبك سنوات إقامته مع أُستاذه فيها بقوله: «كنتُ في خدمته في تلك الأيام، ولا أنسى وهو في أعلى مقام، ومرجع الأنام، وملاذ الخاص والعام، ومفتي كل فرقة بما يوافق مذهبها، ويدرس في المذاهب كتبها، وكان له في

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٨٠ ـ ٨١.

(٢) المرجع نفسه: ١١ / ٨٣.

المسجد الأعظم بها درس مضافا إلى ما ذكر، وصار أهل البلد كلهم في انقياده ومن وراء مراده، بقلوب مخلصة في الوداد وحسن الاقبال والاعتقاد، وقام سوق العلم بها على طبق المراد، ورجعت إليه الفضلاء من أقاصي البلاد»[1].

ولم يفصح الشهيد الثاني عن سبب انتقاله من (بعلبك) إلى بلده (جبع) سوى الاشارة إلى أنه امتثال لأمر الهي! إلّا أن وصف ابن العودي لأحوال بعلبك أيام مكوث الشهيد فيها، تكشف لنا أن الشهيد قد شكل مرجعيةً محورية انقاد لها أهل البلد، ورجعت إليه الفضلاء من أقاصي البلاد.

ولم يكن هذا الأمر، بالأمر الذي يمكن أن يتحمله خصومه والمتربصون به وحساده! وهذا ما سوف نشير إليه عند الحديث عن ملابسات استشهاده وأسبابها.

وحاول بعض الباحثين أن يجعل من التصعيد العسكري الصفوي ـ العثماني، والذي اندلع بين الدولتين سنة (٩٥٥ هـ).. هو السبب: «الذي حمل الشهيد الثاني في العام نفسه إلى ترك التدريس في المدرسة النورية، والاعتكاف في بلدته (جبع) متفرغا للتأليف والتدريس، حتى زوال شبح هذه الأحداث التي باتت تنعكس.. على شيعة بلاد الشام عامة، وعلى العامليين خاصة»[2].

وقد يكون هذا السبب وجيها من حيث انعدام الأمن والاستقرار، إلّا أنه لم يكن السبب الرئيسي لانزواء الشهيد عن الحياة الاجتماعية كما سوف يأتينا لاحقا.

رابعا: الشهيد الثاني، سنوات الاضطهاد والتخفي:

عاش الشهيد الثاني في السنوات العشرة الأخيرة من حياته الكريمة في حالة من

---

(١) العاملي ـ علي زين الدين، الدر المنثور في المأثور وغير المأثور: ٢ / ١٨٢.

(٢) القزويني ـ جودت: ٣٣٦.

التخفي والاضطهاد المعنوي، وكانت الاخطار تحدق به من كلِّ جانب، حتى انه كان يترقب أن يؤخذ على حين غرة.

ولم يجد ملاذا يختفي فيه آمن من بيت تلميذه الوفي (ابن العودي).

ويؤرخ تلميذه ابن العودي لفترة تخفي أُستاذه عنده فيقول: أخبرني (قدّس اللّه لطيفه) وكان في منزلي (بجزين) متخفيا من الأعداء ليلة الاثنين حادي عشر شهر صفر سنة (٩٥٦) ست وخمسين وتسعمائة..»[١].

فإذا علمنا أن استشهاده كان سنة (٩٦٥ هـ) فهذا يعني أن فترة الاختفاء المحفوف بالمخاوف والاضطراب قد امتدت لعشر سنوات متواصلة، وهي سنوات عصيبة في حياة الشهيد الثاني ضاعت علينا الكثير من تفاصيلها وملابساتها ولم تصلنا حتى من خلال رسالة ابن العودي (بغية المريد) والذي خصص فصلاً كاملاً لهذه السنوات العجاف، فقال في فهرست هذا الفصل ما يلي: «الفصل الثامن في ذكر ما عُرض له من الأخاويف، وما نزل به من الأراجيف، وما يتبع ذلك من التستر واخفاء نفسه في النازلات من الأعداء وأهل السعايات، وما وقع في خلال ذلك بيننا من المراسلات»[٢]، إلّا أن هذه التفاصيل لم يبق منها إلّا عناوينها، وضاعت علينا الكثير من المعلومات التفصيلية عن حياة الشهيد في سنواته الأخيرة.

إلّا أنّ تاريخ بعض الاجازات العلمية التي منحها لبعض تلامذته كذلك تاريخ بعض مؤلفاته تشير إلى أن الشهيدﷺ رغم حالة التخفي والاضطهاد لم تفتر همته عن مواصلة مشواره العلمي وممارسة نشاطاته العلمية على مستوى التدريس، والتأليف،

(١) الخوانساري، روضات الجنات: ٣ / ٣٧٣، والدر المنثور: ٢ / ١٨٣.

(٢) الدر المنثور: ٢ / ١٥٢.

ومنح الاجازات العلمية لطلّابه، طوال الفترة التي كان مطاردا فيها، ومغيبا نفسه عن الأنظار عن أعدائه والمتربصين به.

«ففي هذه الفترة كتب مؤلفا من أهم المؤلفات التي اشتهر بها وهو (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية)، حيث فرغ من شرح المجلد الأول أوائل شهر ربيع الأول سنة (٩٥٦ هـ)، في مدة ثلاثة أشهر، وستة أيام، وأنهى المجلد الثاني ليلة السبت (٢١ جمادى الأُولى) سنة (٩٥٧ هـ)، كما صدرت عنه اجازة لتلميذه الشيخ إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي تاريخها (١٤ / رجب / ٩٥٧ هـ)، واجازة أُخرى لتلميذه السيّد علي الصائغ في (١١ / جمادى الأُولى / ٩٥٨ هـ) وأنهى في (٨ / رجب / ٩٥٨ هـ) كتابه (تمهيد القواعد)»(١).

ومهما يكن من أمر، فإن الشهيد قد تعرّض في العشرة الأخيرة من حياته الشريفة إلى اضطهاد ومضايقة، ومتابعة أمنية من قبل السلطة الحاكمة.. الأمر الذي الجأه إلى التخفي والتستر في بعض تلك الأوقات العصيبة.

وليس بين أيدينا تفاصيل تاريخية يمكن أن نرسم من خلالها معالم سنوات المحنة والاضطهاد من حياة الشهيد، فتبقى في دائرة مبهمة يلفها الكثير من الغموض والضبابية.

وأما الأسباب الموضوعية التي أدت إلى تضييق الخناق ومحاصرة الشهيد والعزلة الاجتماعية التي اختارها مرغما.. فقد حاول بعض المترجمين لسيرة الشهيد أن يرجعها إلى العداوة الشخصية، والحسد، والبغضاء.. وذلك للمكانة العليا التي تبوأها

---

(١) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٣٣٩، وأُنظر، الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١١ / ٢٩١، والمجلسي، بحار الأنوار الاجازات: ١٠٨ / ١٣٧ ـ ١٣٩.

الشهيد، فقال: «وربما يكون السبب في هذا الضغط الشديد، الإقبال الهائل الذي لقيه (الشهيد) حين وجوده ببعلبك، إذ كانت النفوس المريضة لا تروق لها أن يكون لهذا الإنسان العظيم مثل هذه المكانة السامية والسمعة الطيبة التي غطت شهرة الآخرين في (بعلبك)»[1].

إلّا أن باحثا آخر يرى أن السبب يكمن في: «الحوادث التي كانت تدور رحاها في صراع الامبراطوريتين الصفوية الإيرانية، والعثمانية التركية، والتي انعكست أحداثها بشكل أو بآخر على شيعة بلاد الشام، وعلى الزعامة المتمثلة بـ (الشهيد) والذي كان يمثل الشخصية الشيعية الأُولى في تلك البلاد.. وقد استغل بعض المتنفذين داخل جهاز المؤسسة الدينية السنية الرسمية ظروف الصراع هذه للوقيعة بالشهيد»[2].

خامسا: قصّة مقتل الشهيد الثاني:

تتفق الروايات التاريخية في نصوصها المتعددة أن الشيخ زين الدين قد ترك بلاده (جباع) وخرج متخفيا إلى مكة والقي عليه القبض فيها وأُخرج منها إلى القسطنطينية فقتل في الطريق إليها، أو قتل فيها ـ على اختلاف الروايات ـ

ونكرر أسفنا لأنا لا نجد في رسالة تلميذه الوفي ـ ابن العودي ـ تفاصيل ما جرى للشهيد بعد اعتقاله في مكة، سوى اشارة إلى عناوين الفصل العاشر من رسالته (بغية المريد..) والتي جاء في فهرستها ما يلي: «والعاشر في اضطراب الأخبار في تحقيق الأحوال بعد أخذه من الحجاز إلى الروم، وما انتهى إليه الحال حتى صار من

---

(١) أُنظر، الآصفي، مقدمة اللمعة: ١ / ١٧٤.

(٢) القزويني، المؤسسة الدينية: ٣٤٠.

المعلوم»[1].

ليس لدينا في النصوص التاريخية ما يشير بدقة إلى سنة خروجه إلى مكة؛ وهي السنة التي استشهد فيها بعد انتهائه من أداء فريضة الحج، إلّا أن اجازته للشيخ تاج الدين بن هلال الجزائري والتي كتبها بمكة المعظمة ينص تاريخها على الرابع عشر من ذي الحجة سنة (٩٦٤ هـ)[2].

وقد تكون هذه الاجازة آخر ما صدر من قلمه الشريف، وهي تحدد لنا سنة استشهاده.

ويحدثنا الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل عن سبب قتل الشهيد وملابساتها فيقول: «وكان سبب قتله ـ على ما سمعته من بعض المشائخ ورأيته بخط بعضهم ـ أنه ترافع إليه رجلان فحكم لأحدهما على الآخر، فغضب المحكوم عليه، وذهب إلى قاضي صيدا واسمه (معروف).. فأرسل القاضي إلى (جبع) من يطلبه ـ وكان مقيما في كرم له مدة منفردا عن البلد متفرغا للتأليف ـ فقال له بعض أهل البلد: قد سافر عنا مدة، فخطر ببال الشيخ أن يسافر إلى الحج ـ وكان قد حج مرارا لكنه قصد الاختباء ـ فسافر في محمل مغطى، وكتب قاضي صيدا إلى سلطان الروم، أنه قد وجد ببلاد الشام رجل مبدع خارج عن المذاهب الأربعة، فأرسل السلطان رجلاً في طلب الشيخ، وقال له: ائتني به حيا حتى أجمع بينه وبين علماء بلادي، فيبحثوا معه، ويطلعوا على مذهبه، ويخبروني فأحكم عليه بما يقتضيه مذهبي.

فجاء الرجل، فأُخبر أن الشيخ توجه إلى مكة، فذهب في طلبه فاجتمع به في طريق

---

(١) الدر المنثور: ٢ / ١٥٣.

(٢) الطهراني، الذريعة: ١ / ١٢٦.

مكة، فقال له: تكون معي حتى نحج بيت اللّه ثمّ افعل ما تريد، فرضي بذلك، فلما فرغ من الحج سافر معه إلى بلاد الروم، فلما وصل إليها رآه رجل فسأله عن الشيخ، فقال: رجل من علماء الشيعة الإمامية أُريد أن أُوصله إلى السلطان، فقال: أو ما تخاف أن يخبر السلطان بأنك قد قصرت في خدمته وآذيته وله هناك أصحاب يساعدونه فيكون سببا لهلاكك، بل الرأي أن تقتله وتأخذ برأسه إلى السلطان، فقتله في مكانه من ساحل البحر.. وأخذ الرجل رأسه إلى السلطان، فأنكر عليه وقال: أُمرتك أن تأتيني به حيا فقتلته! وسعى السيّد عبد الرحيم العباسي في قتل ذلك الرجل فقتله السلطان»[1].

وقد أرخ السيّد الأمين في الأعيان سنة استشهاده بقوله: «استشهد يوم الجمعة في شهر رجب سنة (٩٦٦ هـ) كما في نقد الرجال أو (٩٦٥ هـ) كما عن خط ولده الشيخ حسن، وعمره (٥٤) أو (٥٥) سنة، وعن تاريخ جهان آرا الفارسي أنه استشهد يوم الخميس سنة (٩٦٥ هـ) في العشر الأواسط من السنة المذكورة»[2].

وذكر البحراني في لؤلؤة البحرين: «وجدتُ في بعض الكتب المعتمدة في حكاية قتله ﵀ ما صورته: «قُبض شيخنا الشهيد الثاني ـ طاب ثراه ـ بمكة المشرفة بأمر السلطان سليم ملك الروم في خامس شهر ربيع الأول سنة خمسة وستين وتسعمائة، وكان القبض عليه بالمسجد الحرام بعد فراغه من صلاة العصر، وأخرجوه إلى بعض دور مكة وبقي محبوسا هناك شهرا وعشرة أيام، ثمّ ساروا به على طريق البحر إلى قسطنطينية وقتلوه بها في تلك السنة...»[3].

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ١/ ٩٠ ـ ٩١.

(٢) الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٦٨.

(٣) البحراني، لؤلؤة البحرين: ٣٤.

* **كرامات الشهيد ومرقده:**

ومهما يكن من تاريخ استشهاد الشيخ زين الدين، إذ لا نجد اختلافا كبيرا بين التاريخين (٩٦٥ هـ) و (٩٦٦ هـ)، إلّا أنّ هناك بعض الارهاصات والتنبؤات التي سبقت استشهاده، كما أن هناك بعض الوقائع والأحداث حصلت بعد استشهاده والتي يمكن عدها بمثابة الكرامات والألطاف الإلهية لهذا الشهيد السعيد الخالد.

ومن هذه الكرامات ما ينقله السيّد الأمين في الأعيان عن بعض مؤلفات الشيخ البهائي قال: «أخبرني والدي أنه دخل في صبيحة بعض الأيام على شيخنا الشهيد الثاني، فوجده مفكرا فسأله عن سبب تفكيره؟ فقال: يا أخي؛ أظن أني سأكون ثاني الشهيدين، أو ثاني شيخنا الشهيد في الشهادة لأني رأيت البارحة في المنام أن السيّد المرتضى علم الهدى عمل ضيافة جمع فيها العلماء الإمامية بأجمعهم في بيت، فلما دخلت عليهم قام السيّد المرتضى ورحّب بي وقال لي: يا فلان اجلس بجنب الشيخ الشهيد فجلست بجنبه، فلما استوى بنا المجلس انتبهت. ومنامي هذا دليل على أني أكون تاليا له في الشهادة»[1].

ومنها: أنه وجد في تلك الليلة التي قتل فيها في نهارها على جسده المطهر نورا يمتد إلى السماء وعلى صدره رقعة فيها مكتوب: «ربّ اني مغلوب فانتصر» وعلى وجهها الآخر «ان كنت عبدي فاصطبر»[2].

ومما يذكر في هذا المجال أيضا: «انه مرَّ على مصرعه المعروف في زمن حياته ومعه والد الشيخ البهائي، فلما رأى ذلك المكان تغيّر لونه وقال سيهرق في هذا

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٩٠.

(٢) الخوانساري، روضات الجنات: ٣ / ٣٨٣.

المكان دم رجل، فظهر بعد ذلك انه كان يعني نفسه.. ولا ريب أنه من كراماته، رحمه اللّه وأسكنه جنان الخلد»[1].

وينقل صاحب رياض العلماء قصة رؤيا للشيخ محمد الجباني، والتي تشتمل على بعض أحوال الشهيد الثاني، وهي قصة رؤيا طويلة اختصرها صاحب الأعيان وشكك في صحتها[2]. وهنالك جملة من الكرامات والألطاف الإلهية لهذا العبد الصالح سجلها ابن العودي في سيرة أُستاذه.

وأما عن محل دفنه، والمثوى الأخير للشهيدﷺ، فقد اختلف في محل قتل الشهيد وتبعا لذلك اختلف في محل دفنه، يقول صاحب الرياض: «ثمّ الذي يظهر من قول الأمير مصطفى.. أن قتل الشهيد الثاني وقع في قسطنطينية، وما قاله الشيخ المعاصر يدل على أنه قتل في الطريق، وكان هذا الاختلاف فيما نحن سمعناه من المشايخ أيضا»[3].

وفي لؤلؤة البحرين: «ساروا به على طريق البحر إلى قسطنطينية، وقتلوه بها في تلك السنة، وبقي مطروحا ثلاثة أيام، ثمّ ألقوا جسده الشريف في البحر..»[4].

وينقل السيّد الأمين عن كتاب المقامات للسيّد نعمة اللّه الجزائري: «أنهم بنوا عليه بناء خارج استانبول يسمى مزار الدين..»[5].

وفي أمل الآمل: «قتله في مكانه من ساحل البحر، وكان هناك جماعة من التركمان

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٩٠، وأُنظر، الدر المنثور للشيخ علي سبط الشهيد: ٢ / ١٨٩ ـ ١٩٠.

(٢) أُنظر، أفندي ـ عبد اللّه، رياض العلماء: ٢ / ٣٧٧ ـ ٣٨١، والأعيان: ١١ / ٩١ ـ ٩٢.

(٣) المرجع نفسه: ٢ / ٣٧٦.

(٤) البحراني، لؤلؤة البحرين: ٣٤.

(٥) الأمين، الأعيان: ١١ / ٩١.

فرأوا في تلك الليلة أنوارا تنزل من السماء وتصعد، فدفنوه هناك وبنوا عليه قبة»[١].

وهكذا مضى الشيخ زين الدين العاملي إلى ربه شهيدا مظلوما غريبا، ولكنه بقي حيا يذكر مادامت آثاره باقية وهي لم تندثر مدى الدهر.

فسلام اللّه ورحمته ورضوانه عليه.

سادسا: الآثار العلمية للشهيد الثاني:

لقد قدر للشهيد الثاني أن يبقى خالدا من خلال نشاطه العملي الذي تحدثنا عن جانب منه، والذي تمثل في التدريس والتربية والتعليم حيث تخرّج على يديه نُخبة من الفقهاء والفضلاء ممن واصل مسيرة العلم من بعده.

وبالاضافة إلى هذا وذاك فقد أنكب الشهيد على التأليف والتصنيف فخلف للأُمة الإسلامية عامة، وللمكتبة الشيعة خاصة، مؤلفات قيمة كثيرة متنوعة تعد بحد ذاتها مكتبة علمية متكاملة، وتشكل ثروة ضخمة تداولها من بعده الفقهاء وطلّاب العلم بالتدريس والتحقيق والبحث.

لقد تنوعت مؤلفات الشيخ الشهيد الثاني، وعدَّ في بعض العلوم من المبتكرين، فقد «عُدّ في نظر الباحثين أول من كتب من الشيعة في علم دراية الحديث، وكذلك عُدّ أيضا بأنه أول من أدخل الشرح المزجي في الفقه في كتب الإمامية، يقول ابن العودي: «أ مّا رغبته في الشروح المزج فإنّه لما رآها للعامة، وليس لأصحابنا منها، حملته الحمية على ذلك، ومع ذلك فهي في نفسها شيء حسن»[٢].

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٩١.

(٢) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٣٥٣ عن الدر المنثور: ٢ / ١٨٥، وأُنظر، الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٨٦.

واتصفت مؤلفاته بالدقة العلمية وحسن البيان، وسلاسة التعبير مع الاتقان والابداع، كما يصف لنا ذلك ابن العودي في حديثه عن جانب التأليف والتصنيف من حياة أُستاذه الشهيد فيقول: «هو عالم الأوان ومصنّفه، ومقرط البيان ومشنفه، بتآليف كأنها الخرائد وتصانيف أبهى من القلائد، وضعها في فنون مختلفة وأنواع، وأقطعها ما شاء من الاتقان والابداع، وسلك فيها مسلك المدققين، وهجر طريق المتشدقين»[١].

وقائمة فهرست مؤلفات الشهيد الثاني طويلة ذكر أسماء معظمها الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل[٢] وذكر منها السيّد الأمين في الأعيان (٧٩) عنوانا[٣].

وفيما يلي أهم مؤلفات الشهيد الثاني بحسب موضوعاتها:

أولاً: الفقه:

روض الجنان في شرح ارشاد الأذهان للعلّامة الحلي؛ «وهو شرح مزج خرج منه مجلد في الطهارة والصلاة...»[٤]، والذي يبدو ومن خلال رسالة ابن العودي أن هذا الشرح هو أول ما أفرغه في قالب التصنيف بطريق الشرح المزجي؛ قال: «.. وكان ـ أي الشهيد ـ في ابتداء أمره يبالغ في الكتمان، وشرع في شرح الارشاد ولم يبده لأحد، وكتب منه قطعة ولم يره أحد، فرأيت في منامي ذات ليلة أن الشيخ على منبر عال وهو يخطب خطبة ما سمعت مثلها في البلاغة والفصاحة فقصصت عليه الرؤيا فدخل إلى البيت وخرج وبيده جزء، فناولني إياه فنظرته فإذا هو شرح الارشاد قد اشتمل على

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٨٦ عن الدر المنثور: ٢ / ١٥٤.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٨٦ ـ ٨٧.

(٣) أعيان الشيعة: ١١ / ٨٦ ـ ٨٩.

(٤) الطهراني، الذريعة: ١١ / ١٩٨.

خطبته المعروفة.. وقال أعلى اللّه درجته: «هذه الخطبة التي رأيتها»، وأمرني أن اطالع الجزء خفية، وكان كلما فرغ من جزء يأتيني به فأُطالعه»[1]، وللكتاب طبعات متعددة آخرها طبعة جامعة المدرسين في قم، وهي طبعة محققة في مجلدات متعددة.

٢ ـ مسالك الافهام في شرح شرائع الإسلام:

وهو شرح على شرائع المحقق الحلي فيه تمام الفقه، مختصر في العبادات، مطول في سواها، وصفه المصنّف بأنه من أجل مصنفاته... وعمل ربيبه السيّد محمد صاحب المدارك في العبادات تداركا لاختصار المسالك، والمسالك عليه معول المؤلفين والمدرسين والمجتهدين مطبوع عدّة طبعات في مجلدين كبيرين»[2].

وقد طبع كتاب المسالك محققا في (١٣) مجلدا من قبل مؤسسة المعارف في قم سنة (١٤١٣ هـ)، ومن طريف ما قيل في هذا الكتاب ما قاله ولد المؤلف الشيخ حسن من أبيات في مدح كتاب المسالك لوالده جاء فيها:

لـولا كتـاب مسـالك الافهـام ... مـا بـان نهـج شـرائع الإسـلام
كلا ولا كشف الحجـاب مؤلـف ... عن مشكلات غوامض الأحكـام
قـد زينتـه حقـائق ودقـائق ... خضـعت لهـن نواصـب الأفهـام
وحـوت صـحائفه نفـيس فرائـد ... قـد نظمـت بنهايـة الإحكـام[3]

٣ ـ شروح الألفية للشهيد الأول:

قال السيّد الأمين: «قال بعضهم إنّ له ثلاثة شروح على الألفية، مطول ومتوسط

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٧٨، وأُنظر، أمل الآمل: ١ / ٨٦ عن الدر المنثور: ٢ / ١٨٣.

(٢) المرجع نفسه: ١١ / ٨٦.

(٣) المرجع نفسه.

ومختصر، وبعضهم قال: إن له المقاصد العلية في شرح الألفية، وحاشيتين على الألفية وسطى وصغرى، تكتب على الهامش لتقييد الفتوى، واستظهرنا أن يكون الشرحان هما الحاشيتان، وذلك ان الشهيد ـ الأول ـ لما رأى رواية يستفاد منها أن الصلاة لها ألف واجب، صنّف رسالة سماها الألفية جمع فيها ألف واجب تصديقا لهذا الحديث، فشرحها الشهيد الثاني بهذه الشروح الثلاثة»[1].

٤ ـ الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية:

وهو شرح مزجي على المختصر الفقهي «اللمعة الدمشقية» للشهيد الأول، وهو آخر ما صنّفه الشهيد وأُعطي حظا عظيما في التدريس، فكان عليه المعول. عمله في ستة أشهر وستة أيام، وكان في الغالب يكتب كل يوم كراسا حتى فرغ منه خاتمة ليلة السبت (٢١ / جمادى الأُولى / سنة ٩٥٧ هـ)[2].

وشهرة كتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) والذي لا يزال محور الدراسات الفقهية في الحوزات العلمية والمعاهد الدينية الشيعية؛ تغني عن التعريف به.

وقد يكون كتاب (الروضة البهية) من أهم مؤلفات الشهيد الثاني الفقهية،وأوسعها انتشارا، إلّا أنه لم يكن آخر تآليف الشهيد الثاني كما اعتقد بذلك السيّد الأمين في أعيانه[3]، فإن الشهيد الثاني قد كتب بعد سنة (٩٥٧ هـ) عدّة مؤلفات منها: رسالته في وجوب صلاة الجمعة، والتي أ لّفها الشهيد في ربيع الأول سنة (٩٦٢ هـ) أي قبل

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٨٦، والذريعة: ٢ / ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١١ / ٨٦.

(٣) الأمين ـ محسن، الأعيان: ١١ / ٨٦.

وفاته بأربع سنوات[1].

ومنها: الجزء الرابع ـ بحسب تجزئة المؤلف ـ من كتابه الفقهي «مسالك الافهام في شرح شرائع الإسلام» والذي فرغ منه سنة (٩٦٣ هـ) وفرغ من الكتاب سنة (٩٦٤ هـ)[2].

ومنها: كتابه المشهور «تمهيد القواعد الأُصولية والعربية» والذي فرغ منه في شهر محرم سنة (٩٥٨ هـ)، بحسب النسخة المخطوطة التي اطلع عليها بعض الباحثين[3]، بالاضافة إلى مؤلفات أُخرى وبعض الاجازات العلمية.

يبقى أن نشير إلى أن كتاب «الروضة البهية» يعتبر من الكتب الفقهية الاستدلالية، إذ إن الشهيد الثاني يتوقف عند عبارة الشهيد الأول، ويشير ـ في أكثر الأحيان ـ إلى الدليل الذي استند إليه، ثمّ يبين بعض الآراء الفقهية التي لها أهميتها، وقد يوافق الشهيد الأول في بعض آرائه، وقد يردها إذا كان لا يراها صوابا برأيه، ويبدي آراءه الفقهية الخاصة به إذا كان له رأي خاص في الموضوع[4].

وقد استحوذ هذا الكتاب الفقهي على اهتمام العلماء فكتبت عليه الحواشي والشروح الكثيرة والتي أحصى منها الشيخ الطهراني ما يقرب من تسعين حاشيةً وشرحا[5].

---

(١) الطهراني، الذريعة: ١٥ / ٥٣.

(٢) الطهراني، الذريعة: ٢٠ / ٢٤٦.

(٣) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٣٥٧.

(٤) الآصفي، مقدمة اللمعة: ١ / ١٧٦.

(٥) الطهراني، الذريعة: ٦ / ٦٦ ـ ٢ و ١٣ / ١٧٧ ـ ١٨٠.

٥ ـ الشروح والحواشي الفقهية:

وقد اهتم الشهيد الثاني بالتراث الفقهي لمدرسة الحلة كالمحقق والعلّامة الحليين، واهتم بالدرجة الأُولى بتراث الشهيد الأول الفقهي والذي ينتسب بدورة لمدرسة الحلة إذ الشهيد الأول من خريجي مدرستها الفقهية كما مرّ بنا.

وبالإضافة إلى ما ذكرنا من شرح الارشاد للعلّامة، ومسالك الافهام في شرح شرائع الإسلام، وشرح الألفية.. نجد أيضا في التراث الفقهي للشهيد الثاني شروحا وحواشي على بعض الكتب الفقهية الأُخرى كحاشيته على «قواعد الاحكام» للعلّامة الحلي، وكذلك حاشيته على (المختصر النافع)، أو شرحه (للرسالة النفلية) للشهيد الأول، بالاضافة إلى رسائل مستقلة لبعض الأبواب الفقهية كمسائل أحكام المسافر، ورسالته في أحكام الحبوة، وجواهر الكلمات في صيغ العقود والايقاعات، والكثير من الرسائل الأُخرى التي لا يمكن استيعابها هنا[1].

ثانيا: أُصول الفقه:

١ ـ تمهيد القواعد الأُصولية والعربية لتفريع الأحكام الشرعية:

وصفه مؤلفه بأنه كتاب واحد في فنه بحمد اللّه ومنّه، قال: من وقف عليه علم حقيقة ذلك، وذكر في أوله ـ الأسباب التي دعته لتأليفه ـ: «إنه لما رأى كتاب «التمهيد» في القواعد الأُصولية وما يتفرع عليها من الفروع المؤلَّف سنة (٧٦٨ هـ)، و «الكوكب الدري» في القواعد العربية، وقد ألفهما الأسنوي الشافعي (ت ٧٧٢ هـ)، أراد أن يحذو حذوه، ويجمع بين تلك القواعد في كتاب واحد مع اسقاط ما بين

---

(١) للتوسع أُنظر: الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٨٦ ـ ٨٧، والأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١١ / ٨٦ وما بعدها.

الكتابين من الحشو والزوائد، فألف تمهيد القواعد هذا، ورتبه على قسمين:

أولهما: مائة قاعدة من القواعد الأُصولية مع بيان ما يتفرع عليها من الأحكام.

والثاني: مائة قاعدة من القواعد العربية وترتيب ما يناسبها من الفروع الشرعية.

واختار من كل قسم منها مائة قاعدة متفرقة من عدّة أبواب، مضافا إلى مقدمات وفوائد ومسائل لا نظير لها في رد الفروع إلى أُصولها، ورتب لها فهرسا مبسوطا لتسهيل التناول للطالب. فرغ منه في محرم سنة (٩٥٨ هـ)»[١].

٢ ـ رسالة في دعوى الاجماع في مسائل من الشيخ ـ الطوسي ـ ومخالفة نفسه.

قال في الروضات: «في الحقيقة ردّ على مطلق الاجماعات المنقولة، وانكار على المتكلمين عليها»[٢].

٣ ـ رسالة الاقتصاد والارشاد إلى طريق الاجتهاد، ولعلها المحكية عن كشف الحجب بعنوان «الاجتهادية».

٤ ـ رسالة في تحقيق الاجماع في حال الغيبة[٣].

ثالثا: الحديث ودرايته وعلم الرجال والاجازات:

١ ـ رسالة في الاخبار مشتملة على خمسة فصول، قال في الرياض: رأيتها ببلدة ساوة، يقول السيّد الأمين: ولعلها الكتاب الذي فيه نحو ألف حديث، انتخبها من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب[٤].

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١١ / ٨٦، والذريعة: ٢ / ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢) الآصفي، مقدّمة اللمعة: ١ / ١٨٢ ـ ١٨٣، والخوانساري، روضات الجنات: ٣ / ٣٧٩.

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١١ / ٨٧ ـ ٨٨.

(٤) المرجع نفسه: ١١ / ٨٨، ورياض العلماء: ٢ / ٣٧٢، وأمل الآمل: ١ / ٨٧.

٢ ـ البداية في علم الدراية: ألّف الشهيد رسالة صغيرة في علم الدراية سماها «بداية الدراية» ثمّ شرحها شرحا مزجيا اشتهر بعنوان «البداية في شرح الدراية»، فرغ منه سنة (٩٥٩ هـ) وطبع الأصل مع الشرح في إيران والنجف الأشرف[١].

٣ ـ كتاب الرجال والنسب.

٤ ـ كتاب الاجازات، قال ولده الشيخ حسن في أواخر اجازته الكبيرة المشهورة إنَّ والدي جمع أكثر اجازات المشايخ في كتاب مفرد ذكره في فهرست كتب خزانته.

٥ ـ فوائد خلاصة العلّامة في الرجال، ولعله حاشية الخلاصة، وهي التي علقها بخطه على خلاصة العلّامة في الرجال، وينقل عنها الرجاليون، بل نقولها بأجمعها مفرقة على الأبواب[٢].

٦ ـ غنية القاصدين في معرفة اصطلاحات المحدثين. قال عنه ابن العودي: وهذا العلم لم يسبقه أحد من علمائنا إلى التصنيف فيه[٣].

٧ ـ الأربعون حديثا في الفضائل، ينقل عنه الأردبيلي في حديقة الشيعة جملة من أخبار فضائل أمير المؤمنين[٤].

رابعا: أُصول العقائد:

١ ـ الاقتصاد في معرفة المبدأ والمعاد، وأحكام أفعال العباد، والارشاد إلى طريق الاجتهاد، وهو مرتب على قسمين: الأول: في الأُصول العقائدية، والثاني: في الفروع

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٨٧ ـ ٨٩.

(٢) المرجع نفسه: ١١ / ٨٩.

(٣) الآصفي، مقدمة اللمعة: ١٨١ عن رسالة ابن العودي، ورياض العلماء: ٢ / ٣٧١.

(٤) الأمين، الأعيان: ١١ / ٨٩.

والواجبات الفقهية، وقد سلك الشهيد فيه سبيل الاختصار[1].

٢ ـ كتاب تحقيق الإسلام والإيمان:

وهو كتاب حقائق الإيمان الذي رأينا منه نسخة مخطوطة في طهران ـ كما يقول صاحب الذريعة[2].

٣ ـ أنوار الهدى في مسألة البدا[3].

٤ ـ الرسالة الاعتقادية في معرفة اللّه وما يتبعها من الأُصول رآها صاحب الذريعة ضمن مجموعة مع الاعتقادية للشيخ البهائي في مكتبة المولى محمد علي الخوانساري في النجف[4].

خامسا: في التفسير:

١ ـ رسالة في شرح البسملة.

٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[5].

سادسا: في الأخلاق والتربية الروحية:

لم يخصص الشهيد كتاباته بطبقة خاصة من الناس، فبينما ترى أنه يكتب موضوعا علميا بحتا للعلماء المتخصصين، يكتب موضوعا أخلاقيا بسيطا لعامة الناس ممن ليس لديهم حظ وافر من العلم، وبينما يصنف في الفقه الاستدلالي بمستوى كبار

---

(١) مقدمة اللمعة: ١ / ١٨٢ عن الذريعة: ٢ / ١٥١.

(٢) الأمين، الأعيان: ١١ / ٨٩، والذريعة: ٧ / ٢٣.

(٣) المرجع نفسه: ١١ / ٨٩، والذريعة: ٢ / ٢٥٠.

(٤) المرجع نفسه: ١١ / ٨٩، والذريعة: ٢ / ١٢٩.

(٥) الدر المنثور: ٢ / ١٨٩.

الفقهاء، يؤلف في المواضيع الإسلامية وغيرها لأبسط الناس»[1].

ومن المواضيع التي تميز الشهيد الثاني في الكتابة فيها، هي المواضيع التربوية والأخلاقية، منها:

١ ـ مُنية المريد في آداب المفيد والمستفيد:

وهو من الكتب التربوية القيّمة ونال عناية الباحثين الذين اعتبروه من الكتب النادرة في موضوع التربية والتعليم[2]، وهو «نِعمَ المهذب لأخلاق الطلّاب لمن عمل به»[3].

٢ ـ مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد:

يقول عنه السيّد الأمين: «لم يسبق إلى مثله، وسبب تصنيفه له كثرة ما توفي له من الأولاد بحيث لم يبق منهم أحد إلّا الشيخ حسن، وكان لا يثق بحياته، وقد استشهد وهو ابن أربع سنين أو سبع سنين»[4].

٣ ـ مبرّد الاكباد:

وهو اختصار لمسكن الفؤاد اختصره الشهيد بنفسه، كما ذكر ذلك حفيده الشيخ علي في كتابه الدر المنثور[5].

٤ ـ كشف الريبة إلى أحكام الغيبة:

وهو كتاب بارع تحدث فيه عن الغيبة، ودلالة الكتاب والسنة على حرمتها،

---

(١) الآصفي، مقدمة اللمعة: ١ / ١٧٥.

(٢) القزويني، تاريخ المؤسسة الدينية: ٣٥٧.

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١١ / ٨٨.

(٤) المرجع نفسه: ١١ / ٨٨.

(٥) الدر المنثور: ٢ / ١٨٩.

والأعذار المرخصة فيها، وكيفية تجنبها وغير ذلك[1].

هذه هي أهم مؤلفات الشهيد الثاني، وهي تشكل مكتبة متكاملة لم نتمكن من استيعاب كل عناوين موضوعاتها.

ينبغي أن نشير إلى أن الشهيد الثانيﷺ كان له ولع شديد بالتأليف والكتابة واقتناء الكتب، حتى أن الحر العاملي ينقل في ترجمته عمن أخبره ممن يثق به: «أنه ـ أي الشهيد ـ خلف ألفي كتاب، منها مائتان كانت بخطه من مؤلفاته وغيرها»[2].

كما أن الشيخ أسد اللّه الفقيه الكاظمي قد عدّ في مقدمات كتاب مقابيسه من جملة مشاهير كرامات هذا الشيخ الجليل كتابته بغمسة واحدة في الدواة عشرين أو ثلاثين سطرا. بل قال: وربما قيل أربعين أو ثمانين»[3].

ومهما يكن من أمر ما يذكر من كرامات، فمما لا شك فيه أن الشيخ زين الدين الشهيد، كان مسددا ومؤيدا من عند اللّه سبحانه، وكانت معية اللّه تعالى تحيط به، حتى مضى إلى ربه شهيدا رضوان اللّه تعالى عليه.

*** الموازنة بين الشهيد الثاني والشهيد الأول:**

لقد كان للشهيد الثاني اهتمام كبير بالتراث الفقهي الذي تركه الشهيد الأول، بل كان يتنبأ أن يكون ثانيه في الشهادة؛ وقد حباه اللّه تعالى بذلك إذ توج حياته الكريمة بها، وهذا الاهتمام الملفت دعا تلميذ الشهيد الثاني، ابن العودي للكشف عن هذه الصلة الروحية بين هاتين الشخصيتين المتباعدتين زمانا، المتقاربتين في الثقافة

---

(١) مقدمة اللمعة: ١ / ١٨٢.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٩٠.

(٣) الخوانساري، روضات الجنات: ٣ / ٣٧٨، وأنظر الأعيان: ١١ / ٧٤.

والتصنيف الفقهي، وكأ نّه من المعاصرين له، حتّى أنَّ الشهادة جمعت بينهما في خاتمة المطاف، فلُقب محمد بن مكي بالشهيد الأول، ولُقّب زين الدين العاملي بالشهيد الثاني، وعُرف كلٌّ منهما بلقبه حتى طغى على اسمه الحقيقي[١].

يقول ابن العودي في رسالته: «لما علم اللّه النسبة بينه ـ أي الشهيد الثاني ـ وبين الشهيد ـ أي الأول ـ من المشاركة في نيل درجة السعادة بخاتمة الشهادة، ألقى في قلبه الميل إلى احياء آثاره، والتعليق بشرح مصنفاته، واظهار تحقيقاته، ولقد كانت نفسه كأنها ممزوجة بنفسه... وكان من أنسه به كأنه معاصره، ومن اطلاعه على شريف أنفاسه كأنه معاشره، قدّس اللّه روحهما الزكية، وأفاض عليهما المراحم الربانية»[٢].

إلّا أنه رغم هذا التقارب بين شخصيتي الشهيدين، تبقى الفوارق العلمية بين العَلَمين تبقى شاخصة وطبيعية في الوقت نفسه، ولهذا نجد سيّد الأعيان الأمين، عند الموازنة بين الشهيدين علميا يقول: «الشهيد الأول أفقه وأدق نظرا وأبعد غورا، وأكثر وأمتن تحقيقا وتدقيقا؛ يظهر ذلك لكل من تأمل تصانيفهما مع الاعتراف بجلالة قدر الشهيد الثاني وعظمة شأنه، وعلو مقامه»[٣].

سابعا: تلاميذه والراوون عنه اجازة:

باستشهاد الشيخ زين الدين العاملي سنة (٩٦٥ هـ) فقدت جبل عامل علما من أعلامها، وفقدت حوزة التشيع مرجعا من مراجعها وأُستاذا ومربيا من خيرة أساتذتها ومربيها، إلّا أنّ حركة العلم في هذه الحوزة لم تتوقف وإن أُصيبت بركود وتوقف نسبي

---

(١) القزويني، تاريخ المؤسسة الدينية: ٣٥٤.

(٢) رسالة ابن العودي، أُنظر الدر المنثور: ٢ / ١٨٥.

(٣) الأمين ـ محسن، الأعيان: ١١ / ٧٤.

نتيجة فقدها لمرجعها، والمصائب والنكبات التي حلت على هذه المنطقة بسبب ولائها لأهل البيت، بالاضافة إلى روح الإباء والعزة التي يحملها أبناء هذه المنطقة وعلى مرِّ التاريخ والعصور.

لقد استمرت مدرسة الشهيد الثاني في جبل عامل من خلال تلاميذه والراوين عنه اجازة، إذ تتلمذ عليه جيل من الفضلاء وحمل عنه اجازة الرواية بعض المشايخ وحملت الحديث والرواية.

ومن أهم تلامذته والراوين عنه:

١ ـ السيّد نور الدين علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي، والد صاحب المدارك، وقد رباه الشهيد الثاني كالوالد لولده، وزوجه ابنته رغبة فيه، وجعله من خواص ملازميه، فكان صاحب المعالم خال صاحب المدارك من هذه الجهة[1].

٢ ـ السيّد علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي، وهو غير والد صاحب المدارك.

٣ ـ السيّد علي بن الحسين بن محمد الحسيني العاملي الجزيني الشهير بـ (الصائغ) صاحب شرحي (الشرائع) و (الارشاد).. وهو شيخ صاحب المعالم، ويقال: ان الشهيد الثاني دعا اللّه أن يرزقه ولدا ويعلمه السيّد علي الصائغ لما رأى من فضله فاستجاب اللّه دعاءه.

٤ ـ الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني، والد الشيخ البهائي، وهو أول من قرأ عليه في أول تصديه للتدريس، وكان رفيقه إلى مصر في طلب العلوم،

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٨٤.

وإلى اسلامبول وفارقه إلى العراق، وأقام بها مدة ثم ارتحل إلى خراسان، واستوطن هناك، واجازه الشهيد الثاني اجازة مطولة تاريخها (٩٤١ هـ)، أوردها الشيخ يوسف البحراني في كشكوله[١].

٥ ـ الشيخ علي بن زهرة العاملي الجبعي، ابن عم الشيخ حسين المذكور، وكان الشهيد الثاني يعتقد فيه الولاية وكان رفيقه إلى مصر وتوفي بها.

٦ ـ محمد بن الحسين الملقب بالحر العاملي المشغري، جد والد صاحب الوسائل، ووالد زوجة الشهيد الثاني المتوفاة في حياته، وهو أول المذعنين لاجتهاده المخلصين معه، واجازه اجازة عامة.

٧ ـ الشيخ أبو القاسم نور الدين علي بن عبد الصمد العاملي.. قرأ على الشهيد الثاني ويروي عنه اجازة.

٨ ـ السيّد نور الدين ابن السيّد فخر الدين عبد الحميد الكركي القاطن في دمشق المحروسة، وكان من أكابر خاصته، وأوائل العاكفين على ملازمته.

٩ ـ بهاء الملة والدين محمد بن علي بن الحسن العودي الجزيني، وهو من خواص تلاميذه ومن جملة من حاز على حظ وافر من خدمته، وتشرف بمدة مديدة من ملازمته[٢].

---

(١) البحراني ـ يوسف، الكشكول: ٢ / ٢٠١، طبعة منشورات الشريف الرضي ـ قم.

(٢) وهو صاحب رسالة: «بغية المريد في الكشف عن أحوال الشهيد» والتي تعتبر من أهم مصادر دراسة حياة الشهيد الثاني، وقد عثر على قسم منها حفيد الشهيد الثاني الشيخ علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين العاملي ت ١١٠٣ هـ ونشرها في كتابه: «الدرّ المنثور من المأثور وغير المأثور» المجلد الثاني: ١٤٥ ـ ١٨٨، طبعة مكتبة المرعشي النجفي، الطبعة الأُولى، (١٣٩٨ هـ)، قدّم له وحقّقه السيّد أحمد الاشكوري.

١٠ ـ السيّد عطاء اللّه ابن السيّد بدر الدين حسين الحسيني الموسوي، قرأ عليه جملة من الكتب..، ويروي عنه اجازة، وكتب له اجازة على ظهر الإرشاد سنة (٩٥٠ هـ).

١١ ـ المولى محمد بن محمد بن علي الجيلاني.

١٢ ـ الشيخ محي الدين بن أحمد بن تاج الدين الميسي العاملي.

١٣ ـ الشيخ تاج الدين بن هلال الجزائري، ويروي عنه اجازة بتاريخ (٩٦٤ هـ).

١٤ ـ السيّد عز الدين حسين بن أبي الحسن العاملي.

وسوف نتوقف لاحقا عند ترجمة بعض أُولئك الأعلام وخاصة الشيخ الحسين ابن عبد الصمد.

*** الراوون عنه اجازة:**

١ ـ الشيخ ظهير الدين إبراهيم ابن الشيخ زين الدين أبي القاسم علي بن الشيخ صالح التقي تاج الدين عبد العالي الميسي بتاريخ (٩٥٧ هـ)، وفي آخر الاجازة اشرك معه ولده الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم.

٢ ـ الشيخ محيي الدين أحمد (أو ابن أحمد) بن تاج الدين العاملي الميسي.

٣ ـ الشيخ تاج الدين بن هلال الجزائري، كتبها له بمكة المعظمة في (١٤ / ذي الحجة / ٩٦٤ هـ).

٤ ـ الشيخ عز الدين حسين بن رفعة المدني بتاريخ اوائل شوال سنة (٩٤٨ هـ).

٥ ـ الشيخ سلمان بن محمد بن محمد العاملي الجبعي بتاريخ (٢ / ذي القعدة / ٩٥٤ هـ).

٦ ـ الشيخ محمود بن محمد بن علي بن حمزة اللاهيجي بتاريخ رجب سنة (٩٥٣ هـ).

٧ ـ اخوه الشيخ عبد النبي بن علي بن أحمد النباطي، في أمل الآمل أنه يروي عن أخيه الشهيد الثاني[١].

المبحث الثالث: الهجرة العاملية إلى الاقطار الإسلامية:

لقد شهدت منطقة جبل عامل ـ وخلال مسيرتها العلمية الطويلة ـ حركة هجرة مكثفة من قبل أبنائها ولأسباب ودواعي متعددة، وتعددت كذلك الأماكن التي هاجروا إليها، وتوزعت ما بين العراق وإيران والهند وحيدرآباد ومصر[٢]، والبحرين، ومكة، والمدينة،.. وغيرها من الحواضر والاقطار الإسلامية.

ويمكن أن نجمل أسباب ودواعي ظاهرة الهجرة بما يلي:

أولاً: الهجرة العلمية:

وهي من أقوى وأهم أسباب الهجرة عند أبناء جبل عامل منذ القديم وإلى يومنا هذا، إذ نجد تواصل ابناء هذه المنطقة مع الحواضر الفكرية العلمية المنتشرة في بعض الاقطار الإسلامية وخاصة العراق إذ كانت «... الحواضر العلمية المقصودة في العراق هي التي تعتمد فقه الإمامية وأُصوله.. وقد كان لأبناء جبل عامل صلة بالشريف المرتضى في القرن الخامس الهجري، كما كانوا على صلة بالشيخ المفيد ـ أُستاذ المرتضى ـ وبتلميذه الكراجكي الذي نزل في مدينة صيدا.. ويعتبر إسماعيل بن الحسين العودي الجزيني العاملي (ت ٥٨٠ هـ) رائد الرحلة العلمية إلى العراق.. حيث أَخذ عن حلقات العلماء في الحلة، ثمّ رجع إلى بلده جزين.. وما زالت الهجرة

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١١ / ٨٤ ـ ٨٦، والحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١١٦.

(٢) مكي ـ محمد كاظم، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل: ٢٥ / ٢٦ بتصرف.

إلى اليوم تتجدّد في سبيل طلب الفقه وعلوم الدين..»[١]، وقد تحدثنا سابقا عن بعض المهاجرين من علماء جبل عامل ممن هاجر إلى الحلة وتتلمذ على أساطين علمائها؛ كما تحدثنا عن بعض العامليين المهاجرين إلى المراكز العلمية الأُخرى في العراق، كحوزة النجف، وكربلاء، وسامراء.. وسوف نتحدث لاحقا عن هجرة العامليين إلى الحوزات الأُخرى.

ثانيا: الهجرة بسبب الأوضاع الأمنية:

لقد عُرف أبناء جبل عامل بتمسكهم بعقيدتهم وانتمائهم لمدرسة أهل البيت، كما أنهم كانوا ـ ولا زالوا ـ أُباة الضيم، فلم يتنازلوا عن عقيدتهم، ولم يركنوا لطاغوت أو ظالم، وكلما حاول حكام الظلم والجور ترويضهم وسلب ارادتهم، ازدادوا صلابة واستقامة وعزة وثباتا، ولهذا تعرضوا لأبشع أنواع الظلم من قبل أُولئك الحكام والطواغيت الظلمة، وكان لعلماء الجبل النصيب الأكبر منها؛ والذي بلغ ذروته بمقتل الشهيد الثاني، والذي أحدث أجواءً رهيبة ضاغطة، أدت إلى تصاعد حركة الهجرة وارتفاع معدلها بعد استشهاده، «فخرج جمع كبير من العلماء من جبل عامل خوفا على أرواحهم»[٢].

والذي يظهر من تاريخ جبل عامل والمظالم التي تعرّضت لها هذه المنطقة، وعلى مدى تاريخها الطويل أن فتنة الوالي العثماني (أحمد باشا الجزار) من أشدها قسوة حيث فاق في اجرامه كلّ من سبقه من الطغاة الذين سبقوه «حتى لقب بالجزار لشدة ظلمه وبطشه، وكأنه جُبل على سفك الدماء والاعتداء على الآخرين، ولم يعرف قلبه

---

(١) مكي ـ محمد كاظم، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل: ٢٥ / ٢٦ بتصرف.

(٢) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١١٥.

الرحمة والرأفة يوما في حياته فكان إذا عامل أحد المغضوب عليهم بالرفق وعزف عن قتله يجذم أنفه ثمّ يُصلم أُذنه اليمنى، ثمّ يقلع عينه اليمنى، ولو كان من خواص خدامه»[١].

وجرائم هذا الطاغية كثيرة ومتنوعة، وشمل بجرائمه كل أبناء جبل عامل، واستهدفهم في كيانهم الفكري والثقافي فأتلف كتبهم، وقتل علماءهم، وشردهم عن بلادهم وديارهم.. في قصة مأساوية طويلة يصعب استيعابها ووصفها[٢].

ثالثا: عامل الفقر:

لقد كان عامل الفقر وقلة الموارد المالية، وانعدام فرص البناء والنمو على المستوى الثقافي والاجتماعي.. أحد أسباب هجرة علماء جبل عامل إلى بعض الأقطار الإسلامية، «وعلى رأسها هجرتهم إلى إيران... حيث انتشروا في إصفهان وقزوين وخراسان وأردبيل ويزد وكاشان وقم..»[٣].

وعلى كل حال؛ فالهجرة من جبل عامل مترامية الأطراف عميقة الجذور، حتى قال السيّد الأمين في هجرتهم شعرا:

هجـروا لإدراك العلـى أوطـانهم ... فرقوا بـذاك إلـى المحـل الأرفـع
في الهند أو أرض العراق وفـارس ... في أي قطر نجمهم لـم يطلـع[٤]

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٩ عن محمد كرد علي في كتابه خطط الشام: ٣ / ٢١.

(٢) أُنظر: الفقيه ـ محمد تقي، جبل عامل في التاريخ: ٢٥٨ وما بعدها، ومحمد جابر آل صفا في كتابه: تاريخ جبل عامل: ١٣٥ وما بعدها، طبعة دار النهار ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤ م.

(٣) المرجع نفسه: ١١٦.

(٤) السيّد الأمين في معادن الجواهر: / ٣٠٤.

وقصّة الفقر والجوع في حياة العلماء عامة وعلماء جبل عامل خاصة قصّة فيها شجون وذات ألوان يحكيها كل عالم بحسب ما تعرّض له من فنون الحرمات والضيق، فهاجر في سبيل اللّه فوجد في أرض هجرته مراغما وسعه[1].

وأما الجذور التاريخية لهذه الهجرة العلمية العاملية فهي في رأي بعض الباحثين «انما كانت إلى الحلة على عهد المحقق الحلي»[2] المتوفى في أواسط القرن السابع الهجري.

إلّا أنّ باحثا آخر يرجح أن تكون الهجرة العاملية أقدم من ذلك وتعود إلى القرن الخامس الهجري، ويستظهر ذلك من خلال ترجمة الشيخ زين الدين علي ابن عبد الجليل البياضي[3] الذي وصف بـ (نزيل دار النقابة بالري) وهو من مشايخ الشيخ منتجب الدين صاحب الفهرس المتوفى سنة (٥٨٥ هـ)[4].

ومهما يكن من أمر، فهذه أهم عوامل هجرة علماء جبل عامل إلى الاقطار الإسلامية، ويأتي العامل الأول على رأسها؛ إذ إن الطموح العلمي كان يحفز ابناءها على الهجرة إلى البلدان والأقطار التي يتواجد فيها العلماء الكبار الذين تشدُّ إليهم رحال طلّاب العلم.

إلّا أنه يمكن أن نضيف إلى هذه العوامل عاملاً آخر، وهو عامل الدعوة إلى اللّه والقيام بالمهام التبليغية والدعوية، وخاصة في عصر الدولة الصفوية حيث تسنم الكثير من علماء جبل عامل منصب (مشيخة الإسلام) أي قاضي القضاة وقاموا

---

(١) أُنظر ما كتبه الشيخ محمد جواد مغنية في تجاربه عن هجرته إلى العراق.

(٢) الآصفي، مقدمة اللمعة الدمشقية.

(٣) أُنظر ترجمته عند الحر العاملي في أمل الآمل: ٢ / ١٩١.

(٤) الحسيني، المرجع السابق: ١١٦، وأُنظر البحار: ١٠٥ / ١٤٦.

بمهمام كبيرة في مجال الدعوة والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وغيرها من المهام الخطيرة في كيان الدولة ورجال الحكم. كما سوف يأتينا الاشارة إلى ذلك.

يذكر السيّد محسن الأمين في الأعيان ضمن ترجمة الشيخ محمد بن علي بن خاتون العاملي، الذي هاجر من جبل عامل إلى طوس ومنها إلى بلاد الهند ونزل حيدرآباد وتولى فيها وزارة السلاطين القطب شاهية من الشيعة.. فيقول السيّد معقبا على قصة هجرته وتوليه الوزارة: «وكانت طريقة الملوك في ذلك العصر في الهند وإيران أن يولوا الوزارة والصدارة العظمى اجلاء العلماء.. وهكذا كان العامليون يهاجرون من (مضيعة العلماء) جبل عامل إلى إيران والهند وغيرها، وينالون مشيخة الإسلام والقضاء والوزارة وغيرها»[1].

يضيف السيّد حسن الأمين: «كان للعلماء العامليين ثلاثة أسباب للهجرة إلى إيران:

السبب الأول: هو الاستدعاء، وأبرز الذين استدعوا هو الشيخ علي الكركي.

السبب الثاني: هو الخوف على النفس، وأبرز الذين خافوا على أنفسهم فهاجروا هو الشيخ حسين بن عبد الصمد.

السبب الثالث: هو الطموح العلمي، وأبرز الطامحين هو الشيخ محمد حسن الحر»[2].

* هجرة العلماء إلى جبل عامل:

تحت هذا العنوان كتب السيّد محسن الأمين في كتابه الممتع (خطط جبل عامل)

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٤ / ٢٩٩.

(٢) الأمين ـ حسن، كتاب الحر العاملي: ٢٧، طبعة دار الثقلين ـ بيروت.

فقال فيما كتبه: «ومضى على جبل عامل أعصار كانت فيها رحلة طلّاب العلوم إليه؛ فقد هاجر إليه ناصر بن إبراهيم البويهي (ت ٨٧٣ هـ) وقرأ في عيناثا على الشيخ ظهير الدين العاملي، وقصده المولى عبد اللّه التستري من أعاظم علماء إيران للاستجازة من الشيخ نعمة اللّه بن خاتون وولده الشيخ أحمد بن نعمة اللّه، وحضر أحمد بن فهد الحلي صاحب (عدة الداعي) إلى جزّين واستجاز من الشيخ علي ولد الشهيد، وصحب الشيخ علي بن هلال الجزائري السيّد حسين الكركي إلى كرك نوح وقرأ عليه، واستفاد منه في تلك الصحبة.. وممّن هاجر إلى جبل عامل وتوطّنه من السادة الأشراف أبو مسلم وإبراهيم ابنا محمد شبانه.. ذكر ذلك صاحب عمدة الطالب فقال: «خَرجا إلى الشام، وأقاما بجبل عاملة ولهما هناك عقب كثير إلى الآن» والمظنون أنّ ذلك في المائة السابعة.

وكانت عيناثا وميس وجزّين ومشغرى وجبع وكرك نوح وغيرها غاصّة بالمدارس وطلّاب العلم وتخرّج منها الألوف من أعاظم العلماء الشيعة»[١].

وهنالك علماء آخرون قد هاجروا إلى بلاد الشام واستوطنوا في جبل عامل لم يذكرهم السيّد الأمين إذ لم يكن غرضه الاستيعاب، ومن أُولئك العلماء:

١ ـ الشيخ نجيب الدين الحلي (ت ٦٧٩ هـ) وهو من أوائل من هاجر إلى جبل عامل قبل النهضة الفقهية فيها[٢].

٢ ـ الشيخ صفي الدين الجرجاني (من علماء القرن السابع) ويعد من تلامذة الشهيد الأول؛ أخذ عنه في قرية جزين، وكتب بخطه كتاب (كنز الفوائد في شرح

---

(١) الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٦٥ عن عمدة الطالب لابن عنبة. وأُنظر الطهراني، الطبقات: ٦ / ١٤٣.

(٢) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٠٢، وأُنظر ترجمته في الأعيان: ١٠ / ٢٠٦.

مشكلات القواعد) عن خط الشهيد الأول وذلك عام (٧٨٤ هـ) في قرية جزين مما يعني اقامته فيها إلى هذا العام»[١].

٣ ـ المولى عبد اللّه اليزدي (ت ٩٨١ هـ).

وهو صاحب الحاشية المعروفة باسمه في علم المنطق، إذ كان متبحرا في العلوم العقلية، رحل إلى جبل عامل في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، «وتتلمذ عليه في العلوم العقلية السيّد محمد صاحب المدارك، وخاله الشيخ حسن نجل الشهيد الثاني»[٢].

٤ ـ السيّد أحمد بن السيّد إبراهيم الشقراني (من علماء القرن الحادي عشر).

وهو من آل قشاقش أو آل الأمين، عالم فاضل جليل القدر عظيم، أصله من الحلة في العراق، وكان قد انتقل إلى جبل عامل بطلب من أهلها، ويعتبر السيّد أحمد أو والده السيّد إبراهيم، أول من انتقل من آل الأمين إلى جبل عامل، كما ينص على ذلك السيّد محسن الأمين حيث يقول بشأن هجرة أجداده إلى الجبل: وهو ـ أي السيّد أحمد ـ أو والده السيّد إبراهيم أول من انتقل من أجدادنا من العراق؛ من الحلة السيفية إلى جبل عامل في حدود سنة (١٠٨٠ هـ)..»[٣].

٥ ـ الشيخ إبراهيم البلاغي (من علماء القرن الثالث عشر):

وهو من الأُسرة البلاغية الشهيرة في النجف الأشرف، ويعدّ من مبرزّي تلامذة الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وقد هاجر إلى جبل عامل وأقام فيه بعد عودته من بيت

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٠٣.

(٢) الأمين، الأعيان: ١٠ / ٦، والأفندي، رياض العلماء: ٣ / ١٩١.

(٣) الحسيني، الفقه في جنوب لبنان: ١٠٨، وأُنظر، الأمين، أعيان الشيعة: ٢ / ٤٦٤، وله أيضا: خطط جبل عامل: ١٦ وما بعدها.

اللّه الحرام، فسكن قرية الكوثرية وما زالت ذريته في جبل عامل منهم جماعة من العلماء[1].

٦ ـ الشيخ عبد النبي الكاظمي (ت ١٢٥٦ هـ).

وهو من العلماء الأعاظم، اشتهر ببراعته في علم الرجال، وقد هاجر الشيخ من مسقط رأسه الكاظمية إلى جبل عامل بعد سنة (١٢٤٤ هـ)، واختار قرية جويا على ساحل صور موطنا له إلى حين وفاته حيث دفن هناك[2].

٧ ـ الشيخ علي المدني.

قال الشيخ الحر في ترجمته: «الشيخ علي بن أحمد العاملي الحانيني، كان فاضلاً عالما، أصل أبيه من المدينة، انتقل إلى جبل عامل فولد له بها الشيخ علي، وولد له أولاده»[3].

٨ ـ السيّد مهدي الحكيم (ت ١٣١٢ هـ).

وهو السيّد مهدي بن السيّد صالح الحكيم الطباطبائي.. وهو والد السيّد محسن الحكيم الذي انتهت إليه المرجعية في عصره.

«وقد هاجر السيّد مهدي الحكيم إلى جبل عامل بعد وفاة الشيخ موسى شرارة مؤسس مدرسة بنت جبيل، فقد طلب أهالي جبل عامل حضور عالم من العراق إليهم.. وقد وافق السيّد مهدي الحكيم على الذهاب إلى جبل عامل فهاجر إليها وسكن في بنت جبيل إلى عام (١٣١٢ هـ) فاختاره اللّه بجواره ودفن في مسجدها

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٠٩، والأعيان: ٢ / ١٣٤، وتكملة الأمل: ٧٦.

(٢) أُنظر ترجمته في الأعيان: ٨ / ١٢٧، والطهراني، الكرام البررة: ٣ / ٨٠٠.

(٣) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١١٧.

الجامع..»[1].

أُولئك نخبة من العلماء المهاجرين إلى جبل عامل والمستوطنين فيها، ولم نكن في صدد الاستقراء والحصر فهنالك أسماء لعلماء آخرين هاجروا إلى الجبل ولا زالوا فيها كالسيّد العلّامة الحجة محمد الغروي الذي هاجر من النجف الأشرف وسكن في مدينة صور الساحلية سنة (١٩٧٤م) ولا زال فيها وله نشاطات دينية واجتماعية متعددة، كذلك[2] سماحة الشيخ مهدي الغروي الذي هاجر والده من النجف الأشرف وسكن قرية القماطية من قرى الجبل، وأسس هنالك مسجدا ودارا للقرآن.. وواصل ولده الأكبر الدكتور مهدي الغروي عمل والده الديني والاجتماعي ولا زال مواصلاً نشاطه العلمي في المنطقة، وفي بيروت إلى غير ذلك من الاسماء العلمائية المهاجرة إلى جبل عامل.

*** من أبرز العلماء العامليين المهاجرين:**

بعد أن تحدثنا عن ظاهرة الهجرة من جبل عامل، وأهم أسبابها ودواعيها، وجذورها التاريخية.. لابد لنا من التوقف عند ترجمة أبرز أُولئك العلماء العامليين المهاجرين، ومواطن هجرتهم ومعالم نتاجهم العلمي أو الاجتماعي أو السياسي، وبشيء من الاختصار والتركيز.

وسوف نركز على أسماء العلماء العامليين المهاجرين إلى إيران ومدنها بعد أن استوفينا الحديث عن هجرتهم إلى مدينة الحلة والنجف الأشرف، وكربلاء، وسامراء..

---

(١) الحسيني: ١١٠، وراجع ترجمته وما يتعلق بهجرته إلى جبل عامل في أعيان الشيعة: ١٠ / ١٥٢، ٣٤٧.

(٢) ترجم لنفسه في كتابه مع علماء النجف: ٢ / ٦٦٧ وما بعدها.

وغيرها من المدن العراقية وحوزاتها العلمية العريقة.

وينبغي أن نشير إلى أن هجرة العامليين إلى المدن العراقية وحوزاتها العلمية كان أقدمها هجرتهم إلى مدينة الحلة ثم المدن الأُخرى، إلّا أنها كانت هجرة محدودة في بدايتها وتصاعدت بمرور الزمن وبلغت أوجها في حوزة النجف الأشرف في دورها الثالث، ولهذا أمكن الاشارة إلى أسماء العلماء العامليين المهاجرين إلى هذه المدن في ثنايا البحوث عن هذه الحوزات العلمية.

ولهذا سوف نتوقف هنا عند هجرة العلماء العامليين إلى إيران والتي تعتبر من أوسع الهجرات وبوتائر متصاعدة وفاعلة في الحياة العلمية والسياسية «فقد انتشر العامليون في انحاء إيران المترامية، وتركوا آثارهم على ساحتها، فأسسوا المدارس الفقهية في إصفهان وقزوين وخراسان وشيراز وطهران ورشت ويزد ونطنز. وساهموا في تصعيد الحركة العلمية في إيران مساهمة فعالة ومشاركة ملموسة»[1].

يقول السيّد الأمين في الأعيان: «وقد أصاب علماء جبل عامل في عصر الملوك الصفوية، لا سيما عصر الشاه عباس الأول، وعصر الشاه طهماسب ـ الذي ملك أربعا وخمسين سنة ـ حظا عظيما؛ فكانوا شيوخ الإسلام[2] في هذه الدولة في أهم مدنها، وكان هذا المنصب أعظم منصب علمي ديني...، وفوضت إليهم الأحكام وشؤون الدولة الدينية، وأُطيعت أوامرهم، وكان إلى جملة منهم القضاء والافتاء..» ويضيف أيضا: «والعلماء العامليون الذين هاجروا من أوطانهم إلى بلاد أُخرى قد ظهر فيهم

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٢٤.

(٢) شيخ الإسلام؛ يعني مقام رئيس القوة القضائية في العهد الصفوي، وكان ينصبه الصدر الأعظم. وتنزل شأن هذا المنصب بعد سقوط الدولة الصفوية. أُنظر: الطهراني، طبقات الشيعة: ٦ / ٣٥٤.

نوابغ ظهرت لهم مقامات عالية في كل عصر وزمان»[1].

وفيما يلي ترجمة مختصرة لأبرز العلماء العامليين المهاجرين إلى إيران، والمدن التي انتشروا فيها، ودورهم العلمي والفقهي والسياسي والاجتماعي:

أولاً: إصفهان:

تعتبر مدينة إصفهان أو إصبهان، من أشهر المدن الإيرانية وأقدمها، ولها عمق حضاري يمتد إلى ما قبل الفتح الإسلامي (سنة ٢٣ أو ٢٤ هـ) بمئات السنين، وكانت مجتمع عساكر الأكاسرة فسميت بـ (سباهان) أي العساكر، وصفها ياقوت في معجمه بقوله: «وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون في وصف عظمتها حتى يجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الاسراف»[2].

ومدينة إصفهان من المدن التاريخية واشتهرت منذ القديم بآثارها التاريخية مما جعل منها مطمع أنظار الباحثين والسواح.

يقول السيّد حسن الأمين: «عندما دخل الإسلام بلاد فارس، وجد فيها خمسة آلاف عام من التاريخ والجمال، وقد كان للثقافة الفارسية، والميراث المعماري لهذه البلاد غنى غير عادي مما كان له أثره الواضح في التأثير على المباني التي شيّدت في إيران خلال العهود الإسلامية، ولكن إيران قد تأثرت بعمق ـ وما زالت ـ بالحضارة الإسلامية»[3].

كما أنها من المدن العلمية المهمة التي يقول ياقوت عنها: «وقد خرج من اصبهان من العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن وعلى الخصوص علو

---

(١) الأمين ـ محسن، الأعيان: ٩ / ٢٤٢، ٢٤٤.

(٢) الحموي ـ ياقوت، معجم البلدان: ١ / ١٦٧.

(٣) الأمين ـ حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ٤ / ٢٤٢.

الإسناد، فإنّ أعمار أهلها تطول ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث وبها من الحفّاظ خلق لا يحصون ولها عدّة تواريخ..»[1].

وبلغت اصفهان أوج ازدهارها العمراني والحضاري والعلمي في عهد الدولة الصفوية الثاني حيث نقل الشاه عباس الصفوي الأول عاصمة الدولة الصفوية من قزوين ـ وهي عاصمة فترة الحكم الصفوي الأول ـ إلى إصفهان، «فانتقل إليها ازدهار العمارة والفنون.. وعرفت هذه الفترة بالحكم الصفوي الثاني»[2].

وفي هذا العهد ازدهرت الحركة العلمية في إصفهان مجددا بعد أن عاشت فترة من الركود نتيجة الفتن والحروب المتمادية، والفتن المذهبية بين علماء المذاهب السنية واتباعهم[3].

وقد ساعدت الأجواء السياسية ـ في ظل الدولة الصفوية ـ آنذاك على ازدهار الحركة العلمية والفقهية، فتعاقب عدد كبير من العلماء على احياء مدرستها وتطوير حركتها العلمية.

وكان لفقهاء جبل عامل قسط كبير وحظ وافر في بناء مدرستها وتشييد أركانها، حتى نقل عن المحدّث البحراني صاحب الحدائق: «ان أول من نشر الحديث في إصفهان على عهد الدولة الصفوية هو الشيخ كمال الدين درويش النطنزي العاملي ممن هاجر إلى إصفهان وأقام فيها»[4].

---

(١) الحموي، معجم البلدان: ١ / ١٦٩.

(٢) الأمين، دائرة المعارف: ٤ / ٢٤٢.

(٣) أُنظر المرجع نفسه: ٤ / ٢٢٥.

(٤) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٢٦، وأُنظر: الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٠٣، والأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٦ / ٣٩٦.

يقول أحد الباحثين من ابناء جبل عامل عن مدينة إصفهان وهجرة العامليين إليها: «فقد لاحظت أن نسبة من استقبلتهم هذه الحاضرة من مهاجرينا، يفوق أية مدينة أو بلدة إيرانية أُخرى، والظاهر أن هذا يعود إلى أكثر من سبب، منها الموقع الجغرافي، ثمّ الأهمية السياسية والعلمية التي صارت للمدينة فيما بعد»[1].

ومهما يكن من أمر؛ فقد شهدت إصفهان في هذه الفترة عهد ازدهارها العلمي، فشيدت فيها المدارس والحوزات العلمية، «ونبغ فيها عدد كبير من العلماء والمفكرين ممن نشأوا فيها أو هاجروا إليها، ولا تزال هذه الأسماء حية في إصفهان بما تركه أصحابها من بنين تسلسل فيهم العلم حتى اليوم؛ فهناك العدد الجم من أهل العلم والفضل من كل من آل الصدر، والمجلسي، والخوانساري، والطباطبائي.. وهناك آل النجفي، وهم أسباط الشيخ جعفر الكبير (كاشف الغطاء)، وأحفاد الشيخ محمد تقي، الذي هاجر إلى النجف.. وتزوج بنت الشيخ جعفر صاحب (كاشف الغطاء) واستقر في النجف ثمّ عاد ابنه الشيخ محمد باقر إلى إيران فسكن إصفهان وصار اماما لمسجد الشاه، وعرف بالنجفي، ولا تزال سلالته تحمل هذه الإسم.

وأما آل الصدر الذين نزح جدهم من جبل عامل إلى إصفهان في محنة الجزار، فهم متفرعون اليوم إلى ستة أسماء: الصدر العاملي، والخادمي، والصدر، والمستجابي، والفضولي، والرباني..»[2].

* من أبرز العلماء العامليين المهاجرين إلى إصفهان:

١ ـ المحقق الثاني علي الكركي (ت ٩٣٧ هـ) أو (٩٤٠ هـ):

---

(١) المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ١٤٦.

(٢) الأمين ـ حسن، دائرة المعارف: ٤ / ٢٣١ ـ ٢٣٢.

وهو من أوائل العلماء العامليين المهاجرين إلى إيران في عهد الدولة الصفوية، ونال مكانة كبيرة خطيرة في الدولة الصفوية حتى «أصبح الرجل الثاني في الدولة»[1].

يقول الحر العاملي في ترجمته: «أمرهُ في الثقة والعلم والفضل وجلالة القدر وعظم الشأن وكثرة التحقيق أشهر من أن يذكر، ومصنفاته كثيرة مشهورة»[2].

وقد توقفنا عند ترجمته وذكرنا مشايخه وتلامذته وآثاره العلمية عند حديثنا عن مدرسة النجف الأشرف وحوزتها العلمية في دورها الثاني، إذ يعتبر الشيخ الكركي رائد هذا الدور، «وشيخ الطائفة وعلامة وقته ومن أجلاء هذه الطائفة» بحسب تعبير التفرشي في نقد الرجال[3].

وقد كان للشيخ علي الكركي نشاط علمي وإداري تنظيمي واسع في إصفهان، كذلك كان له امتداد في الأوساط العلمية من بعد وفاته وذلك من خلال أحفاده وأسباطه. يقول السيّد حسن الأمين: «وإلى إصفهان نزح من لبنان المحقق الكركي.. وتزوجت ابنته هناك فعرف زوجها بالداماد (أي الصهر)، فولد من هذا الزواج الفيلسوف الإيراني السيّد محمد باقر، الذي عرف أولاً بابن الداماد، ثمّ صار يعرف بالداماد. وكان للمحق الكركي بنت أُخرى تزوجت في إصفهان وولدت مير زين العابدين، فتزوج بنت ابن خالته السيّد محمد باقر، ومن هذا الزواج اليوم في إصفهان كما في طهران ومشهد الرضاعليه السلام ونجف آباد، العدد الجم من أهل العلم والفضل

---

(١) الأمين ـ حسن، دائرة المعارف الشيعية: ٤ / ٢٣٢.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ /١٢١.

(٣) التفرشي ـ مصطفى، نقد الرجال: ٣ / ٢٧٦، تحقيق وطبعة مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، الطبعة الأُولى، ١٤١٨ هـ.

يحملون لقب الداماد..»[1].

٢ ـ الشيخ كمال الدين درويش العاملي النطنزي الإصفهاني (من علماء القرن العاشر):

عرف بالنطنزي نسبة إلى قرية بين إصفهان وكاشان عرفت بهذا الاسم، أقام بها مدة، ثمّ انتقل منها إلى إصفهان فقيل في نسبته النطنزي الإصفهاني[2].

وهو من أكابر الفقهاء ومن تلامذة المحقق الكركي الشيخ علي والشهيد الثاني، وقد تتلمذ عليه جمع من أعاظم العلماء أمثال الشيخ محمد تقي المجلسي (المجلسي الأول) والد المجلسي (الثاني) صاحب البحار، والشيخ محمد عبد اللّه ابن جابر العاملي، والقاضي أبي الشرف الإصفهاني، وغيرهم[3].

ووصف الشيخ كمال الدين بأنه «أول من نشر أحاديث الشيعة في عهد الصفوية»[4].

٣ ـ الشيخ علي بن هلال الكركي العاملي الشهير بالمنشار (ت ٩٩٣ هـ):

وهو من كبار العلماء والفقهاء العامليين في المهجر، ومن تلامذة المحقق علي الكركي، كان في بادئ أمره في بلاد الهند، إلّا أنه انتقل منها إلى إصفهان وأقام فيها، حتى إذا توفي أُستاذه المحقق الكركي بعد انتقاله إلى النجف الأشرف، صار الشيخ علي المنشار شيخ الإسلام في إصفهان.. وكان الشيخ علي المنشار هو الباعث لهجرة

---

(١) الأمين ـ حسن، دائرة المعارف الشيعية: ٤ / ٢٣٤.

(٢) المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية إلى إيران: ١٣٧.

(٣) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٢٨، وللتوسع أُنظر: الأمين، أعيان الشيعة: ٦ / ٣٩٥، والصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٠١.

(٤) النوري، مستدرك الوسائل: ٣ / ٤١٦، والقمي، الفوائد الرضوية: ١٢٧.

الشيخ حسين بن عبد الصمد تلميذ الشهيد الثاني ووالد الشيخ البهائي إلى إصفهان، وزوّج الشيخ البهائي ابنته، فصار بعده شيخ الإسلام في إصفهان[1].

فقام بهذا المنصب الكبير خير قيام حتى قيل إنه: «كان له كمال الاستقلال في تنظيم المعاملات الدينية والدنيوية لهذا الملك (الشاه طهماسب)، وله في رفع تسلّط المعتدين أيادٍ بيضاء»[2]. وقد ظلّ في منصبه الكبير حتى وفاته في سنة (٩٩٣ هـ)، ليخلفه الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد، الشهير ببهاء الدين العاملي[3].

٤ ـ الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد.. العاملي الجبعي الحارثي الهمداني والد الشيخ البهائي:

وهو من أبرز العلماء العامليين المهاجرين إلى إيران وتحديدا إلى مدينة إصفهان ومنها إلى المدن الإيرانية الأُخرى.

وعن الأفندي في الرياض نقلاً عن خط المترجم له انه قال: «ومولد هذا الفقير أول يوم من محرم سنة ثمان عشر وتسعمائة..» وكتب ولده الشيخ البهائي بخطه الشريف تحت مولد أبيه: «انه انتقل إلى دار القرار ومجاورة النبي والأئمة الأطهار في ثامن ربيع الأول سنة أربع وثمانين وتسعمائة فكان عمره ستا وستين سنة وشهرين وسبعة أيام» وكانت وفاته بالبحرين بقرية المصلى من قرى هجر ودُفن بها[4].

وقد أثنى على الشيخ الحسين الحارثي كلُّ من ترجم له من العلماء، وقبل أُولئك

---

(١) النوري، مستدرك الوسائل: ١٢٩، وأُنظر، الأعيان: ٨ / ٣٦٩، والتكملة: ٢٨٠، ورياض العلماء: ٤٠ / ٢٦٦، والمهاجر: ١٤١.

(٢) المهاجر ـ جعفر: ١٤٢ عن عالم آراى عباسى بالفارسية: ١ / ١٥٤.

(٣) المرجع نفسه: ١٤٣.

(٤) أفندي، رياض العلماء: ٢ / ١١٠، والأمين، أعيان الشيعة: ٩ / ٢٣٩.

نجد ثناء أُستاذه الشهيد الثاني في اجازة له والتي جاء فيها: «ثم ان الاخ في اللّه، المصطفى في الأُخوة، المختار في الدين، المرتقي عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين، الشيخ الإمام العالم الأوحد ذا النفس الطاهرة الزكية، والهمة الباهرة العلية، والأخلاق الزاهرة الانسية، عضد الإسلام والمسلمين، عز الدنيا والدين، حسين بن الشيخ الصالح العالم العامل المتقي المتفنن، خلاصة الأخيار الشيخ عبد الصمد...»[1] وهي اجازة طويلة ذكر فيها الشهيد خصوصيات أخلاق تلميذه ومسيرته العلمية.

وللشيخ حسين الحارثي ترجمة واسعة في الرياض والأعيان وغيرها من كتب التراجم، وكتب التاريخ الصفوي ولا يمكن لنا استيعابها[2]. ومما جاء في بعض ترجمته: «ارتحل من وطنه إلى بلاد العجم وصار مصاحبا للسلطان شاه طهماسب الصفوي، وكان معظما في الغاية، وقد أذعن له علماء العصر مرتبة الفقاهة والاجتهاد.. ثم بعد ذلك فوض إليه منصب شيخ الإسلام، وتصدى الشرعيات وحكومة المليات في بلاد خراسان عموما وفي بلدة هراة خصوصا، وتقلد لتلك المناصب بها برهة طويلة من الزمن،.. إلى أن اشتاق لحج بيت اللّه الحرام.. وتوجه إلى المقصد، وبعدما وفق لذلك رجع إلى بلاد الاحساء وبحرين وأقام بها»[3].

وقد حقق الشيخ في ظل الدولة الصفوية ومن خلال منصب مشيخة الإسلام الانجازات التالية:

أولاً: كان الشيخ الحسين بن عبد الصمد من القائلين بوجوب صلاة الجمعة في

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٧٥، والأمين، الأعيان: ٩ / ٢٣٩.

(٢) أُنظر: رياض العلماء: ٢ / ١٠٨ وما بعدها، وأعيان الشيعة: ٩ / ٢٣٧ وما بعدها.

(٣) الرياض: ٢ / ١١٨.

زمن الغيبة وجوبا عينيا، ومن المواظبين على اقامتها في بلاد العجم لا سيما خراسان وهو مسلك واعتقاد شيخه الشهيد الثاني[1].

ثانيا: نشر مذهب أهل البيت في منطقة هراة وما جاورها من قرى تلك البلدة.

يقول صاحب الرياض: «ثمّ لما كان أكثر أهل هراة في تلك الأوقات عارين عن معرفة الأئمة الاثني عشر وعن التدين بمذهب أهل البيتعليهم السلام أمره السلطان (طهماسب) بالتوجه إلى بلدة هراة والإقامة بها لارشاد ضلال أهل الضلال لتلك الناحية.. فأقام هذا الشيخ (بهراة) ثمان سنين مشتغلاً بافادة العلوم الدينية واجراء الأحكام الشرعية، فتشيع لذلك خلق كثير ببركة أنفاسه»[2].

ثالثا: التدريس ونشر الحديث:

ففي المرجع نفسه: «وقد توجه إلى حضرته الطلبة، بل العلماء والفقهاء والأطراف والأكناف من أهل إيران وتوران لأجل مقابلة الحديث وأخذ العلوم الدينية وتحقيق المعارف الشرعية»[3]، «وقد أذعن له علماء العصر مرتبة الفقاهة والاجتهاد..»[4].

*** آثاره العلمية:**

لقد كان الشيخ الحسين الحارثي عالما موسوعيا مشاركا في كثير من العلوم والفنون، يقول عنه نظام الدين التفرشي، في نظام الأقوال: «... كان عالما فاضلاً مطلعا على التواريخ، ماهرا في اللغات، مستحضرا للنوادر والأمثال، وكان ممن جدد قراءة

---

(١) أفندي، رياض العلماء: ٢ / ١٢٠.

(٢) المرجع نفسه: ٢ / ١٢٠.

(٣) المرجع نفسه: ٢ / ١٢٠.

(٤) المرجع نفسه: ٢ / ١١٨.

كتب الأحاديث ببلاد العجم، له مؤلفات جليلة منها: شرح القواعد، وحاشية الارشاد.. وشرح الألفية لم يعمل مثله، ومنها وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار، وغيرها مما صنّف وألّف»[1].

ويضيف أحد تلامذته إلى قائمة مؤلفات أُستاذه الحسين الحارثي العناوين التالية:

«كتاب دراية الحديث، ورسالة في تحقيق القبلة، وكتاب الأربعين حديثا، والرسالة الطهماسبية في بعض المسائل الفقهية، والرسالة الوسواسية، والرسالة الرضاعية، وله أيضا حواشي على كتب الرياضي، وله تعليقات أُخر، ومنشآت (هكذا) كثيرة جدا»[2].

وقد أوصل السيّد الأمين في الأعيان فهرست عناوين مؤلفاته إلى (٢٧) عنوانا[3].

***وفاته:**

ترك الشيخ حسين الحارثي العاملي بلاد العجم بعد أن أمضى بين إصفهان وقزوين ومشهد وهراة مدة من الزمن ما بين سنة (٩٦٥ هـ) إلى سنة (٩٨٤ هـ) متصديا فيها لمشيخة الإسلام والقيام بمهمام قاضي القضاة في الدولة الصفوية، وكانت وجهة سفره بيت اللّه الحرام، يقول صاحب الرياض: «ولما تشرف بزيارة البيت وزيارة المدينة، رجع من طريق (بحرين) وأقام بتلك البلدة وتوطن بها.. واشتغل بتدريس العلوم الدينية برهة من الزمان في أواخر عمره إلى أن توفي بها، وقبره معروف بها ويزوروه أهلها وغيرهم من شيعة أهل البيتعليهم السلام، ويتبركون بمرقده وصار محل

---

(١) أفندي، رياض العلماء: ٢ / ١١٨ ـ ١١٩ عن نظام الدين التفرشي في كتابه نظام الأقوال.

(٢) أفندي، الرياض: ٢ / ١١٩ نقلاً عن رسالة فارسية للمولى مظفر علي تلميذ الشيخ حسين الحارثي.

(٣) الأمين ـ محسن، الأعيان: ٩ / ٢٥١ ـ ٢٥٢.

استجابة الدعوات لأجل تلك الناحية»[١].

ولا تفصح مصادر ترجمته عن سبب وجيه لأعراضه عن إيران بعد أن كان فيها في منصب كبير وخطير وهو منصب شيخ الإسلام؟ وما قيل عن سبب ذلك من قبل بعض الكتاب المحدثين لا تخرج عن دائرة الظنون أو الاحتمالات والاجتهادات التي ليس لها ما يدعمها من شواهد تاريخية[٢].

ومهما يكن من أمر، فإن اقامة الشيخ الحسين الحارثي في البحرين لم تدم طويلاً، إذ وافاه الأجل بعد فترة قصيرة من استقراره فيها.

وينقل صاحب الرياض أن الشيخ حسين قد كتب إلى ولده الشيخ البهائي من البحرين رسالة يقول فيها: «إنك ان تطلب محض الدنيا تذهب إلى الهند، وان كنت تريد العقبى فلابد أن تجيء إلى بحرين، وإن كنت لا تريد الدنيا ولا الغقبى فتوطن ببلاد عراق العجم»[٣].

٥ ـ الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي، الشهير بالشيخ البهائي:

يعتبر الشيخ بهاء الدين العاملي «أشهر انسان عاش في القرن الحادي عشر الهجري في شرق العالم الإسلامي، وإن شهرته بدأت حين أمضى حياته في (إيران) ومنها ذاعت»[٤].

---

(١) أفندي، رياض العلماء: ٢ / ١٢١.

(٢) أُنظر، المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ١٤٧ ـ ١٤٩، والقزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٣٧٤ ـ ٣٧٦، وله أيضا المرجعية الدينية العليا: ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٣) أفندي، رياض العلماء: ٢ / ١٢١.

(٤) المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ١٧٦.

وله ترجمة واسعة في كتب التراجم، حاولت أن تستوعب محطات حياته الكريمة، والوقوف على آثاره العلمية والأدبية.. إلّا أنها عجزت عن الاستيعاب التام واعترفت بعجزها!! كذلك كتبت عنه في عصرنا بحوث مطولة، وأُطروحات جامعية أكاديمية ممنهجة كادت أن تلامس بعض ملامح شخصيته دون أن تتمكن من الغوص في سبر أعماقها.

وفيما يلي اشارات مقتضبة من ترجمة هذا الشيخ الجليل الذي كان من المجددين على رأس القرن الحادي عشر، ومن المساهمين في كثير من العلوم.

قال الشيخ الحر في أمل الآمل: «.. حاله في الفقه والعلم والفضل والتحقيق والتدقيق وجلالة القدر وعظم الشأن وحسن التصنيف ورشاقة العبارة وجمع المحاسن، أظهر من أن يذكر وفضائله أكثر من أن تحصر.. وكان ماهرا متبحرا جامعا كاملاً شاعرا أديبا منشئا ثقة، عديم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضي وغيرها»[١]، ثمّ ذكر فهرسا بمصنفاته وآثاره العلمية.

وذكره السيّد الصدر في التكملة فقال عنه: «شيخ الطائفة في عصره، وشيخ الإسلام في مصره، كل الفضائل تنسب إليه، وهو الشيخ في كل العلوم على الإطلاق.. وترجمه كل معاصريه من العامة والخاصة»[٢].

وأقدم من ترجم للشيخ البهاء هو السيّد علي ميرزا أحمد (المدني) في كتابه سلافة العصر في محاسن أعيان العصر، فقال فيه: «علم الأئمة الأعلام، وسيّد علماء الإسلام، وبحر العلم المتلاطمة بالفضائل أمواجه،.. فهو علامة البشر، ومجدد دين

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ١/ ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٣٤٣.

الأُمة على رأس القرن الحادي عشر، إليه انتهت رياسة المذهب والملة، وبه قامت قواطع البرهان والأدلة، جمع فنون العلم فانعقد عليه الإجماع..»[1].

*** ولادته ونشأته الأُولى ووفاته:**

جاء في سلافة العصر أن: «مولده بعلبك، عند غروب الشمس يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، انتقل به والده وهو صغير إلى الديار العجمية، فنشأ في حجره بتلك الأقطار المحمية، وأخذ عن والده وغيره من الجهابذة.. فلما اشتد كاهله وصفت له من العلم مناهله ولّي بها شيخ الإسلام، وفوضت إليه أُمور الشريعة على صاحبها الصلاة والسلام، ثمّ رغب في الفقر والسياحة..، فترك تلك المناصب، ومال لما هو لحاله مناسب، فقصد زيارة بيت اللّه الحرام، وزيارة النبي وأهل بيته الكرام عليهم أفضل الصلاة والتحية والسلام.

ثمّ أخذ في السياحة فساح ثلاثين سنة،.. واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أرباب الفضل والحال، ونال من فيض صحبتهم ما تعذّر على غيره واستحال، ثمّ عاد وقطن بأرض العجم، وهناك همى غيث فضله وانسجم، فألف وصنّف، وقرط المسامع وشنف.. ثمّ ذكر أنه توفي سنة (١٠٣١ هـ)، ويعقب الحر العاملي على ذلك فيقول: وقد سمعنا من المشايخ أنه مات سنة (١٠٣٥ هـ)»[2].

وفي تكملة أمل الآمل قال: «وقال تلميذه العلّامة الوحيد المولى محمد تقي والد المجلسي صاحب البحار في أول الشرح العربي للفقيه: كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر عظيم الشأن كثير الحفظ، ما رأيتُ بكثرة علومه ووفور فضله وعلو مرتبته

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٥٧ نقلاً عن السيّد علي المدني في كتابه: سلافة العصر.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٥٧ ـ ١٥٨ عن سلافة العصر للمدني: ٢٨٩ ـ ٣٠٢.

أحدا.

إلى أن قال: وكان عمره بضعا وثمانين سنة أما واحدا أو اثنين، فإني سألت عن عمرهﷺ فقال: ثمانون أو أنقص واحدة، ثم توفي بعده بسنتين، وسمع قبل وفاته بستة أشهر من قبر (بابا ركن الدين).. وكنت قريبا منه، فنظر إلينا وقال: سمعتم ذلك الصوت؟ فقلنا: لا، فاشتغل بالبكاء والتضرع والتوجه إلى الآخرة، وبعد المبالغة العظيمة قال: إنه أُخبرت باستعداد الموت، وبعد ذلك بستة أشهر تقريبا توفي. وتشرفت بالصلاة عليه مع جميع الطلبة والفضلاء وكثير من الناس يقربون من خمسين ألفا»[١].

وقال القمي في الكنى والألقاب: وكانت وفاته.. باصبهان، ونقل إلى طوس ودفن بها في داره قريبا من الحضرة الرضوية[٢].

*** تراثه العلمي:**

ترك الشيخ البهائي تراثا علميا مهما، وصلنا الكثير منه، وفي مختلف شؤون المعرفة الدينية والإنسانية، وكذلك في العلوم الطبيعية والعقلية والهندسية.. وقد نوّه مترجموه على هذا التراث ضمن قائمة طويلة تناولت التفسير وعلوم القرآن، والفقه، وعلم أُصول الفقه، والحديث وعلومه، وشرح وحواشي متعددة لبعض الكتب الفقهية، بالاضافة إلى العلوم الأدبية، والحساب، والفلك..[٣]. وقد ذكر السيّد الأمين في أعيانه (٦٠) عنوانا من مؤلفاته بحسب ترتيبها الموضوعي[٤].

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٣٤٦.

(٢) القمي ـ عباس، الكنى والألقاب: ٢ / ٦٠٠.

(٣) أُنظر، أمل الآمل: ١ / ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٤) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٣ / ٥١١ ـ ٥١٣.

ومن خصائص تراث الشيخ البهائي:

أولاً: المنهجية الجديدة في تدوين العلوم:

للشيخ البهائي مجموعة من المؤلفات الفقهية والأُصولية والأدبية والعرفانية ومن أهمها كتابه الفقهي (جامع عباسي) وكتابه الأُصولي (زبدة الأُصول)، وكتابه النحوي (الفوائد الصمدية).

والكتاب الأول أ لّفه الشيخ البهائي باسم الشاه عباس الصفوي وسمّاه «جامع عباسي» وهو كتاب فقهي عام لا يتعلق بالشاه عباس سوى ما يتصل بالعنوان الذي كان الهدف من تسميته تكريم الشاه وتخليده[1] ويمتاز هذا الكتاب بأنه كتاب فقهي جامع ميسر، استوعب فيه كامل المسائل الفقهية المهمة ـ تقريبا ـ وكتبه بلغة مبسطة يتقبلها الوسط العام غير المتخصص كما أنه اعتمد على التقسيمات غير التقليدية في مباحث الفقه باضافة مادة أوسع تتعلق ببعض الأعمال العبادية المندوبة كزيارة مراقد الأئمة..، وقد أوضح الشيخ البهائي في ديباجة كتابه (جامع عباسي) منهجه في تدوين المادة الفقهية ما ترجمته: «صغت تلك المسائل بعبارة واضحة، لكي ينتفع به جميع الخلائق من الخواص والعوام»[2].

ويعتبر كتاب «جامع عباسي» أول كتاب فقهي نزل بالمعرفة الفقهية من أبراجها، إلى مستوى الجمهور،.. وبذلك أُتيح لهذا الكتاب أن يحقق انجازا هائلاً على المستوى المعرفي وعلى المستوى الحضاري.. وبقي الكتاب الفقهي الأكثر انتشارا

---

(١) القزويني، المرجعية العليا: ١٦٥.

(٢) البهائي، جامع عباسي بالفارسية: المقدمة: ٢ ـ ٣، تقديم السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، طبعة مؤسسة انتشارات فراهانى ـ طهران (بلا ـ ت).

في إيران مدة قرنين من الزمان[1].

وينبغي الاشارة إلى أن الشيخ البهائي قد وضع فهرستا لكتابه بعشرين بابا في المعاملات والعبادات إلّا أنه أدركه الأجل ولم يتم منه سوى خمسة أبواب في العبادات إلى آخر الحج، فتممه بعده تلميذه نظام الدين الساوجي، كما أن الكتاب، نال عناية واهتمام جمع من مراجع التقليد فعكفوا عليه شرحا وتعليقا وله حواش كثيرة[2]، من أهمها حاشية السيّد عبد الحسين الحجة، وحاشية المولى حسين علي الملايري، وتعليقة الفقيه السيّد كاظم اليزدي..[3].

ويمكن أن يقال بأن كتاب «جامع عباسي» أول كتاب فقهي كتبه بطريقة الرسائل العملية للمقلدين، وسار على منهجيته من جاء بعده من الفقهاء ومراجع التقليد.

وأما كتابه الثاني فهو كتاب «زبدة الأُصول» في علم أُصول الفقه، فهو من الكتب التي ملأت فراغا في ذلك الوقت، وقد أصبح مصدر اهتمام المجامع العلمية باعتباره متنا من متون أُصول الفقه.

يقول الشيخ الطهراني في التعريف بالكتاب: «زبدة الأُصول، في أُصول الفقه..، من الكتب المهمة في بابها، عني به المتأخرون عنه، وعكف عليه العلماء وتولوه بالتدريس والتعليق والشرح..»[4].

فالشيخ البهائي من المجتهدين المجددين في الفقه والأُصول، وأصبحت آراؤه

---

(١) أُنظر، المهاجر، الهجرة العاملية: ١٢ ـ ١٧٣، والقزويني، المرجعية العليا: ١٦٥.

(٢) مقدمة السيّد المرعشي للكتاب.

(٣) للتوسع أُنظر: الطهراني، الذريعة: ٣ / ١٨٦ ـ ١٨٧ و ٥ / ٤٤ ـ ٤٥، والقزويني، المرجعية: ١٦٩.

(٤) الطهراني، الذريعة: ١٣ / ١٨١، وأُنظر، الذريعة: ٦ / ٧٤ ـ ٧٥ و ١٢ / ١٥.

الفقهية والأُصولية تنقل في المؤلفات الفقهية، وقد تناولها كبار الفقهاء أمثال السيّد محمد جواد العاملي في كتابه «مفتاح الكرامة» ومحمد حسن النجفي في كتابه «جواهر الكلام» مما يدلّ على تركته العلمية الرائقة، ومكانته المتميزة في تاريخ الإمامية الاثني عشرية[1].

ولم تقتصر جوانب الابداع في منهجية الشيخ البهائي على الفقه والأُصول فقط، وإنما تعدت ذلك لتشمل العلوم الأُخرى، كعلوم اللغة من النحو والبلاغة والبديع والبيان.. ومن أهم كتبه في هذا المجال، كتاب «الفوائد الصمدية» فالتجديد المنهجي فيه لا يقل وضوحا عن كتبه الأُخرى، وهو كتاب في النحو، وضعه لشقيقه الأصغر (عبد الصمد) الذي توفي في مقتبل العمر،.. وأصبح هذا الكتاب أحد أشهر الكتب الدراسية، بعد أن انتشر وذاع صيته وما يزال، وقد يسَّر فيه علم النحو للدارسين بمنهجية جمعت بين البساطة والابداع..»[2].

وهكذا نجد مناحي التجديد في منهجية الشيخ البهائي في مؤلفاته الأُخرى متجلية واضحة يمكن الوقوف عند مفرداتها من خلال سبر كتبه ومؤلفاته[3].

ثانيا: السعة والشمول والاستيعاب:

لقد تنوعت مؤلفات الشيخ البهائي، واتسعت كثيرا لتشمل مختلف نواحي المعرفة البشرية التي كانت سائدة في عصره، وقد ذكر بعض كُتّاب سيرته أن له ما يزيد على

---

(١) القزويني، المرجعية العليا: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ١٧٣ ـ ١٧٤ بتصرف، وأُنظر قائمة شروح الصمدية: الذريعة: ٦ / ٩١ ـ ٩٢.

(٣) أُنظر، مقال الشيخ جعفر المهاجر: «بهاء الدين العاملي مؤلفا مجددا»، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد الخامس: ١٣٢ وما بعدها، ضمن اصدارات المستشارية الثقافية الإيرانية ـ دمشق.

المائة مؤلّف، بين كتاب كبير ورسالة صغيرة[1]، فكتبه ومؤلفاته والتي لاقت انتشارا ورواجا كبيرا اتسمت بالسعة والاحاطة والشمول والاستيعاب لموضوعاتها التي تناولتها، بالاضافة إلى منهجيته العلمية الفذة، «فهو فقيه مع الفقهاء، ومحدث مع المحدثين، وصوفي مع المتصوفة، وفيلسوف مع الفلاسفة، ورياضي مع أصحاب التعليم، وهو نحوي مع النحاة»[2].

ثالثا: سهولة العبارة وجماليتها:

لقد كانت غاية الشيخ البهاء من كتاباته ايصال المعارف الدينية والاجتماعية والفلسفية إلى الأمة، متخذا لذلك الأُسلوب السهل اليسير الملائم الذي يقرب ما بين الأُمة وبين هذه المعارف في ذلك العصر الذي كان المؤلفون والمدرسون يتبارون في تقعير الكلام وإغماضه، اعتقادا منهم بأنه كلما كان بعيدا عن الفهم، عصيّا على السامع، كلما دلّ على ارتفاع مكانة كاتبه، وعلوّ كعبه، أما الكلام السهل البيِّن فقد كان شيئا مهينا متروكا للسرقة»[3].

ولعل هذه السمة إلى جانب غيرها من السمات الواضحة في مؤلفات الشيخ البهاء العاملي، هي التي أدت إلى الانتشار والرواج الهائل الذي لقيته مؤلفاته، سواء منها ما كتب بالفارسية أم بالعربية، بحيث أن أكثرها لا يزال متداولاً حتى اليوم[4].

رابعا: كثرة الموارد والمصادر التي اعتمدها في مؤلفاته:

خلف الشيخ البهائي تراثا علميا وكتب في مختلف شؤون المعرفة «وكان متفردا

---

(١) المهاجر، الهجرة العاملية: ١٧٠.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٣ / ٤٩٨.

(٣) المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ١٧٢.

(٤) المرجع نفسه: ١٧٢.

بمعرفة بعض العلوم الذي لم يحم حوله من أهل زمانه ولا قبله»[1]، والسمة الواضحة في هذا التراث هو كثرة مواردها ومصادرها وسعتها وتنوعها، مما أكسبها صفة الموسوعية وخاصة في التراث العقلي في الفلسفة والرياضيات.

قال الشيخ محمد رضا الشبيبي وهو يصف التراث العقلي للشيخ بهاء الدين العاملي:

«لقد استرعى نظري وأنا اتصفح مختلف الأسفار والتصانيف لتقييد ما يتصل منها بتأريخ الفلسفة الإسلامية، ان جملة من كتب الشيخ بهاء الدين العاملي﵀ حافلة بفوائد وشوارد فلسفية، مضافا إلى بحوثه الأُخرى في الرياضيات والفلكيات..، فإنه شارك مشاركة عجيبة في جميع العلوم والفنون المعروفة في زمانه، عقلية ونقلية، ووفق في التأليف فيها، وفي جملتها الفقه والأُصول والحديث والتفسير واللغة وعلومها والحكمة والفنون الرياضية والفلكية، وقد كتب له التوفيق في مؤلفاته، فذاعت وأقبل عليها العلماء والمتعلمون في القرون الأربعة الأخيرة..»[2].

والسؤال الذي يطرح نفسه أمام الباحث هو ما هي الموارد والمصادر التي كان ينتهل منها الشيخ البهاء معلوماته التي كان يدونها في مؤلفاته؟ وهي بلا شك موارد كثيرة ومتنوعة ولا يتيسر الحصول عليها في ذلك الزمن الذي لم تتيسر فيه موارد العلوم والمعارف.

وقد حاول بعض الباحثين أن يجيب عن هذا السؤال الكبير من خلال العودة إلى حياة الشيخ البهائي في جانبها العلمي بعيدا عن الأجواء الرسمية في منصب (شيخ

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٣ / ٤٩٧ نقلاً عن تلميذ البهائي السيّد حيدر الكركي.

(٢) المرجع نفسه: ١٣ / ٤٩٨ نقلاً عن الشيخ محمد رضا الشبيبي.

الإسلام) في الدولة الصفوية، فهو قد ترك هذا المنصب وساح في الأرض لفترة استوعبت عقودا من الزمن المتواصل «طاف ـ خلالها ـ في كل مدرسة، واخترق نطاقها، ومرَّ على رجالها وشاركهم فيما يعنيهم كأنه واحد من القوم.. ولم يترك ناحية من نواحي المملكة الإيرانية إلّا زارها..، وكان ديدن الشيخ في سفره الأخذ عن الجهابذة ـ من العلماء ـ. وفي إصفهان لقي جماعة من العلماء المتضلعين في مختلف العلوم والفنون فأخذ عنهم وأخذوا عنه، وفي هذه المدينة ـ على الأرجح ـ وضع جملة من تآليفه المشهورة، وأسس أكثر من مدرسة واحدة فيها حتى صارت إليها الرحلة من كثير من الأقطار الإسلامية وأصبحت إصفهان بذلك دار العلم في هذا العصر وما بعده إلى عصور قليلة..»[1].

وإلى هذا المورد يشير باحث آخر في تراث الشيخ البهائي فيقول: «ويمتاز الشيخ العاملي ـ العالم الموسوعي العربي ـ بأنه قد رسم صورة واضحة وصادقة لمعارف العرب الرياضية في نهاية القرن السادس عشر الميلادي بعد أن جاب الأمصار العربية والإسلامية، واطلع على أعمال العرب وفلاسفتهم زهاء ثلاثين عاما»[2].

فالسفر، والسياحة في الأرض، ومخالطة جهابذة العلماء والأخذ عنهم.. كل هذه شكلت موارد الشيخ البهائي في نطاق تنوعها وموسوعيتها.

وقد يضاف إلى هذا المورد، مورد آخر لا يقل عنه أهمية، ويتعلق بالمكتبة الكبيرة التي كونها الشيخ البهائي خلال سفره وأضاف إليها ما ورثته زوجته من مكتبة والدها

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٣ / ٤٩٨ ـ ٤٩٩ عن الشيخ محمد رضا الشبيبي.

(٢) المرجع نفسه: ١٣ / ٥٠٣ عن الدكتور جلال شوقي في مقدمة كتابه: «الأعمال الرياضية لبهاء الدين العاملي» الصادر عن دار الشرق في بيروت، وعن إدارة العلوم في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

الشيخ علي المنشار العاملي الذي جاء بها من بلاد الهند.

يقول الشيخ الطهراني في ترجمة الشيخ البهائي من طبقاته: «.. وساح البلاد ثلاثين سنة، وحصلت عنده خزانة كتب كبيرة، فيها كتب وافرة كثيرة، منها الأربعة آلاف كتاب التي جاء بها الشيخ علي المنشار من بلاد الهند، وانتقلت بعده إلى بنته العاملة المدرسة زوجة الشيخ البهائي، فأوقفها جميعا البهائي وعمل خاتما كبيرا للوقفية، رأيته على نسخة الذكرى عند الحاج الشيخ عباس القمي صاحب «هداية الأحباب» مكتوب في الخاتم [هذا ممّا أوقفه العبد بهاء الدين محمد، على الطلبة الإمامية بتولية ابن أخيه وسمي أبيه حسين بن عبد الصمد، ثمَّ الأتقى من بنيه وبنيهم ولو كان أبعد ١٠٣٠] وذلك لأنه لم يعقّب ولدا.. ويظهر من تاريخ هذا الخاتم أنَّ وقفه للكتب كان في السنة الأخيرة من عمره»[١].

نتوقف عند هذا الحد من ترجمة الشيخ البهائي العاملي في المحطات التي توقفنا عندها والتي لم نستوفِ حقها من البحث روما للاختصار.

وهنالك جوانب كثيرة من شخصية هذا العالم الرباني الفذ يمكن مراجعتها في كتب التراجم.

٦ ـ الشيخ لطف اللّه الميسي ثمّ الإصفهاني (ت ١٠٣٢ هـ):

وصفه الحر العاملي بقوله: «كان عالما فاضلاً صالحا فِقيها متبحرا محققا عظيم الشأن جليل القدر أديبا شاعرا معاصرا لشيخنا البهائي، وكان البهائي يعترف له بالعلم والفضل والفقه ويأمر بالرجوع إليه»[٢].

---

(١) الطهراني ـ آقا بزرك، طبقات أعلام الشيعة: ٨ / ٨٧.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٣٦.

والشيخ الميسي ينحدر من سلالة أُسرة علمية عريقة، وكان ـ كما يقول صاحب الرياض ـ «من العلماء الزهاد والفقهاء العبّاد والصلحاء من بين العباد، وكان هو ووالده، وابنه الشيخ جعفر، وجدّه الأدنى، وجدّه الأعلى، من مشاهير فقهاء الإمامية»[1].

ولد الشيخ لطف اللّه في (ميس) من قرى جبل عامل، توجه في أوائل عمره مهاجرا إلى مشهد الرضا عليه السلام وأقام بها مدة، وكان يشتغل فيه بتحصيل العلوم، وأخذ الفقه فيه من المولى عبد اللّه التستري وغيره من علماء تلك البلاد، وانتظم في سلك مدرسي تلك الحضرة، وقد فوّض إليه خدمة تلك الروضة.. ثمَّ انتقل إلى قزوين وكان يدرس بها برهة من الزمن، ثمّ انتقل منها إلى إصفهان بأمر من السلطان عباس الصفوي، وأقام بجوار المسجد الذي ينسب إليه في ميدان (نقش جهان)، وقد بناه ذلك السلطان، وكان يؤم الناس فيه، ويشتغل بالتدريس في الفقه والحديث والعبادة في لباس الفقر وخدمة الصلحاء[2].

فالشيخ لطف اللّه من علماء جبل عامل الذين شادوا مدرسة إصفهان وعمروها بالعلم والمعرفة فكانت مدرسة إصفهان مزدهرة عامرة على عهده، لأنه كان معاصرا للشيخ البهائي والمولى عبد اللّه التستري والسيّد الداماد، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف من الهجرة النبوية[3].

٧ ـ السيّد صدر الدين بن صالح الموسوي العاملي:

ترجم له السيّد حسن الصدر في التكملة ترجمة موسعة استوعبت صفحات من

(١) أفندي ـ عبد اللّه، رياض العلماء: ٤ / ٤١٧.

(٢) المرجع نفسه: ٤ / ٤١٩ ـ ٤٢٠.

(٣) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٣٤، وأُنظر، الطهراني، الطبقات: ٨ / ٤٧٨.

كتابه، ومما جاء فيها هاجر إلى العراق مع أهله سنة (١١٩٧ هـ) وتلقى علومه في حوزة النجف عن الأساطين من علمائها،.. عزم على زيارة الإمام الرضاعليه السلام ورجع من طريق يزد فاجتمع عليه أهلها وسألوه الاقامة فأقام مدة ثمّ رحل إلى إصفهان وكانت يومئذ دار العلم ومحط رحال أهل الفضل، فأقام بها سنتين مرجعا في التدريس والقضاء.. وتخرّج عليه جماعة ورووا عنه كشيخ الطائفة الشيخ مرتضى الأنصاري..[1].

٢ * علماء جبل عامل في خراسان:

١ ـ الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشغري (ت ١١٠٤ هـ):

ترجم لنفسه في كتابه أمل الآمل فقال: «مؤلف هذا الكتاب، كان مولده في قرية مشغرى ليلة الجمعة ثامن رجب سنة (١٠٣٣ هـ)، قرأ بها على أبيه وعمه الشيخ محمد الحر، وجدّه لأُمه الشيخ عبد السلام بن محمد الحر، وخال أبيه الشيخ علي بن محمود وغيرهم، وقرأ في قرية جبع على عمه أيضا وعلى الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين، وعلى الشيخ حسن الظهيري وغيرهم وأقام في البلاد أربعين سنة وحج فيها مرتين، ثمّ سافر إلى العراق فزار الأئمةعليهم السلام ثمّ زار الرضاعليه السلام بطوس، واتفق مجاورته بها إلى هذا الوقت مدّة أربع وعشرين سنة..، له كتب منها:

١ ـ كتاب الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، وهو أول ما أ لّفه ولم يجمعها أحد قبله.

٢ ـ والصحيفة الثانية من أدعية علي بن الحسينعليه السلام الخارجة عن الصحيفة الكاملة.

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٣٥ وما بعدها.

٣ ـ كتاب تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ستة مجلدات، تشتمل على جميع أحاديث الأحكام الشرعية الموجودة في الكتب الأربعة وسائر الكتب المعتمدة أكثر من سبعين كتابا..».

٤ ـ وكتاب هداية الأُمة إلى أحكام الأئمةعليهم السلام ثلاثة مجلدات صغيرة، منتخبة من ذلك الكتاب (أي الوسائل) مع حذف الأسانيد والمكررات.. من أول الفقه إلى آخره.

٥ ـ وكتاب فهرست وسائل الشيعة، يشتمل على عنوان الأبواب وعدد أحاديث كل باب، مجلد واحد، ولاشتماله على جميع ما روي من فتاواهمعليهم السلام سماه كتاب من لا يحضره الإمام.

٦ ـ وكتاب الفوائد الطوسية، خرج منه مجلد يشتمل على مائة فائدة في مطالب متفرقة.

٧ ـ وكتاب إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، مجلدان، يشتمل على أكثر من عشرين ألف حديث منقولة من جميع كتب الخاصة والعامة...

٨ ـ وله هذا الكتاب، وهو كتاب أمل الآمل في علماء جبل عامل، وفيه أسماء علمائنا المتأخرين أيضا.

٩ ـ وله رسالة في الرجعة سماها: الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة...

١٠ ـ ومجموعة من الرسائل العقائدية والفقهية منها: رسالة في الرد على الصفوية.. ورسالة في خلق الكافر وما يناسبه، ورسالة في تسمية الهدي، ورسالة الجمعة في جواب من ردّ أدلة الشهيد الثاني في رسالته في الجمعة، ورسالة في الاجماع.. ورسالة تواتر القرآن، ورسالة الرجال، ورسالة أحوال الصحابة، ورسالة في تنزيه المعصوم عن السهو والنسيان، ورسالة في الواجبات والمحرمات المنصوصة من أول الفقه إلى آخره...

١١ ـ وكتاب الفصول المهمة في أُصول الأئمةعليهم السلام تشتمل على القواعد الكلية المنصوصة في أُصول الدين، وأُصول الفقه، وفروع الفقه، وفي الطب ونوادر الكليات...

١٢ ـ وله كتاب العربية العلوية واللغة المروية.

١٣ ـ وله اجازات متعددة للمعاصرين مطولات ومختصرات ورسالة في أحواله ورسالة في الوصية لولده.

١٤ ـ وله ديوان شعر يقارب ألف بيت أكثره في مدح النبيصلى الله عليه وآله والأئمةعليهم السلام، وفيه منظومة في المواريث، ومنظومة في الزكاة، ومنظومة في الهندسة، ومنظومة في تاريخ النبيصلى الله عليه وآله.

١٥ ـ تحرير وسائل الشيعة الذي يقول عنه: «وفي العزم إن مدَّ اللّه في الأجل تأليف شرح كتاب وسائل الشيعة.. اسميته «تحرير وسائل الشيعة وتجبير مسائل الشريعة».. ثمّ يذكر ما قاله صاحب سلافة العصر في ترجمته مع ذكر مقاطع مطولة من شعره في مدح النبيصلى الله عليه وآله والأئمةعليهم السلام[١].

هذه هي الخطوط العامة لشخصية الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، بقلمه، ومنقولة من الكتاب الذي خصص مجلده الأول لترجمة علماء جبل عامل.

ومن الواضح أن الشيخ الحر لم يسلط الأضواء على جميع جوانب شخصيته واقتصر على الجانب العلمي منها، ويعود كتابة ترجمته لنفسه في أمل الآمل إلى عام (١٠٩٧ هـ) كما في الطبقات للطهراني[٢]، ووفاة الشيخ الحر عام (١١٠٤ هـ) وهذا

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٤١ وما بعدها.

(٢) الطهراني، الطبقات: ٨ / ٥٤٦ عند ترجمة محمد الميسي، حيث قال في ترجمته: «.. معاصر، سكن كربلاء إلى الآن»، قال الطهراني: أقول يعني ١٠٩٧ هـ.

يعني أنه لم يترجم للسنوات الأخيرة من حياته.

ومهما يكن من أمر، فإنّ الشيخ الحر العاملي من أبرز العلماء المهاجرين من جبل عامل إلى إيران، وشهرته الواسعة تغني عن التعريف به من خلال نقل كلمات علماء التراجم.

كانت بداية هجرته إلى مدينة إصفهان: «ولاقى فيها كثيرا من علمائها، وكان أشدهم أُنسا به، وأكثرهم صحبة له المولى محمد باقر المجلسي، وأجاز كل منهما صاحبه هناك».

ومن طريف ما يحكى عنه «إنه ذهب مدة اقامته بإصفهان إلى مجلس الشاه سليمان الصفوي فدخل بدون استئذان وجلس على ناحية من المسند الذي كان الشاه جالسا عليه، فسأل عنه الشاه فأخبر انه عالم جليل من علماء العرب يدعى محمد بن الحسن الحر العاملي، فالتفت إليه وقال: «فرق ميان حر وخر جقدر است؟» أي كم هو الفرق بين حر، وخر؛ وخر بالفارسية معناها الحمار، فقال له الشيخ على الفور «يك متكى» أي مخدة واحدة، فعجب الشاه من جرأته وسرعة جوابه»[1].

انتقل الشيخ الحر إلى خراسان «وجاور المشهد المقدس ومضى على ذلك زمان أُعطي منصب قاضي القضاة وشيخ الإسلام في تلك الديار وصار بالتدريج من أعظم علمائها»[2].

وهنالك محطات علمية مهمة في مسيرة الشيخ الحر العاملي العلمية ينبغي التوقف عندها:

---

(١) الخوانساري، روضات الجنات: ٧ / ١٠٤.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٣ / ٤١٣.

أولاً: تدوين الحديث:

فقد عرف الشيخ الحر بأنه: «أحد المحمدين الثلاث الأواخر أرباب الجوامع الكبار في الحديث..»[1].

إن قصة تدوين الحديث عند بعض المذاهب الإسلامية لاقت عنتا شديدا ودخلت في بعض مراحلها في دائرة الممنوعات! ثمّ سمح بذلك فدونت كتب الصحاح والمسانيد والأطراف والزوائد.. فأصبح عند هذه المذاهب مجاميع حديثية مهمة كان ينبغي أن تواصل مسيرتها إلّا أنها توقفت نسبيا لأسباب لا مجال للحديث عنها[2].

وأما في مدرسة أهل البيتعليهم السلام فإنّ لتدوين الحديث مسيرة مباركة أثمرت عن أُصول مدونة متلقاة من الأئمةعليهم السلام وضمن مجاميع تنسب إلى مدونيها، ثمّ من هذه الأُصول والتي تعرف (بالأُصول الأربعمائة)، دونت كتب الحديث الأربعة للمحمدين الثلاثة الأوائل وهي ـ بحسب تسلسلها الزمني ـ:

١ ـ الكافي في الأُصول والفروع والروضة ويقع في (٨) مجلدات بحسب الطبعة الحديثة، ومؤلفه الشيخ محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت ٣٢٩ هـ) المدفون في بغداد.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه في الفروع الفقهية ويقع في (٤) مجلدات بحسب طبعته الحديثة، ومؤلفه الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، والمدفون في بلاد الري من إيران.

٣ ـ تهذيب الأحكام، وهو شرح لكتاب (المقنعة) للشيخ المفيد محمد بن محمد

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٣٤٠.

(٢) للتوسع أُنظر: تدوين الحديث للسيّد علي الشهرستاني، وكذلك: تدوين الحديث للسيّد محمد رضا الجلالي، وقارن بما كتبه الشيخ عبد الكريم الخطيب في كتابه تدوين السنة.

بن النعمان (ت ٣٦٦ هـ) ويقع الكتاب في (١٠) مجلدات بحسب الطبعة الحديثة، ومؤلفه الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) والذي قضى شطرا كبيرا من حياته في بغداد ومنها هاجر إلى النجف الأشرف وتوفي ودُفن بها.

٤ ـ الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار، ويقع في (٤) مجلدات بحسب الطبعة الحديثة، ومؤلفه الشيخ الطوسي أيضا.

هذه هي الكتب الأربعة الأوائل للمحمدين الثلاثة الأوائل، والتي تمتلك قيمتها العلمية والتاريخية في فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وكان ولا زال على هذه المجاميع الحديثية المعول عليها في مجال الاستنباط الفقهي.

وبعد مرور قرون من الزمن على تدوين هذه الكتب الحديثية الأربعة، وفي عصر الدولة الصفوية أُضيفت إلى المكتبة الشيعية كتب الحديث الثلاثة المتداولة اليوم، والتي بها تمّت سلسلة كتب الحديث الشيعية، بعد أن جمعت من أُصولها القديمة، كما تمَّ بمؤلفيها الثلاثة سلسلة المحمدين الستة جامعي ومنسّقي أحاديث الإمامية.

وهذه الكتب هي:

١ ـ الوافي، ومؤلفه الشيخ محمد محسن بن المرتضى الشهير بالفيض الكاشاني (ت ١٠٩٠ هـ)، جمع المؤلف في كتابه نحو خمسين ألف حديث من الكتب الأربعة القديمة وأعاد تنسيقها باسقاط المكرر منها، وطبع الكتاب في أكثر من (٢٠) مجلدا بطبعته الحديثة.

٢ ـ تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ومؤلفه الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، أ لّفه في مدّة ثماني عشرة سنة، وطبع الكتاب في (٢٠) مجلدا، ثمّ أعادت مؤسسة آل البيت عليهم السلام تحقيقه ونشره في (٣٠) مجلدا.

٣ ـ بحار الأنوار، لمؤلفه الشيخ محمد باقر المجلسي الشهير بالمجلسي الثاني

(ت ١١١١ هـ)، وهو موسوعة ضخمة تناول فيها مؤلفها كل ما نالت يده من أحاديث الشيعة الإمامية دون تهذيب، ولم يقتصر على الكتب الأربعة القديمة، بل أدخل في مصادره بعض الأُصول التي يشكك البعض في نسبتها إلى الأئمة ككتاب (الفقه الرضوي)، علما بأن المجلسي قد أتم تدوين القسم الأكبر من كتابه ثمّ توفي، فقام تلميذه الشيخ عبد اللّه الإصفهاني الشهير بعبد اللّه أفندي (ت ١١٣٠ هـ) صاحب كتاب (رياض العلماء وحياض الفضلاء) بتنقيح وتحرير مسودات الكتاب التي خلفها أُستاذه المجلسي[1].

هذه هي كتب الحديث السبعة للمحمدين الستة ومراحل تدوينها.

ويعتبر كتاب الحر العاملي «تفصيل وسائل الشيعة...» من أهم هذه الكتب الحديثية في مجال الاستنباط الفقهي، ولا يمكن لفقيه أن يستغني عنه في مجال مزاولة استنباط الأحكام الفرعية، ولا زال الكتاب ومنذ تأليفه وإلى اليوم له الحظ الوافر من الشهرة واهتمام العلماء.

يقول السيّد الأمين منوها بمكانة كتاب الوسائل: «قد رزق المترجم حظا في مؤلفاته لم يرزقه غيره؛ فكتابه (الوسائل) عليه معول مجتهدي الشيعة من عصر مؤلفه إلى اليوم، وما ذاك إلّا لحسن ترتيبه وتبويبه، والوافي للملا محسن الكاشاني أجمع منه، ومع ذلك لم يرزق من الحظ ما رزقته الوسائل لصعوبة ترتيبه، وربما كان مؤلفه أكثر تحقيقا من صاحب الوسائل. وكان لبحر العلوم الطباطبائي اعتناء خاص بالوافي، وكان يدرس فيه، وأمر تلميذه صاحب مفتاح الكرامة بجمع تقريرات ذلك الدرس،

---

(١) المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ١٨٥ ـ ١٨٦ بتصرف، وللتوسع في معرفة هذه الكتب وشروحها وحواشيها ونسخها ومكان تواجدها، أُنظر، الطهراني الذريعة إلى تصانيف الشيعة في اجزاءه المتعددة.

ومع ذلك كله لم يجر الوافي مع الوسائل في حلبة..»[1].

٢ ـ تدوين القواعد الأُصولية:

لقد كان الشيخ الحر العاملي اخباريا صرفا[2]، ومن أقطاب هذه المدرسة التي امتدت لأكثر من قرنين من الزمن انشطر فيها الفكر الشيعي الإمامي الاثني عشري إلى شطرين متصارعين، شطر يمثله الاتجاه الأُصولي، والآخر معاكس ومقاوم له يمثله المد الاخباري، والذي كان له موقف سلبي جدا من مناهج وطرق الاجتهاد التي يتبناها فقهاء الاتجاه الأُصولي[3].

فالشيخ الحر يمثل المدرسة الاخبارية بل أن بعض الباحثين يعتبره المؤسس الحقيقي للحركة الاخبارية[4].

فلهذا تجده يقاوم الاتجاه الأُصولي.

ومن طريف ما يحكى في هذا المجال ما ينقله صاحب الروضات بقوله: «ونقل من غريب ما اتّفق في بعض مجامع قضائه أنه شهد لديه بعض طلبة العصر في واقعة من الوقائع، فقيل له: إنّ هذا الرّجل يقرأ زبدة شيخنا البهائي في الأُصول فردّﷺ شهادته من أجل ذلك»[5].

وحاول الشيخ الحر أن يترجم وبأمانة نظرية المدرسة الاخبارية في الاستنباط

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٣ / ٤١٣.

(٢) المرجع نفسه: ١٣ / ٤١٢.

(٣) للتوسع في تفاصيل هذا الصراع، أُنظر كتابنا تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، الفصل العاشر، ظهور الحركة الاخبارية: ٣٥٥ ـ ٤١٨، طبعة دار المصطفى العالمية ـ قم، ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م.

(٤) المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ٢٠٣.

(٥) الخوانساري، روضات الجنات: ٧ / ١٠٤.

الفقهي والتي تحصر مهمة الفقيه في استنباط الأحكام الشرعية النظرية الكلية من الكتاب والسنة بعيدا عن الأدلة الظنّية والأدلة العقلية والتي ينهجها المجتهدون الأُصوليون، فبالاضافة إلى منجزه الضخم في تدوين الحديث الفقهي والمتمثل بكتاب (الوسائل) تجده يدون كتابه الموسوم بـ (الفصول المهمة في أُصول الأئمة) والذي مرّ التعريف به ضمن قائمة مؤلفاته، والذي بين الغرض من تأليفه في مقدمته بقوله: «يشتمل على الأُصول الكلية المروية والأبواب الموصلة إلى الأحكام الجزئية، ليستغنى به عن الاستنباطات الظنّية والأدلة العقلية».. «فيه أكثر من ألف باب يفتح من كل باب ألف [باب]»[1].

٣ ـ تدوين تراجم علماء جبل عامل:

وهو من مؤلفات الشيخ الحر المهمة، والذي حظي من بين قواميس الرجال الكثيرة بحظٍّ وافرٍ، واشتهر اشتهارا واسعا، من يوم تأليفه وإلى الآن، يقول السيّد الأمين في أعيانه: «وكم صنّف العلماء في أحوال الرجال فلم يرزق كتاب من الاشتهار ما رزق أمل الآمل، على اختصاره، وكثرة انتقاد الناس إياه، ووضعت عدّة كتب في اعصار كثيرة باسم تكملة أمل الآمل»[2].

وشهرة هذا الكتاب من بين مؤلفات الشيخ الحر لا تقل عن شهرة (كتاب الوسائل) فهو من أوسع كتب التراجم الشيعية انتشارا، كما أن فائدته كبيرة وفريدة إذ قدم الشيخ الحر بكتابه هذا خدمة جليلة للقائمين بالتأليف في التراجم في العصور المتأخرة، فهو قد «حفظ أسماء كادت أن تنسى، وأثبت تراجم عديدة مفصلة ومختصرة من العامليين

---

(١) الفصول المهمة: المقدمة: ١ ـ ٢، وأمل الآمل: ١٤٤.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٣ / ٤١٣.

وغيرهم كدنا أن نفقدها لولا هذا الكتاب..»[1].

٤ ـ التصدي للصوفية:

وقد مرَّ بنا في فهرست كتب الشيخ الحر عنوان: «رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية»، تشتمل على اثني عشر بابا واثني عشر فصلاً فيها نحو ألف حديث في الرد عليهم عموما وخصوصا في كل ما اختصوا به».

لقد قامت الدولة الصفوية في بدايات تكوينها على قاعدة (صوفية ـ شيعية) مادتها تلك القبائل التركمانية التي كانت تتخذ من الطريقة الصوفية النوربخشية مسلكا لها[2]، وكانت تلك القبائل موالية للبيت الصفوي وهم الذين حملوهم إلىَ عروش الحكم، فأصبح أُولئك الصوفية يشكلون طبقة ارستقراطية متميزة متنفذة في كيان الدولة الصوفية، ومن جانب آخر نجد أن بعض الفقهاء العامليين المهاجرين إلى إيران، وبعض آخر من كبار الفقهاء يحمل هذا التوجه الصوفي، فقد وصف الشيخ بهاء الدين العاملي بأنه «من أعاظم أصحاب الذوَق والوجد» وانه «من اتباع الطريقة النوربخشية»[3]. ومن قبل الشيخ البهاء عُرف والده «الحسين بن عبد الصمد» باتجاهه الصوفي القوي، بالاضافة إلى أسماء فقهاء عامليين ساروا على المسلك الصوفي نفسه[4].

كذلك عُرف الشيخ محمد محسن الفيض الكاشاني، بنزعته الصوفية المعروفة،

---

(١) الاشكوري ـ أحمد، المقدمة التحقيقية لكتاب أمل الآمل: ١ / ٥٣.

(٢) أُنظر، المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ١٧٨، ٢٠٧ عن تذكرة رياض الصالحين: ٢٥١.

(٣) المرجع نفسه: ١٦٠ وأُنظر مصادره في المرجع نفسه: ١٧٨.

(٤) المرجع نفسه: ٢٠٨.

فقد كان متصوفا صلبا، بقدر ما كان اخباريا صلبا[1].

ولم يكن في بداية الأمر وفي عصر الشيخ عبد الصمد الحارثي وولده الشيخ بهاء الدين.. صراع ظاهر بين الفقهاء الذين يتبنون موقف أهل الشريعة التقليدي، وبين الفقهاء الذين لهم نزعة صوفية مادام ذلك لا يتجاوز أن يكون اتجاها زهديا فرديا، فنجد خلال هذه الفترة نوعا من التعايش بين الاتجاهين الفقهي التقليدي، والصوفي[2].

إلّا أنه وبمرور الزمن تحول هذا التعايش إلى صراع عنيف، وكان للتقلبات السياسية دور في هذا الصراع، فنجد طرفي النزاع بين فقيهين، أحدهما ذو نزعة صوفية عنيفة وهو الفيض الكاشاني (ت ١٠٩٠ هـ)، والآخر من أحفاد الشهيد الثاني ويمثل التشيع الرسمي التقليدي وهو الشيخ علي بن محمد الشهيدي (ت ١١٠٣ هـ)، وامتد الصراع إلى الفقهاء من الصوفيين والتقليديين من بعدهما «وبقي لنا من آثار تلك المعركة الشديدة رسالة كتبها الشيخ علي، سمّاها: «السهام المارقة من أعراض الزنادقة» وهي اسم يشير بعنف الصراع الضاري، عَرضَ فيها لأعلام التصوّف التاريخيين، ومخالفتهم لما عليه الشيعة الإمامية، مقارنا بينهما وبين مثيلاتها عند الفيض»[3].

ثمّ جاء دور الحرّ العاملي في هذه المعركة، ومن بعده جاء دور العلّامة المجلسي ليواصل المعركة، فكتب الشيخ الحر رسالة الاثني عشرية «وضع فيه علاقة الشيعة الإمامية بالتصوف في اطار واضح محدّد، مما أتاح للمجلسي الغطاء الفكري

(١) المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ٢١٠.

(٢) المرجع نفسه: ٢٠٨.

(٣) المرجع نفسه: ٢١٠ ـ ٢١١.

المنشود،.. كما أن كتاب الشيخ الحر يُعدّ فاتحة لعددٍ كبير من الكتب المماثلة، التي جاءت بعد أوانها»[1]. وأسفرت في نتيجتها عن طرد الصوفية من إصفهان ومنعت اقامة الأذكار، وحُرّم كل ما يتعلق بالتصوف[2].

٥ ـ لم يقتصر جهود الشيخ الحر على التأليف والتصنيف فقط، وإنما تعدّى ذلك إلى ميدان آخر لا يقلُّ عن الأول أهمية وهو ميدان التدريس والافادة وتربية العلماء والرواة.. فلقد «كان من المدرسين البارزين في مشهد الإمام الرضاعليه السلام حيث استقر به المنزل في تلك البقعة المباركة، فكان يشغل أوقاته كلها بمجالس التدريس..، وكان يدير حلقة كبيرة للتدريس يحضرها جماعات كثيرون من سائر الأقطار للأخذ عنه والحضور عنده».

يقول الشيخ الحر في كتابه أمل الآمل، ضمن ترجمة السيّد حسين بن محمد الموسوي العاملي الجبعي: «وكان مدرسا في الحضرة الشريفة في القبة الكبيرة الشرقية، وأُعطيت التدريس في مكانه»[3].

وهذا المكان للتدريس لم يكن يستحصله أحد إلّا أن يكون الأول في منزلته العلمية والمقدم على علماء خراسان[4].

ويقول السيّد الأمين في ضمن ترجمة الشيخ الحر:

«مما يلفت النظر في حياة المترجم ما ورد في كتاب روح الجنان للشيخ محمد

---

(١) المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ٢١١.

(٢) أُنظر: الشيبي ـ كامل مصطفى، الصلة بين التصوف والتشيع: ٢ / ٣٧٩، طبعة دار الأندلس ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢ م.

(٣) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٧٩.

(٤) الاشكوري ـ أحمد، مقدمة أمل الآمل: ١٦.

الجزائري، فقد ذكر في هامشه أنه رأى المترجم في شيراز سنة ألف ونيف وتسعين، قال: ثمّ جاور المشهد فزرته بها سنة (١٠٩٩ هـ) وله حلقة عظيمة للتدريس في كتابه وسائل الشيعة، وكنت أحضره مدة اقامتي في مشهد»[١]. وقد أثمرت جهود الشيخ الحر عن نخبة من الفضلاء والرواة لا مجال لذكر أسمائهم.

نتوقف عند هذا المقدار من ترجمة الشيخ الحر العاملي (رضوان اللّه عليه).

٢ ـ السيّد حسين بن محمد بن علي الموسوي العاملي الجبعي:

قال الحر العاملي في ترجمته: «كان عالما فاضلاً فقيها ماهرا جليل القدر عظيم الشأن، قرأ على أبيه صاحب المدارك وعلى الشيخ بهاء الدين وغيرهما من معاصريه، وسافر إلى خراسان وسكن بها، وكان شيخ الإسلام ـ يعني أقضى القضاة ـ بالمشهد المقدس على مشرفه السلام، وكان مدرسا في الحضرة الشريفة في العتبة الكبيرة الشرقية، وأُعطيت التدريس في مكانه..»[٢].

٣ ـ السيّد علي بن الحسين العاملي:

وهو من تلامذة الشهيد الثاني، ذكره ابن العودي المعاصر له وشريكه في الدرس في الفصل الذي عقده لتلامذة الشهيد الثاني قال: «.. السيّد الإمام العلّامة الفاضل الكامل.. رباه ـ أي الشهيد الثاني ـ كالوالد لولده، ورقاه إلى المعالي لتفرده، وزوجه ابنته رغبة فيه، وجعله من خواص ملازميه، قرأ عليه جملة من العلوم النقلية والعقلية والأدبية وغيرها، وأجازه اجازة عامة.

---

(١) الاشكوري ـ أحمد، مقدمة أمل الآمل: ١٦ عن أعيان الشيعة في الطبعة القديمة: ٤٤ / ٦٤ ولم نجد هذه المعلومة في الطبعة الحديثة الخامسة من كتاب الأعيان.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٧٩.

يقول السيّد حسن الصدر تعقيبا على كلام ابن العودي: واعلم انه أولد السيّد محمد صاحب المدارك من بنت الشهيد، وأولد جدنا السيّد نور الدين من أُم صاحب المعالم، حيث إنه تزوجها بعد وفاة الشهيد الثاني، وكان الشيخ صاحب المعالم ربيبه..»[١].

هاجر السيّد علي من جبل عامل إلى خراسان عام تسعمائة وثمان وثمانين، فأقام فيها وأصبح من أبرز المدرسين في الحضرة الرضوية المقدّسة، وأخذ عنه جمع كبير من العلماء أبرزهم المحقق الداماد[٢].

يروي عنه جماعات منهم الأمير فيض اللّه التفرشي، والمير محمد باقر الداماد، ويروي عنه أيضا ولده السيّد محمد صاحب المدارك، والشيخ حسن صاحب المعالم وجماعات من أهل عصره[٣].

٤ ـ السيّد أبو صالح محمد بن السيّد شرف الدين الموسوي الجبعي الشحوري (ت ١١٣٩ هـ):

قال السيّد حسن الصدر في ترجمته: «.. جدنا الأعلى، كان تولد في جبع سنة (١٠٤٩ هـ)، فأنشأه اللّه منشأً مباركا كأعلى ما نشأ آباؤه.

تتلمذ في عاملة.. وهاجر إلى العراق فأخذ العلم عن مشايخها وأفاضل علمائها، وتوجه إلى إصفهان للوقوف على أعلامها، ونال الحظوة بسلطانها الشاه عباس الثاني الصفوي، وتتلمذ على أعلم أعلامها الشيخ محمد باقر السبزواري صاحب الذخيرة..،

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٢) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ٢٩٠.

(٣) الصدر، التكملة: ٢٩٠.

وبعد وفاة السبزواري تتلمذ عند الفقيه العلّامة الشيخ علي بن محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني ـ وكان يومئذ في إصفهان ـ فحمل عنه علما جما واجازه الشيخ اجازة عامة.

وفي سنة (١٠٩٩ هـ) زار الإمام الرضا عليه السلام، فرأى استقبال العلماء واقبالهم عليه ما هو أهله، وقرأ فيها على الشيخ الحر صاحب الوسائل، واجازه الشيخ اجازة مفصلة، وزوجه كريمته، عاد بعدها إلى بلاده، فأقام بها مشغولاً في التأليف والتصنيف والافادة والتدريس.. وكانت له مصنفات كثيرة وخزانة كتب جليلة أخذها الجزار.. وله تعليقة على أُصول الكافي..»[١].

٣ * علماء جبل عامل في قم:

١ ـ السيّد صدر الدين الصدر (ت ١٣٧٣ هـ):

وهو من أبرز العامليين المهاجرين إليها إبان تأسيس حوزتها العلمية على يد مؤسسها الشيخ عبد الكريم الحائري، وسوف يأتينا الحديث مفصلاً عن هذه الحوزة المباركة وعن أعلامها ومنهم السيّد الصدر (رضوان اللّه عليهم).

٤ * علماء جبل عامل في خوزستان:

وهنالك عدد آخر من العلماء العامليين ممن هاجروا إلى مناطق ومدن متفرقة أُخرى من بلاد إيران المترامية الأطراف، وصلتنا أخبار مقتضبة عن بعضهم وضاع الكثير من أخبار آخرين منهم.

ومن المدن التي كانت محل هجرة العامليين مدن خوزستان، فقد نزلها علماء من

---

(١) الصدر، التكملة: ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

آل أبي جامع كالشيخ: علي بن الشيخ حسن نور الدين.. ابن أبي جامع الحارثي العاملي الذي سكن (خلف اباد) وتولى القضاء بها[1].

وأول من هاجر إلى خوزستان من العلماء العامليين هو جدّه الشيخ نور الدين العاملي الذي هرب من العثمانيين في كربلاء ووصل إلى الدورق، ثمّ انتقل إلى الحويزة وسكنها حتى مات فيها فنقل جثمانه إلى النجف ودفن فيها[2].

وهنالك علماء آخرون من جبل عامل هاجروا إلى خوزستان ومدنها (كمدينة الحويزة) لعلنا نتوقف للحديث عنهم عند الحديث عن الحوزة العلمية في خوزستان.

٥ * علماء جبل عامل المهاجرين إلى المدن الإيرانية الأُخرى:

لقد شهدت المدن إصفهان والمدن الإيرانية الأُخرى حضورا فاعلاً لبعض علماء جبل عامل مثل مدينة يزد وقزوين، وشيراز، وطهران، ورشت، ونطنز.. بالاضافة إلى قرى خوزستان ومدنها، ولا يمكننا استيعاب أسماء ونشاطات كلّ أُولئك الأعلام رضوان اللّه تعالى عليهم[3].

* هجرة علماء جبل عامل إلى الهند:

لقد ظهر التشيع في بلاد الهند متزامنا مع فتحها اسلاميا من خلال بعض القادة الفاتحين لها والذين كانوا من الموالين لأهل البيت عليهم السلام واستمر التشيع في تلك البلاد

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٨٧.

(٢) المرجع نفسه: ٢٨٣.

(٣) الحق الباحث العاملي الشيخ جعفر المهاجر، بكتابه الهجرة العاملية إلى إيران ملحقا ثانيا يتضمن فهرست تعريفي بفقهاء عامليين مهاجرين إلى إيران مع ذكر المصادر التي رجع إليها، أُنظر: ٢٢٩ ـ ٢٧٠ من الكتاب المذكور.

رغم كل الظروف الصعبة والاضطهاد الذي تعرّض له الشيعة اتباع أهل البيت هناك.

«وظهر في بلاد الهند عشرات العلماء من الشيعة، شيّدوا المدارس الفقهية وصعّدوا من حركتها العلمية، وكان لعلماء جبل عامل الدور الكبير والمساهمة الفعّالة في إحياء هذه الحركة، فقد كانت الهجرة من جبل عامل إلى الهند أمرا مألوفا، فازدهرت المدارس العلمية بوجودهم فيها، بل نال بعضهم المناصب السياسية..»[١].

وفيما يلي أسماء بعض العلماء العامليين ممن هاجر إلى الهند:

١ ـ الشيخ محمد بن علي بن خاتون العاملي العيناثي:

ترجم له الحر العاملي فقال: «سكن حيدرآباد، كان عالما فاضلاً ماهرا محققا أديبا عظيم الشأن جليل القدر، جامعا لفنون العلم، له كتب منها: شرح الارشاد، وترجمة الأربعين لشيخنا البهائي، وغير ذلك».

ثمّ يضيف: «مات في زماننا ولم أره، كان معاصرا لشيخنا البهائي، وكتب له على نسخة ترجمة كتاب الأربعين انشاءا لطيفا يشتمل على مدحه والثناء عليه وعلى كتابه سنة (١٠٢٧ هـ)»[٢].

وذكره سيّد الأعيان في كتابه بتفصيل أكثر فقال: «نزيل حيدرآباد الدكن.. من أهل القرن الحادي عشر، وكان من العامليين الذين هاجروا إلى بلاد إيران، ونالوا بها مقامات سامية، وهو ابن أُخت الشيخ البهائي.. وكان المترجم من العلماء الأجلاء، رحل من المشهد الرضوي المقدس بطوس إلى بلاد الهند، وتولى وزارة السلاطين القطب شاهية في حيدرآباد، وكان هؤلاء السلاطين من الشيعة، وكانت طريقة الملوك

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٥٤.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٦٩.

في ذلك العصر في الهند وإيران أن يولوا الوزارة والصدارة العظمى اجلاء العلماء، ومات المترجم في بلاد الهند في حيدرآباد ودُفن فيها وقبره هناك معروف مشهور مزور..»[1].

وكان الشيخ يعقد درسه في مدرسته المعروفة بالمدرسة العظيمة، التي بنيت بأمر من الشاه عبد اللّه قطب شاه ببلدة كولكندة.. ويُحضِّر درسه وأبحاثه التي كان يلقيها في التفسير والمعقول والمنقول[2].

يقول السيّد الأمين: ومن الكتابة الموجودة في (تولي مسجد) يظهر أن هذا المسجد من مؤسسات الشيخ ابن خاتون، وفي المتحف البريطاني في لندن توجد صورة الشيخ بلباسه الخاص، ورأيناها في كتاب تاريخ حديقة السلطان القطب شاهية مأخوذا عنها»[3].

وللشيخ ابن خاتون مؤلفات واجازات على صعيد التصنيف العلمي منها:

١ ـ تكميل كتاب الجامع العباسي للشيخ البهائي.

٢ ـ حاشية على الجامع العباسي للشيخ البهائي.

٣ ـ ترجمة كتاب الأربعين حديثا للشيخ البهائي.

٤ ـ شرح الإرشاد[4].

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٤/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٢) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٥٥ عن الحسيني عبد الحق، الهند في العصر الإسلامي: ٤٤٩.

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٤/ ٣٠٠ نقلاً عن كتاب مآثر دكن، وصورة ابن خاتون ألحقها الشيخ جعفر المهاجر بكتابه: جبل عامل بين الشهيدين: ٢٦٦.

(٤) المرجع نفسه: ١٤/ ٣٠٠.

٢ ـ الشيخ بهاء الدين الشهيدي العاملي:

جاء في الأعيان: «من ذرية الشهيد الأول نزيل مِدراس من بلاد الهند، كان من الفقهاء الأعلام، هاجر إلى الهند، وسكن مدينة مدراس، ومات بها وقبره هناك عليه قبة يزوره الشيعة.. ولا يبعد اتحاده مع الشيخ بهاء الدين ابن القاضي محسن الأسدي العاملي، نزيل مدراس، بأن يكون الأسدي محرفا عن الشهيدي..».

ويقول في ترجمة بهاء الدين الأسدي العاملي: «الأسدي تصحيف الشهيدي ويؤيده أنه ليس في جبل عامل من ينتسب إلى بني أسد».

ويضيف: فهو ممن طمحت به همته العلية للهجرة من البلاد العاملية إلى مدراس الهند، ككثير من علماء جبل عامل الذين هاجروا إلى الهند وإيران والعراق، فنالوا مرتبة عليّة، ولكنه مع الأسف لم يذكر سنة وفاته وهذا من الهفوات في أصحاب كتب التراجم..[١].

٣ ـ الشيخ حسين بن شهاب الدين العاملي الكركي الحكيم (١٠٧٦ هـ):

ترجمه في أمل الآمل بقوله: «كان عالما فاضلاً ماهرا أديبا شاعرا منشئا من المعاصرين، له كتب منها: شرح نهج البلاغة كبير، وعقود الدرر..، وحاشية المطول، وكتاب كبير في الظن.. وغير ذلك.. سكن إصفهان مدة، ثمّ حيدرآباد سنين ومات فيها في سنة (١٠٧٦ هـ)»[٢].

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ٥ / ٥٢٥ ـ ٥٢٦، والصدر، تكملة أمل الآمل: ١١١.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٧١.

٤ ـ الشيخ حسين بن الحسن العاملي المشغري:

وصف الحر العاملي بقوله: كان فاضلاً صالحا جليل القدر شاعرا أديبا، قرأ على شيخنا البهائي، وعلى الشيخ محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني، سافر إلى الهند ثمّ إلى إصفهان، ثمّ إلى خراسان وسكن بها حتى مات.

ويضيف: وكان عمي الشيخ محمد.. يصف فضله وعلمه وفصاحته وكرمه، رأيت جملة من كتبه، منها كتاب النكاح من التذكرة وعليه خط شيخنا البهائي بالاجازة له، نروي عن عمي عنه[١].

٥ ـ الشيخ محمد بن علي الشحوري العاملي:

قال في الأمل: «كان فاضلاً عالميا صالحا عابدا، له كتاب تحفة الطالب في مناقب علي بن أبي طالبعليه السلام، ألّفه في حيدرآباد..»[٢].

٦ ـ السيّد محمد بن علي الحسيني العاملي:

ساكن (كشمير) كان فاضلاً عالما فقيها نحويا شاعرا صالحا معاصرا[٣].

٧ ـ الشيخ الجليل زين الدين علي المعروف بمنشار العاملي:

يقول عنه صاحب الرياض: كان من أجلة الفضلاء المعاصرين.. وكان له كتب كثيرة جاء بها من الهند،.. ويقال انه كان يسكن بالديار الهندية في أكثر عمره[٤].

وتطول القائمة لو أردنا الاستيعاب، فنكتفي بهذا المقدار من مهاجري الهند من العامليين.

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٦٩.

(٢) المصدر نفسه: ١ / ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ١٦٩.

(٤) أفندي ـ عبد اللّه، رياض العلماء: ٤ / ٢٦٦.

الفصل الثالث: المدارس والحوزات العلمية في جبل عامل

المبحث الأول: الشهيد الأول وتأسيس مدرسة جزين العلمية

لقد توزعت أماكن التعليم في حوزة جبل عامل ـ كغيرها من الحوزات ـ على أماكن متعددة كان لكل منها دور في تطور الحركة العلمية في هذه المنطقة، فتعددت حلقات ومجالس الدروس العلمية بتعدد هذه الأماكن، فكانت بعض منازل العلماء والمساجد والحسينيات، والمدارس، أماكن للدراسة وملتقى للعلماء وطلّاب العلوم والمعارف.

وينبغي أن نذكر بأن وجود الحركة العلمية في منطقة جبل عامل سبق وجود المدارس والمعاهد العلمية فيها، فقد شهدت هذه المنطقة في أدوارها الأُولى حركة علمية متنامية، وحلَّ فيها علماء كبار يُشدّ إليهم رحال أهل العلم، من أمثال طامان بن صالح العاملي (ت ٧٢٨ هـ) والشيخ صالح بن مشرف العاملي، والشيخ مكي بن محمد الجزيني وغيرهم، واتخذ أُولئك العلماء من بيوتهم، ومساجد قراهم أماكن للتعليم، والإرشاد، «ولم يذكر المؤرخون أنهم أسسوا مدرسة أو درّسوا في معهد، والغالب ان عوامل السياسة.. كانت تمنع هؤلاء أيضا من الدراسة بالصورة الظاهرة فكان الأبناء يتلقون عن الآباء تحت طي الخفاء وهلم جرا إلى أن تأسست [المدارس]»[1].

وكان لظهور المدارس والمعاهد العلمية في هذه المنطقة أثر كبير في نمو الحركة العلمية ورفدها بكبار العلماء الذين قاموا بدورهم العلمي والتبليغي، سواءً في موطنهم

---

(١) آل صفا ـ محمد جابر، تاريخ جبل عامل: ٢٣٤.

(جبل عامل) أو في الأماكن التي هاجروا إليها، كما مرّ بنا سابقا. وعلى هذا: «تعتبر المدارس أهم عامل في تنشيط الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، وهي أكثر البواعث أثرا في تعميم المعرفة، ونشر الثقافة، ولم تعرف الحركة الأدبية شكلها الصحيح قبل عهد المدارس في الجبل، ولم يخل جبل عامل منذ القرن السابع حتى أيامنا هذه في أي عهد من عهوده السابقة من ظل المدارس، فإذا ما خبت واحدة قامت أُختها»[1].

*** مراحل إنشاء المدارس العلمية في جبل عامل عبر التاريخ:**

ويمكن تقسيم تاريخ المدارس التي أُنشأت في جبل عامل إلى عدّة مراحل، بحسب تسلسلها الزمني:

المرحلة الأُولى: مرحلة التأسيس:

والمدارس العلمية القديمة في جبل عامل يبدأُ تاريخ تأسيسها من منتصف القرن الثامن الهجري بمدرسة جزين، وتنتهي بنهاية القرن العاشر الهجري تقريبا.

يقول السيّد الأمين: «أُنشأت في جبل عامل من عهد قديم عدّة مدارس كان أهمّها في جزّين ومشغرى وجبع وعيناثا وميس والنبطيّة، وكرك نوح، وبعلبك، وهاتان الأخيرتان وإن لم تكونا داخلتين في جبل عامل إلّا أ نّه صار متعارفا ادخالهما فيه.. وخرج من هذه المدارس الجم الغفير من فحول العلماء وكانت الهجرة إليها من البلاد النائية.. وذلك في أوائل المائة العاشرة».

ثمّ يضيف قائلاً: «وكانت هذه المدارس قلّما تخلو في عصر من التدريس لتعاقب

---

(١) مكي ـ محمد كاظم، الحركة الأدبية والفكرية في جبل عامل: ٢٩، طبعة دار الأندلس ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٦٣ م.

وجود العلماء الأعاظم فيها»[1].

المرحلة الثانية: مرحلة الركود:

وتبدأ بحسب تقسيم السيّد الأمين أيضا بعد القرن العاشر الهجري إذ يقول: «وأُنشأت فيها ـ أي جبل عامل ـ من بعد القرن العاشر عدّة مدارس استمرت إلى ما قبل هذا العصر، وكانت تظهر وتخفى بحسب وجود المدرّسين فيها ومن يقوم مقامهم بعد موتهم وعدمه..»[2].

وبحسب تقسيم السيّد حسن الصدر، إن هذه المرحلة تبدأ من القرن الثاني عشر الهجري وهو الفترة التي كان فيها «الحروب والتي امتدت إليه من القرن السابق عليه»[3].

وتمتد هذه المرحلة إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري.

ويرسم السيّد الصدر، صورة قاتمة عن هذه المرحلة وعن سير الحركة العلمية فيها، فيقول: «وقل الاشتغال حينئذٍ بتحصيل العلم، وانصرف هم القوم إلى لم شعثهم وحفظ كيانهم بين مجاوريهم في تلك الفوضى السائدة، وقل فيها عديد أهل الفضل، ولكنه لم ينقطع، بل لم تخل البلاد من العلماء..»[4].

المرحلة الثالثة: مرحلة الانبعاث المجدد:

وهي المرحلة التي أعقبت هلاك أحمد الجزار حيث: «استفاق الناس من ذلهم، ورجعت حركة العلم إلى عهدها، وفتحت مدرسة الكوثرية بإدارة العالم المحقق

---

(١) الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ١٦١.

(٢) الأمين، الخطط: ١٦١، والصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٤٦١.

(٣) الأمين، الخطط: ١٦١، والصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٤٦١.

(٤) الصدر، التكملة: ٤٦١.

الشيخ حسن القبيسي، فكانت مصدر فائدة ومعرفة في البلاد..»[1].

وظهرت في هذه المرحلة مدارس مهمة أسسها علماء كبار من قبيل مدرسة بنت جبيل التي عمرها بالافادة والاستفادة رئيسها العلّامة الشيخ موسى شرارة، والتي كانت حافلة بطلّابها وفضلائها، ومدرسة حانوية، ومدرسة أنصار.. وغيرها.

ويتوقف قلم العلمين الأمين، والصدر عند نهايات الدور الثالث، ولم يؤرخا للحركة العلمية والمدارس والحوزات لما بعد هذه المرحلة لأنه عصر لاحق لعصرهما، فيقول السيّد الأمين ـ بعد أن يستعرض مدارس جبل عامل ـ: «أمّا اليوم فلم يبق في جبل عامل من أدناه إلى أقصاه ما يقال له مدرسة دينية، ولم يبق فيه طالب واحد من طلّاب العلوم الدينية؛ ومن يريد العلم الديني من أهله يذهب إلى النجف بالعراق:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامر

ثمّ يضيف قائلاً: «ولا ندري بعد هذا ما تأتي به حوادث الأيام والله وحده هو المطّلع على مغيبات الأمور»[2].

ويستعرض السيّد الصدر مصير بعض المدارس الدينية وأُفولها ثمّ يعقب بقوله: «وكذلك كانت المدارس بعد ذلك، تزهر ثمّ تذوي ولا يطول أمدها، حتى ضعفت الهمة وقلت الرغبة وانصرف الناس عن طلب العلم..»[3].

---

(١) الصدر، التكملة: ٤٦٣.

(٢) الأمين، الخطط: ١٦٤.

(٣) الصدر، التكملة: ٤٦٤.

المرحلة الرابعة: مرحلة الانبعاث المعاصر:

وهي المرحلة المعاصرة التي انبعثت فيها الحركة العلمية مجددا، وانشأت خلالها مدارس ومعاهد مهمة، ولم يمتد العمر بالسيدين العلمين الجليلين؛ الأمين والصدر، ليؤرخا لها.

وفيما يلي استعراض وشرح مختصر لمدارس ومعاهد وحوزات جبل عامل وبعض المدن اللبنانية الأُخرى والتي لا تحتسب جغرافيا من منطقة جبل عامل، وسوف نترجم ـ باختصار ـ لمؤسسي هذه المدارس وبعض مدرسيها ومن تخرج منها ممن لم نترجم لهم سابقا، وبمقدار ما تمدنا به المصادر والمراجع من معلومات حول هذه المدارس والحوزات ومن ينتسب إليها:

١ ـ المدارس القديمة في جبل عامل:

أولاً: مدرسة جزّين:

تعتبر جزين: «من مشاهير بلاد جبل عامل.. وعرفت بطيب هوائها وعذوبة مائها.. وكانت منبع علماء جبل عامل الشيعة إلى أوائل القرن الثالث عشر، وكان أهلها جميعهم من الشيعة.. خرج منها من العلماء مفخر علماء جبل عامل، بل عَلَمُ علماء الشيعة وامامهم الشيخ محمد بن مكي المطلبي الجزّيني العاملي المعروف بالشهيد الأول..»[(١)].

وتعتبر مدرسة جزّين العلمية من أقدم مدارس جبل عامل وأكثرها شهرة «وكانت مقصدا للمعرفة ومجمعا للعلماء والمفكرين.. منذ القرن السادس الهجري.. ولكن

---

(١) الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢٢٨.

تأسيس المدرسة المنتظمة فيها لم يكن إلّا على أيدي الشهيد الأول.. ويبدو أنه انشأها بعد عام (٧٧١ هـ) لما عاد من الحلة.. ولقد صار لهذه المدرسة شهرة كبيرة في الجبل وخارجه.. وكان في جزين اثنا عشر شيخا من العلماء الأفاضل، ولذا كانت جزين محطا لرجال وطلبة العلم ومنتجعي الأدب، ونبغ في جزين عدد كبير من العلماء على التوالي، وكان بينهم الفاضلات والعارفات من النساء، منهن المجتهدة الفاضلةِ ست المشايخ فاطمة أُم الحسن بنت الشهيد الأول، التي اولاها اخوتها العلماء الفتوى بكل ما يختص بالنساء من أُمورهن الدينية»[1].

وهناك أسماء لامعة ممن تتلمذ على الشهيد الأول وتخرج من مدرسته في جزين وقد ذكرنا بعضهم عند ترجمة الشهيد سابقا.

واستمرت هذه المدرسة في عطائها العلمي حتى «قتل الشهيد الأول في دمشق، فاقفلت مدرسة جزين، وتفرّق تلامذتها»[2]، ولم يسمح لهذه الجامعة في جزين أن تكمل عملها التثقيفي ومهمتها العلمية.. فخسرت مكانتها بعد أن هجرها ساكنوها.. ولم يبق من آثار ماضيها العلمي غير جبانة وقد درست اليوم، وجامع خراب كان بعضه باقيا ثمّ درس كله، وقد كان ما يزال باديا بانقاضه عام (١٩١٢ م)[3].

يقول أحد المؤرخين للمؤسسة الدينية الشيعية: «كانت مدينة جزّين مدينة اسلامية تقطنها غالبية شيعيّة، وقد تحولت أوائل القرن العشرين أو قبله بقليل إلى مدينة مسيحية غالبية أهلها من الموارنة، وكانت للشهيد الأول آثار باقية بها، منها مسجده

---

(١) مكي، الحركة الفكرية: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) آل صفا ـ جابر، تاريخ جبل عامل: ٢٣٦.

(٣) مكي، الحركة الفكرية: ٣٠ ـ ٣١.

الذي ينسب إليه، وداره أو مدرسته العلمية العتيدة، وقد حُوّل المسجد إلى كنيسة، والدار (أو المدرسة) إلى طريق عام، تعرف اليوم بمنطقة الساحة»[1].

٢ ـ مدرسة ميس الجبل:

أسسها العلّامة الفقيه المحدث الشيخ علي بن عبد العالي الميسي المتوفى سنة (٩٣٣ هـ)، وهو المشهور عند علماء الشيعة بالمحقق الأول الميسي وصاحب الرسالة الميسية في الفقه.

وكانت مدرسته مثابة طلّاب العلوم من عامة أنحاء الجبل (جبل عامل) ورحلة فضلاء الشيعة من العراق وإيران وشيعة سوريا، وقد بلغ عدد طلّابها في ذلك العصر أربعمائة طالب، وينتسب إليها الكثير من العلماء كما ورد في أمل الآمل منهم العلّامة العظيم الشهيد الثاني[2].

لقد استمرت مدرسة ميس في عطائها العلمي حتى شاخ مؤسسها وشاخت معه، فترك مؤسسها التدريس فيها في أواخر عمره، وانتقل إلى قرية أُخرى، فانطوت بذلك صفحة من صفحات تاريخها العلمي.. ولم يقدر لمدرسة ميس البقاء والاستمرار بعد الشيخ الميسي الذي توفي في قرية صديقين ودُفن فيها، وبسبب هجرة معظم علمائها منها..»[3].

ومن أبرز العلماء القدماء الذين خرجوا من مدرسة ميس الجبل الشيخ لطف اللّه

---

(١) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٢٣٣، والكاظمي ـ فيصل، الحوزات الشيعية المعاصرة بين مدرستي النجف وقم: ١٠١ طبعة دار المحجة ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م.

(٢) آل صفا ـ جابر، تاريخ جبل عامل: ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٣) الحسيني، الفقه في جنوب لبنان: ٦٣٦.

الميسي الذي هاجر إلى إصفهان ومات ودُفن فيها حيث بُني له مقام ومسجد معروف ما زال في مدينة إصفهان حتى اليوم مشهورا ببنيانه البديع وقد كان معاصرا للشاه طهماسب الصفوي.

وهناك علماء آخرون ينتسبون لهذه البلدة (ميس) ومدرستها العلمية(1).

٣ ـ مدرسة جُبَع:

يقول السيّد الأمين في وصف قرية جبع: «ويقال (جباع) وتعرف بـ (جبع الحلاوة) تمييزا لها عن (جبع الشوف) في جبل لبنان..، وجبع: من أنزه البلاد وأطيبها هواءً وأعذبها ماءً وأكثرها وألذّها ثمارا. كانت هي وجزّين ومشغرى مجمع علماء جبل عامل وطلّابها،.. وفيها جامع عمَّره الشهيد الثاني، بناه بيده، لا تزال جدرانه قائمة إلى اليوم ومحلّ داره معروف إلى اليوم وقد رأيتهما، وكرم العنب الذي كان يبيتز فيه محلّه معروف إلى اليوم..».

وقد خرج منها جملة من العلماء يعسر إحصاؤهم منهم:

١ ـ الشيخ علي بن أحمد بن محمّد المعروف بابن الحاجّة النحاريري والد الشهيد الثاني.

٢ ـ الشيخ زين الدين المعروف بالشهيد الثاني.

٣ ـ الشيخ حسن بن زين الدين صاحب المعالم (ولد الشهيد الثاني).

٤ ـ السيّد محمد صاحب المدارك.

٥ ـ الشيخ محمد بن الشيخ حسن صاحب المعالم.

٦ ـ الشيخ علي بن محمد ابن صاحب المعالم وصاحب كتاب الدر المنثور.

---

(١) الأمين، خطط جبل عامل: ٢٠٥.

٧ ـ الشيخ زين الدين بن محمد بن صاحب المعالم شيخ صاحب الوسائل.

٨ ـ الشيخ حسن بن زين الدين بن محمد ابن صاحب المعالم الساكن بإصفهان.

٩ ـ الشيخ حسين بن علي بن محمد بن الحسن ابن الشهيد الثاني.

١٠ ـ الشيخ علي بن زين الدين بن محمد ابن صاحب المعالم.

١١ ـ الشيخ زين الدين بن علي بن محمد ابن صاحب المعالم.

١٢ ـ الشيخ بهاء الدين محمد المعروف بالشيخ البهائي أُعجوبة الزمان وشيخ الإسلام بإصفهان.

١٣ ـ السيّد جمال ابن أخي صاحب المدارك نور الدين الموسوي.

١٤ ـ الشيخ حسن بن مهريز الجبعي.. كان معاصرا للشهيد الثاني.

١٥ ـ الشيخ حسين بن أبي الحسن الموسوي الجبعي المعاصر للشهيد الثاني.

١٦ ـ الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي.. والد البهائي ومن فضلاء تلاميذ الشهيد الثاني.

١٧ ـ السيّد حسين بن علي الحسيني الجبعي من تلاميذ الشهيد الثاني.

وغير أُولئك من الأعلام، حتى تصل القائمة إلى ثلاثين اسما[1] عند السيّد الأمين، الذي يترجم فيها لعلماء جبع في عصر الشهيد الثاني وهو العصر الثاني من عصور مدرسة جبع.

وهنالك علماء كبار ينتسبون إلى هذه المنطقة وسبقوا عصر الشهيد الثاني من أمثال: الشيخ صالح بن مشرف جد الشهيد الثاني، والشيخ علي بن الحسين الجبعي المتوفي سنة (٨٠١ أو ٨٠٦ هـ)، والشيخ شمس الدين محمد بن علي جد والد الشيخ

---

(١) الأمين، خطط جبل عامل: ٢٢٢ ـ ٢٢٤.

البهائي، والشيخ إبراهيم بن علي الكفعمي الجبعي[1]، وهو من أشهر العلماء وسبق عصر الشهيد الثاني.. وأولئك يمثلون العصر الأول من عصور هذه المدرسة العلمية العريقة.

واستمرت مدرسة جبع في عطاءها العلمي واتصل عصرها الأول بعصرها الثاني والذي اختتم بالسيّد محمد بن علي صاحب المدارك (ت ١٠٠٩ هـ) والشيخ حسن نجل الشهيد الثاني (١٠١١ هـ).

«وبرحيل هذين العلمين عطلت مدارس جبع، وأصبحت خاوية على عروشها تشكو الضياع والركود»[2].

وبعد أكثر من قرن من الزمن بقيت فيها مدرسة جبع في حالة ركود علمي، دبت حياة العلم فيها ثانية، واستيقظت من سباتها الطويل بواسطة أحد أعلامها وهو الشيخ عبد اللّه نعمة المولود في جبع سنة (١٢١٩ هـ) والمتوفى فيها سنة (١٣٠٢ هـ).

والشيخ عبد اللّه نعمة قد أكمل دروسه الأولية عند بعض علماء جبل عامل، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف فدرس عند علمائها من أمثال صاحب الجواهر، والشيخ علي نجل الشيخ جعفر كاشف الغطاء وغيرهم حتى برع في العلوم الشرعية بدرجة لا يضاهيه فيها إلّا القليل من العلماء وقتذاك.. وبعد رحلة طويلة إلى إيران عاد الشيخ إلى بلده واستقر في قريته جبع، لينهض بها علميا واجتماعيا، فأسس هنالك مدرسة علمية عرفت باسم:

---

(١) الحسيني، الفقه في جنوب لبنان: ٤٣ ـ ٤٦.

(٢) المرجع نفسه: ٥٨.

٤ ـ «مدرسة الشيخ عبد اللّه نعمة في جبع»:

يقول أحد المؤرخين للحياة العلمية في جبل عامل: «كان علامة وقته.. الشيخ عبد اللّه نعمة.. قد عاد إلى وطنه، وافتتح مدرسة جبع، فدلف إليها الطلّاب من فلول المدرسة الكوثرية وغيرهم، وأصبح الشيخ مرجع الفتيا في جبل عامل وما جاوره من بلدان الشيعة على الإطلاق، وتخرّج على يديه عدد غير يسير من كبار العلماء وأهل الفضل منهم:

العلّامتان المجتهدان السيّد حسن يوسف مكي الحسيني، والشيخ موسى شراره...

والعلّامتان الأخوان الشيخ محمد سليمان الزين.. والشيخ حسين المعروف بأبي خليل الزين، وولده الشيخ حسن نعمة وكان معروفا بطول الباع وسعة الاطلاع بالفقه وعلوم الدين والشيخ علي الحر..، وغيره من الفقهاء والأُدباء.

وقد انضم إلى مدرسة جبع عدد من أهل النبطية وجوارها منهم الشيخ: قاسم محمد قدوح، والشيخ قاسم محمد صفا (الزين)، والسيّد قاسم والسيّد جواد أحمد فحص (جبشيت) وغيرهم».

وعن مصير هذه المدرسة يقول هذا المؤرخ: «وعمّرت هذه المدرسة أربعين عاما، وأوجدت في البلاد نهضة علمية واسعة النطاق، ثمّ أفل نجمها وتضاءل عدد طلّابها لأسباب لا مجال لا يرادها.. وتوفي العلّامة الشيخ عبد اللّه نعمة سنة (١٣٠٣ هـ) وانتقلت حركة التدريس إلى مدرسة حنوية»[١].

---

(١) آل صفا ـ جابر، تاريخ جبل عامل: ٢٤٢ ـ ٢٤٤ بتلخيص. وأُنظر السيّد الأمين في خطط جبل عامل: ١٦٢.

٥ ـ مدرسة عيناثا:

يقول السيّد الأمين: «عيناثا.. بلد قرب (بنت جبيل) في شمالها،.. كانت منبع العلماء، وهي وجبع ومشغرى وجزّين وميس أكثر بلاد جبل عامل علماء في القديم كما يُعرف من مراجعة أمل الآمل»[1].

وعيناثا محط رحال العلماء وموطن هجرتهم، وقد «قصدها الكثير منهم للأخذ عن علماء هذه القرية اعتزازا بمقامهم الشامخ وعلوّ منزلتهم العلمية.. وممن هاجر إليها قديما الشيخ ناصر البويهي من تلامذة الشهيد الأول، ففضل الإقامة فيها والتلمذة على علمائها.. وممن هاجر إليها أيضا المولى عبد اللّه التستري مؤسس مدرسة إصفهان، لطلب الاجازة من فقهائها»[2]، ومنه يعلم أنّ جبل عامل كانت دار هجرة طلّاب العلم[3].

يقول السيّد الأمين: «ومن الأُسر العلمية المهاجرة إلى (عيناثا) أُسرة آل فضل اللّه الحسنيّون، وهم بيت علم وشرف، أصلهم من اشراف مكة المكرّمة وعندهم نسخة نسب جليلة، خرج منهم من العلماء قبل عصرنا السيّد محيي الدّين فضل اللّه،.. ومن علمائهم وشعرائهم في عصرنا السيّد نجيب ابن السيّد محيي الدين، وابن عمه السيّد محمد رضا وابن أخيه السيّد صدر الدين، وابنا عمه السيّد محمد حسن والسيّد محمد حسين، وابنه السيّد محمد سعيد المجاور الآن في النجف، وابنه السيّد عبد الرؤوف المقيم الآن في النجف لطلب العلم...

---

(١) الأمين، خطط جبل عامل: ٢٧٩.

(٢) الحسيني، الفقه في الجنوب: ٦٤.

(٣) الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢٨٠.

وكانت ـ أي عيناثا ـ مقرّ أُسرة خاتون المعروفة بالعلم ومنها انتقلوا إلى جويّا»[1].

وقد تخرّج من هذه المدرسة نخبة من العلماء ذكرهم الشيخ الحر في الأمل، والسيّد الأمين في الأعيان والخطط، ومن أبرز أُولئك الأعلام:

١ ـ الشيخ ظهير الدين بن علي العاملي العيناثي: من قدماء علمائها يعدُّ من تلامذة الشيخ علي والد الشهيد الثاني[2].

٢ ـ الشيخ شمس الدين محمد بن خاتون: من أعاظم فقهاء آل خاتون يروي عن المحقق الثاني الشيخ علي بن عبد العالي الكركي[3].

٣ ـ الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن خاتون المتقدم: من مشايخ الشهيد الثاني وهو من أبرز علماء عيناثا في عصره[4]، وقد أثنى عليه الشهيد الثاني.

٤ ـ الشيخ نعمة اللّه بن أحمد بن محمد بن خاتون: من تلامذة الشيخ الكركي ومن مشاهير العلماء وكذلك نجله الشيخ أحمد وقد قصدهم المولى عبد اللّه التستري فأجازوه[5].

ومن تصفح كتب التراجم يعثر على المزيد من علماء هذه القرية. وقد اقتصرت على ذكر بعضهم خشية الإطالة.

٦ ـ مدرسة السيّد نجيب الدين فضل اللّه في عيناثا:

يقول السيّد الأمين: «مدرسة عيناثا انشأها المعاصر العالم الفقيه السيّد نجيب ابن

---

(١) الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٢) أمل الآمل: ١ / ١٠٦.

(٣) تكملة أمل الآمل: ١٦١.

(٤) المصدر نفسه: ٣٥.

(٥) المجلسي، البحار: ١٨ / ٨٩.

السيّد محيي الدين فضل اللّه الحسني، ثمّ أفل نجمها»[1].

والسيّد نجيب الدين فضل اللّه (١٢٨٠ ـ ١٣٣٦ هـ): من علماء عيناثا المتأخرين، وكان أول أمره في طلب العلم في جبل عامل فدخل مدرسة حنوية وتلمذ على مؤسسها الشيخ محمد علي آل عز الدين، ثم انتقل إلى مدرسة بنت جبيل، وكان من أساتذة هذه المدرسة وممن تتلمذ عليه السيّد محسن الأمين، وكان يثني عليه كثيرا ومما قاله بحق أُستاذه «لقد رأيت من ذكائه وتوقد ذهنه وجم فؤاده وسرعة انتقاله إلى غامض المطالب وخفي المقاصد وتمييز الصحيح من الفاسد ما لم أزل أذكره وعلى طول الدهر أشكره مع إنصاف لا يحيف فيه ومسلك مستقيم لا يحيد عنه وتواضع لا يخرج به عن محله ولا يبذله لغير أهله»[2].

وقد هاجر السيّد نجيب الدين إلى النجف الأشرف لإكمال دراساته حتى أصبح من كبار العلماء فعاد إلى جبل عامل وأنشأ في عيناثا مدرسة أَهّلت الكثير من أبناء جبل عامل. وقد وفق السيّد نجيب الدين للمرجعية بعد عودته من النجف الأشرف..»[3].

٧ ـ مدرسة كرك نوح:

كرك: بمعنى الحصن أو المعقل؛ اسم قرية بأسفل جبل لبنان من جهة الجنوب تنسب إلى نوح عليه السلام لوجود قبر ومشهد فيها منسوبين إليه.

يقول السيّد الأمين: وعدَّها المهاجر العاملي الذي كتب أسماء قرى جبل عامل للشيخ يوسف البحراني، من قرى جبل عامل، وليست منها كما أشار إليه ذلك

---

(١) الأمين، الخطط: ١٦٣.

(٢) الأمين، الأعيان: ١٠ / ٢٠٦.

(٣) الحسيني، الفقه في الجنوب: ٦٥.

المهاجر بأ نّها مسيرة يوم عن آخر البلاد، وسبب عدِّها أنه خرج منها جملة من علماء الشيعة يوصف كلٌّ منهم بالعاملي توسّعا. وأهل العراق وإيران يسمّون كل من هو من جهات سوريّة عاملي وهو توسّع أيضا»[(١)].

وتعتبر قرية كرك من الحواضر العلمية، وينسب إليها علماء كبار «وأول من نُسب إلى كرك من أهل العلم هو أحمد بن طارق الكركي (ت ٥٩٢ هـ) والذي عاش في القرن السادس الهجري، وكان جدّه قاضي كرك نوح.. وَصفه الذهبي: بالمحدث العالم، وقال فيه ياقوت: «وكان ثقة في الحديث.. وكان رافضيا»[(٢)].

ومن أبرز علماء هذه المنطقة:

١ ـ الحسين بن محمد بن هلال الكركي (ح ٧٥٧ هـ) وهو تلميذ الشهيد الأول، «التقى في الحلة وقرأ عليه واجازه بتاريخ (١٢ / شعبان / ٧٥٧ هـ) وما يزال نص الاجازة محفوظا بتمامه»[(٣)].

٢ ـ محمد بن عبد العالي الكركي (ت ٨٠٨ هـ) وهو أيضا من تلامذة الشهيد الأول، وينقل المجلسي في البحار: «مكاتبة الشيخ السعيد الشهيد شمس الدين محمد بن مكي تهنئة لتلميذه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد العالي الكركي».. مما يوحي بمودة عميقة بين الاثنين[(٤)].

٣ ـ الشيخ عز الدين الحسن بن يوسف الشهير بابن العشرة الكسرواني (ت ٨٦٣ هـ) الذي تتلمذ على تلميذين من تلاميذ الشهيد الأول.. وقرأ عند بعض

---

(١) الأمين، خطط جبل عامل: ٢٨٩.

(٢) المهاجر ـ جعفر، جبل عامل: ١٧٦ ـ ١٧٧، وأُنظر، أعيان الشيعة: ٢ / ٦١٨.

(٣) أُنظر، أفندي ـ عبد اللّه، رياض العلماء: ٣ / ٣٧٤.

(٤) أُنظر البحار: ١٠٧ / ٢٧، والمهاجر: ١٨٠.

علماء الحلة.. وله مجموعة من التلامذة النابهين[1].

٤ ـ الشيخ علي بن عبد العالي الكركي (ت ٩٤٠ هـ) وهو أشهر من أنجبته كرك في كل الأزمان، وصاحب الدور التاريخي في الدولة الصفوية.. وقد تحدثنا عنه وعن منجزه العلمي والسياسي في ثنايا الحديث عن حوزة النجف الأشرف.

ويعتبر هذا الشيخ هو المؤسس الحقيقي لمدرسة كرك كما يقول المؤرخ آل صفا[2] كما أن قرية كرك كانت في أوائل القرن العاشر محط رحلة العلماء وطلّاب العلم حتى أنّ الشهيد الثاني ارتحل إليها لطلب العلم كما أخبر عن نفسه، مع كثرة المدارس العاملية في ذلك العهد[3].

٨ ـ المدرسة الكوثرية:

كان تأسيس هذه المدرسة في العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري، وكان إنشاؤها بايعاز من علماء جامعة النجف الأشرف، وقد تهافت عليها الطلّاب من كل حدب وصوب وتخرج من هذه المدرسة كبار المجتهدين والمراجع الدينية والشخصيات الأدبية الكبيرة[4].

ومن أبرز العلماء القدماء الذين ينسبون إلى هذه القرية هو الشيخ جمال الدين أحمد بن إبراهيم الكوثراني الذي اجازه الشهيد الأول في الحلة، يوم كان ـ الشهيد ـ

---

(١) أُنظر، المهاجر ـ جعفر، جبل عامل: ١٨١ وما بعدها.

(٢) آل صفا ـ محمد جابر، تاريخ جبل عامل: ٢٣٧.

(٣) الأمين، الخطط: ٢٨٩.

(٤) مكي ـ محمد كاظم، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل: ٣٢ ـ ٣٣ عن مجلة العرفان: ٨ / ٧٦٣ و ٢٧ / ٦٣٠.

من أبرز شيوخ الحلة وأساتذتها[1].

ومن أبرز العلماء الذين بعثوا الحياة العلمية مجددا في المدرسة الكوثرية هو الشيخ حسن القبيسي، الذي أسس المدرسة الكوثرية الجديدة، والتي تصدرت الحركة الفقهية في جبل عامل بعد انقراضها على عهد الجزار[2].

يقول السيّد الأمين عن قرية كوثرية السيّاد: سميت بذلك لأنّ سكّانها سادة اشراف حسينيون، وهي قرية في ساحل صيدا.. وفيها كانت مدرسة الشيخ حسن القبيسي المتوفى سنة (١٢٥٨ هـ)، تخرّج عليه السيّد علي إبراهيم، والشيخ عبد اللّه نعمة، والشيخ علي السّبيتي، وحمد البك»[3].

٩ ـ مدرسة حنوية:

يقول السيّد الأمين في الخطط:

«حنوية أو حناوية، قرية في ساحل صور فيها مشهد عليه قبة ينسب ليحيى عليه السلام.. سكنها الفقيه الشيخ محمد علي عزّ الدين المتوفى سنة (١٣٠٣ هـ) انتقل إليها من كفره، وأنشأ بها مدرسة تخرّج منها الكثير من العلماء والفضلاء، وبقيت ذرّيته فيها وجلّهم أهل علم وفضل، مثل ولده الفاضل الشيخ حسن، وولده الفاضل الأديب الشيخ علي الذي انتقل إلى صور، وحفيده العالم الفاضل الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حسن الذي أحيا مآثر جدّه»[4].

وليس بين أيدينا أي معطيات تاريخية عن هذه القرية قبل تاريخ تأسيس مدرستها

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في الجنوب: ٧٠٠.

(٢) المرجع نفسه: ٧١.

(٣) الأمين، الخطط: ٢٩٥.

(٤) الأمين ـ محسن، المرجع نفسه: ٢٣٧.

على يد الشيخ محمد علي عز الدين ومن المحتمل أن يكون لها تاريخ علمي[1] غفل عنه المؤرخون.

ويحدثنا مؤرخ جبل عامل جابر آل صفا عن مدرسة (حنوية) ومؤسسها العلّامة محمد علي عز الدين فيقول: «ومدرسة حنوية، شيدها وتولى رياستها العلّامة محمد علي عز الدين بعد رجوعه من النجف حيث أكمل تحصيله وأحرز درجة الاجتهاد، وكان من أكابر علماء عصره ومن أبعدهم نظرا، وأوسعهم اطلاعا، وأوفرهم احاطة بالعلوم والفنون، بعيدا عن الجمود، يميل بطبعه إلى التوسع واقتباس النافع من العلوم العصرية والفلسفة الحديثة، وقد أ لّف كتبا كثيرة منها: روح الأمين في علم الكلام، وتحفة القارئ في الحديث، وسوق المعادن في فنون شتى وغيرها، وله ديوان شعر مخطوط»[2].

ثمّ يعرج على تلامذته ويذكر منهم:

١ ـ العلّامة السيّد نجيب فضل اللّه المتوفى في سنة (١٣٣٦ هـ).

٢ ـ والعلّامة مهدي شمس الدين.. المتوفى سنة (١٣٣٤ هـ).

٣ ـ ومن تلامذة مدرسة حنوية: العالم البحاثة السيّد محمد بن علي بن إبراهيم الحسيني (ت ١٣٢٧ هـ).

٤ ـ والشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن عز الدين..[3].

١٠ ـ مدرسة بنت جبيل:

يؤرخ السيّد الأمين لقرية بنت جبيل في موضعين من كتابه القيّم خطط جبل عامل

---

(١) الحسيني، الفقه في الجنوب: ٧١.

(٢) آل صفا، تاريخ جبل عامل: ٢٤٤.

(٣) آل صفا، تاريخ جبل عامل: ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

فيقول:

«بنت جبيل: مركبة من أُنثى ابن، ومصغّر جبل، من أُمهات بلاد جبل عامل على حدود فلسطين.. فيها جامع عظيم بناه الحاج سليمان البزي بوصاية أخيه الحاج محمد البزّي من مالهما المشترك بعناية المصلح العالم الفقيه الشيخ موسى شرارة.. ومن علمائها الشيخ موسى ابن أمين شرارة، أنشأ فيها مدرسة دينيّة بعدما حضر إليها من العراق سنة (١٢٩٨ هـ)، فبقي فيها ستّ سنين وتوفّي بمرض السل. ربّى في مدرسته جماعة من العلماء، وتعلّمت في تلك المدرسة نحوا من أربع سنوات قرأت فيها المطول وحاشية ملّا عبد اللّه والشمسية والمعالم وشيئا من الشرائع من سنة (١٣٠٠ هـ) إلى سنة (١٣٠٤ هـ)..».

ثمّ يصف الجانب الإصلاحي في حركة الشيخ موسى شرارة فيقول: «ووعظ وأفاد ونشر إقامة عزاء سيّد الشهداء على طراز أحسن من السّابق، مقتبس من طريقة أهل العراق، وهذّب الأدب العاملي ونشر على نحو مقتبس من الأدب العراقي.. ثمّ يعرج على ذكر بعض علمائها فيقول: ومن علمائها:

١ ـ ولده الشيخ عبد الكريم.

٢ ـ وولداه الشيخ محسن وأخوه الشيخ موسى.

٣ ـ ومن علمائها السيّد مهدي الحكم النجفي جاء إليها من العراق وتوفي فيها.

٤ ـ وولده السيّد هاشم.

٥ ـ والشيخ عبد اللّه البزّي ذهب منها إلى النجف لطلب العلم وتوفي في النجف.

٦ ـ والشيخ حسين بزّي.

٧ ـ ومن علمائها وأُدبائها الشيخ علي شرارة..»[١].

ويذكر صاحب كتاب تاريخ جبل عامل من طلّاب هذه المدرسة: «الشيخ حسين مغنية، والسيّد محسن الأمين، والشيخ عبد الحسين صادق، والسيّد نجيب فضل اللّه، والسيّد يوسف شرف الدين، والسيّد حيدر والسيّد جواد مرتضى، والشيخ موسى مغنية، والشيخ عبد الكريم الزين، والشيخ محمد دبوق»[٢].

وعن مصير مدرسة بنت جبيل يقول السيّد الأمين: واستمرت إلى سنة (١٣٠٤ هـ) فأفل نجمها بوفاة منشئها[٣].

١١ ـ مدرسة شقراء:

توقف السيّد الأمين عند بلدته شقراء مؤرخا لها ولمدرستها العلمية، فقال: «شقراء مؤنث أشقر أو شقرة بالهاء، بلد المؤلف بها ولد سنة (١٢٨٤ هـ) فيها آثار قديمة تدلّ على أنها كانت معمورة جدّا.. خرج منها في المائة الثامنة من العلماء قبل مجيء أجدادنا إليها الشيخ زين الدين أبو الحسن علي بن بشارة العاملي الشقراوي الحناط، من أجلِّ تلامذة الشهيد ـ الأول ـ أجازه الشهيد أن يروي عنه كتاب: علل الشرائع، ووصفه بالشيخ الأجل العالم العامل الفاضل الفقيه الكامل الزاهد العابد، كما حكاهُ صاحب الرياض. ولم يذكره صاحب أمل الآمل لأ نّه لم يطلع عليه.. وبعد مجيء أجدادنا إليها من العراق من الحلّة، لم ينقطع منها العلم والتدريس إلى اليوم..».

ويقول عن مدرستها العلمية: «مدرسة شقراء، انشأها جدّنا السيّد أبو الحسن موسى في أواخر القرن الثاني عشر، وكانت من أعظم مدارس جبل عامل في فسيح من

(١) الأمين، المرجع نفسه: ٢١٦.

(٢) آل صفا ـ جابر، تاريخ جبل عامل: ٢٤٦.

(٣) الأمين ـ محسن، الخطط: ١٦٣، ٢١٥ ـ ٢١٦.

الأرض، وبنى فيها ما يزيد على أربعين حجرة، وحفر في وسط دارها بئرا يكفي ماؤها طلبتها، وكانت تحوي نحوا من أربعمائة طالب يحضر مجلس درسه منهم نحو المائتين. ويقال إنّ أصواتهم عند المذاكرة ليلاً كانت تسمع إلى مجدل سلم.. ووقف لها أرضا وزيتونا في وادي الحجير.. وهي أول مدرسة لها أوقاف في جبل عامل فيما نعلم.

وعن أبرز من تخرّج من هذه المدرسة يقول السيّد الأمين: ومنها تخرّج صاحب مفتاح الكرامة، والشيخ إبراهيم بن يحيى، والمحقّق السيّد حسين ابن السيّد أبي الحسن وغيرهم.

وعن المصير الذي آلت إليه هذه المدرسة يقول السيّد: «وبقيت عامرة مدّة حياته ـ أي مؤسسها السيّد أبو الحسن موسى ـ وبعد موته خمد ضؤوها، ثمّ أعاد لها رونقها حفيده جدنا الفقيه العلّامة السيّد علي الأمين، فبقيت مدة حافلة بالطلّاب.. وبعد وفاته أفل نجمها.. وهكذا إلى أن استولى عليها الخراب، وأدخلت أرضها في الدور»[1].

١٢ ـ مدرسة جويّا، لآل خاتون:

كانت محطّ رحال طلّاب العلم في السابق، وسكنها من آل خاتون الشيخ علي خاتون وهي مدرسة قديمة عاشت زمانا طويلاً وتخرّج منها جماعة من العلماء وهي الآن اطلال دارسة.

١٣ ـ مدرسة النبطية الفوقا (النورية):

وتعرف هذه المدرسة بمدرسة النبطية الصغرى وبالمدرسة النورية نسبة لآل نور

---

(١) الأمين، الخطط: ١٦١ ـ ١٦٢، ٢٥١.

الدين وهي مدرسة قديمة عاشت إلى زمن العالم السيّد محمد علي نور الدين، وتخرّج منها علماء وطلّاب كثيرون[1] وهي الآن خراب.

والمدرسة النورية هذه، هي غير المدرسة النورية في بعلبك، القديمة العهد ذات الشهرة الطائرة تولى التدريس فيها بأمر سلطاني الشهيد الثاني، الذي باشر التدريس فيها سنة (٩٥٣ هـ) وكان يدرس فيها الفقه على المذاهب الخمسة كما مرَّ بنا في ترجمة الشهيد الثاني.

١٤ ـ مدرسة كَفَرة:

وكان يدرّس فيها الشيخ محمد علي عز الدين قبل مدرسة حَنوية، وآل السبيتي.

١٥ ـ مدرسة النميرية:

انشأها الفقيه السيّد علي إبراهيم المعاصر لجدنا علي الأمين.

١٦ ـ مدرسة أنصار:

خرج منها من العلماء السيّد بدر الدين بن أحمد العاملي الأنصاري سكن طوس وصار أحد المدرسين بها.. أنشأها ولده ـ أي ولد السيّد إبراهيم ـ الصالح السيّد حسن ثمّ ولده العالم الفقيه السيّد محمد، ثمّ أفل نجمها وطمس أثرها.

١٧ ـ مدرسة عيثا الزطّ:

انشأها العالم الصالح السيّد جواد مرتضى، وتعلم فيها هذا الفقير ـ أي السيّد الأمين ـ النحو الصّرف، ثمّ ركدت أنفاسها برجوع منشئها إلى العراق، ثمّ أعادها أخوه العالم الصالح السيّد حيدر، ثمّ أصبحت في خبر كان.

والمشهور أن في هذه القرية قبر الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسن العودي

---

(١) أُنظر، آل صفا، تاريخ جبل عامل: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، ٢٤٨.

العاملي. تلميذ الشهيد الثاني.. وله رسالة في أحوال شيخه.

١٨ ـ مدرسة مجدل سلم:

انشأها العالم الشيخ مهدي شمس الدين، يقول السيّد الأمين: قرأت فيها بعض المطول وحاشية ملّا عبد اللّه بعد انتقالي إليها من مدرسة عَيثا، ثمّ انتقلت منها إلى مدرسة بنت جبيل ـ ثمّ أمست في خبر كان.

١٩ ـ مدرسة النباطية التحتا:

انشأها العالم السيّد حسن ابن السيّد يوسف الحبوشي المعاصر ـ أي المعاصر للسيّد الأمين ـ وبناها له الحاجّ حيدر جابر سنة (١٣١٠ هـ)، وانتفع بها الطلّاب، وكان عمرها بعمر منشئها، كأكثر مدارس جبل عامل فأفل نجمها بوفاته، واستشرفت على الخراب، فعمرها تعميرا محكما الحاج حسين الزّين، وأخوه يوسف بك، ليتولّى التدريس فيها العالم الشيخ محمد رضا الزّين فلم يستمر ذلك إلّا مدّة يسيرة.

٢٠ ـ مدرسة شحور:

انشأها العالم الصالح السيّد يوسف شرف الدين المعاصر ـ للسيّد الأمين ـ واستمرت مدّة وذهبت.

٢١ ـ مدرسة طير دبّا:

انشأها العالم الفقيه الشيخ حسين مغنية ـ المعاصر ـ استمرت زمانا واستفاد منها الطلّاب ثمّ بطلت[1].

٢٢ ـ مدرسة النبطية الكبرى (الحميدية):

جاء في تاريخ جبل عامل: «توفي المرحوم السيّد محمد نور الدين في سنة

---

(١) ذكر هذه المدارس العشرة من ١٢ إلى ٢١ السيّد الأمين في الخطط: ١٦٢ ـ ١٦٤، ٢٠٩، ٢٧٨.

(١٣٢٥ هـ) وهو آخر من تولى التدريس في مدرسة النبطية الصغرى (الفوقا)، وقبيل وفاته انتقل التدريس إلى النبطية الكبرى حيث نشأت المدرسة الحميدية».

أسس المدرسة الحميدية المغفور له السيّد حسن يوسف الحسيني بعد رجوعه من العراق في سنة (١٣٠٩ هـ)، ونعتها بالحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني (العثماني) كما جرت العادة وأوحته السياسة في ذلك العصر...

ويضيف المؤرخ: «وقد انتظمنا في سلك تلامذة هذه المدرسة مع من انضم إليها من تلامذة المدرسة النورية، وفيها درسنا الأدب والمنطق والبيان، ورأينا بأُم العين رقيها الرائع وتقدمها المطرد...

وكان السيّد حسن من أعظم علماء جبل عامل مقاما، وأوسعهم شهرة، وأشدهم حرصا على شؤون الطائفة والذود عن حياضها.. أتمّ دروسه في النجف الأشرف وأحرز درجة الاجتهاد، وعاد إلى جبل عامل بعد أن أجازه كثير من العلماء سنة (١٣٠٩ هـ) فأقام في النبطية وأسس المدرسة الحميدية فزهرت بعلومها وطلّابها طيلة أربعة عشر عاما إلى أن توفي في سنة (١٣٢٤ هـ) فأغلقت المدرسة أبوابها وتفرّق طلّابها.. وكانت آخر مدرسة دينية على النهج القديم في جبل عامل[1].

وبعد فترة من الزمن عادت المدرسة الحميدية مرة أُخرى إلى المسار العلمي بعد أن عمرها يوسف الزين وأخوه سنة (١٣٤٢ هـ).. ثمّ انقلب اسمها إلى المدرسة الدينية العاملية، وأخذت عمدة المدرسة باسباب النهضة الحديثة وحاولت السير مع نظام التعليم الرسمي المتبع.. ثمّ ما لبث أن غيرت مناهجها، فادخلوا مناهج تعليم

---

(١) آل صفا ـ محمد جابر، تاريخ جبل عامل: ٢٤٩ وما بعدها.

جديدة.. وأشرفت عليها جمعية المقاصد الخيرية..»[1].

هذه هي أهم المدارس التي حملت العلم ونشرت الثقافة في جبل عامل طيلة قرون، عدا مدارس صغيرة كانت منتشرة في أنصار، وعيناثا، وطير دبا.. وجميع هذه المدارس كانت تتداول خدمة العلم والمعرفة واحدة بعد أُخرى، فما أن تخبو الأنوار في احداها حتى تبنى واحدة ثانية تتحمل عنها اعباءها[2].

.وفي جبل عامل مدن وقرى اقترن اسمها بكبار العلماء الإمامية إلّا أن تاريخها لا يذكر وجود مدرسة أسست فيها، مثل قرية (مشغرة)، والتي يقول عنها السيّد الأمين: «كانت هي، وجبع وجزّين منبع علماء جبل عامل، والتشيع فيها قديم»[3]. إلّا أنه لا يؤرخ لوجود مدرسة دينية قديمة فيها، في الوقت الذي يؤرخ لمشاهدها ومساجدها وحسينياتها.

ويكفي هذه المنطقة فخرا أن تكون لها حركة الريادة العلمية في المنطقة من خلال اسم عالمها الشيخ يوسف بن حاتم المشغري، الذي كان حيا سنة (٦٦٤ هـ). ويكفيها فخرا أيضا أن تكون موطنا لعائلة (آل الحر) العلمية، ومنهم: الشيخ محمد بن الحسن (صاحب الوسائل) والذي ذكرنا ترجمته سابقا بالاضافة إلى علماء آخرين ينتسبون إلى هذه المنطقة.

٢ ـ المدارس الدينية والحوزات العلمية المعاصرة في لبنان:

اختتم السيّد محسن الأمين حديثه عن المدارس الدينية في جبل عامل بمقولته

---

(١) مكي ـ محمد كاظم، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل: ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) مكي، المرجع نفسه: ٣٨.

(٣) الأمين، الخطط: ٣٠١.

المشهورة والتي أشرنا إليها سابقا، حيث يقول: «أ مّا اليوم فلم يبق في جبل عامل من أدناه إلى أقصاه ما يقال له مدرسة دينيّة، ولم يبق فيه طالب واحد من طلّاب العلوم الدينية، ومن يريد طلب العلم الديني من أهله يذهب إلى النجف بالعراق»[1].

والسيّد الأمين قد عاصر الحوزات والمدارس الدينية القديمة ودرس في الكثير منها، وتوفي سنة (١٣٧١ هـ) أي قبل أكثر من نصف قرن من الزمن، ولم يجانب السيّد الأمين الحقيقة بمقولته المشهورة هذه، إذ إن الواقع الميداني لمدن وقرى جبل عامل تشهد بصدق هذه المقولة وعموميتها، ولا تتنافى مع وجود بعض المدارس التي لها صبغتها الرسمية وتدرس المناهج الحديثة إلى جانب الدروس الدينية كالمدرسة الحميدية، كما لا تنفي وجود بعض العلماء ممن يدرسون بعض الطلّاب في بيوتهم أو في زاوية من زوايا مساجدهم، فواقع الحال في هذه المنطقة يشهد بأُفول الدرس الديني الحوزوي في التاريخ الذي أطلق فيه السيّد الأمين مقولته، وما بعده من الأزمان، حتى نجد عالما كبيرا من علماء جبل عامل كالسيّد عبد الحسين شرف الدين يشكو من قلة طلّاب العلم بقوله: «يا اللّه.. لا يوجد طالب علم واحد في كل جبل عامل»[2].

فكان طلّاب العلوم الدينية من جبل عامل، والمناطق الشيعية الأُخرى في لبنان، يهاجرون إلى النجف الأشرف لاكتساب العلوم والمعارف، بل حتى أعداد المهاجرين إلى العراق منهم كان ضنيلاً جدا إذ «وصل عدد الطلّاب اللبنانيين بالنجف الأشرف

---

(١) الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل.

(٢) الكاظمي ـ فيصل، الحوزات الشيعية المعاصرة: ٢٢٠ نقلاً عن ولد السيّد عبد الحسين شرف الدين ضمن مقابلة خاصة.

عام (١٩٤٩ م)، إلى خمسة عشر طالبا فقط»[1].

ولهذه الظاهرة أسبابها الموضوعية التي لا يمكن استيعابها في هذه الدراسة[2].

ومهما يكن من أمر هذه الظاهرة، فقد شهدت منطقة جبل عامل وبعد الغياب الحوزوي الذي امتد إلى مايقارب النصف قرن من الزمن، تأسيس مدرسة علمية في مدينة صور (١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م).. وبمرور الزمن كثرت الحوزات والمدارس الدينية حتى وصل عددها عند بعض الباحثين المعاصرين ومن خلال استقراء ميداني إلى ثلاثين حوزة ـ ومدرسة دينية ـ تقريبا[3].

وسوف نعتمد على القائمة التي أعدها هذا الباحث في كتابه «الحوزات الشيعية المعاصرة» مع حذف بعض الهوامش والزوائد منها، أو اضافة ما نراه مناسبا للبحث.

يقول هذا الباحث في مستهل دراسته الميدانية للحوزات اللبنانية المعاصرة: «إن الحوزات اللبنانية المعاصرة، التي استطعنا إحصاءها والتي تقسّم إلى قسمين رئيسيّين: الحوزات الرجاليّة والحوزات النسائية، وهي كما يلي:

أولاً: الحوزات الرجالية:

١ ـ المدرسة الدينية (١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م) صور:

وهي «أول حوزة لبنانية معاصرة، أعلن عن تأسيسها عام (١٩٦٠ م)، واستقبلت طلّابها في السنّة التالية. وكانت ثمرة من ثمار (جمعيّة علماء الدين العامليّة)، التي أسّسها بصور، تسعة من العلماء الذين تخرجوا من حوزة النجف الأشرف، عام

---

(١) الكاظمي ـ فيصل، الحوزات الشيعية المعاصرة: ٢٢٠.

(٢) أنظر المرجع نفسه: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٣) المرجع نفسه: ٢٢٣.

(١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م)[1].

ويعتبر الشيخ موسى عز الدين (ت ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩ م)، أبرز هؤلاء العلماء، ويعزى إليه تأسيس هذه المدرسة.

إنّ الشيخ موسى عز الدين، بنى سنة (١٩٦٩ م)، بناية مؤلفة من طابقين، لا تزال قائمة، وكانت المدرسة تعطي دروسا فقهية في المراحل الدراسية الحوزوية المعروفة. ولا تزال هذه المدرسة قائمة، رغم كونها أقدم حوزة معاصرة، في حين أننا سنجد حوزات أُخرى، جاءت بعدها، لم يكتب لها الاستمرار، للسبب القديم الجديد في الحوزات اللبنانيّة، وهو اعتمادها في وجودها على حياة مؤسسها، فإذا مات المؤسّس أغلقت المدرسة!

والأمر الذي كان وراء بقاء هذه الحوزة حتى الآن، أن توليتها الشرعية انتقلت، من الشيخ المؤسس موسى عز الدين إلى أحد أُولئك التسعة المؤسسين، وهو السيّد هاشم معروف الحسني، الكاتب والمؤلف والقاضي المعروف (١٣٣٣ ـ ١٤٠٣ هـ / ١٩١٤ ـ ١٩٨٣ م)، والذي بدوره أوصى بانتقال تولّي المدرسة، إلى السيّد محمد حسين فضل اللّه، المرجع الديني المعاصر[2]، وذلك عام (١٩٨٣ م).

٢ ـ المعهد الشرعي الإسلامي (١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م) بيروت:

أسّسه السيّد محمد حسين فضل اللّه، المرجع الديني اللبناني المعروف، على إثر عودته من النجف الأشرف، عام (١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م) فباشر بتأسيس حوزته بمنطقة النبعة ببيروت الشرقية، ثمّ انتقلت الحوزة بانتقاله وتلامذته إلى حي السلم، بضاحية

---

(١) الموسوي ـ عباس، علماء ثغور الإسلام: ٢ / ٥٨٢.

(٢) توفي رحمه الله في ٢٠١٠ م.

بيروت الجنوبية عام (١٩٧٦ م)، على أثر أحداث الحرب الأهلية، وأخيرا استقر مكانها، ببناية كبيرة، بمنطقة بئر حسن ببيروت، منذ العام (١٩٨٣ م).

وتكاد تكون الحوزة الأُولى بلبنان، التي جمعت بين طول بقائها، وقوة دراستها، وكثرة طلّابها، «وقد تخرج من هذه الحوزة علماء بارزون، يشغلون مواقع دينية، ووظيفية مرموقة»، وكان لهذه الحوزة، دور كبير، في استقبال أعداد الطلبة اللبنانيين المُهجّرين، من النجف الأشرف عام (١٩٧٧ م).

«وكان عدد طلّابها عام (١٩٧٣ م) ثلاثين طالبا، ثمّ ارتفع إلى مائة طالب، بعد نجاح الثورة الإسلامية بإيران عام (١٩٧٩ م) حتى استغنوا بها عن الذهاب إلى قم». حيث تعذّر الذهاب إلى النجف الأشرف نظرا للظروف الأمنية الحرجة هناك، بينما كانت مجموعات من الطلّاب الشيعة من لبنان وغيرها، تتجه نحو قم...». وتعتبر هذه الحوزة، أول حوزة ببيروت تأريخيا.

٣ ـ معهد الدراسات الإسلامية (١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م) صور:

«أسّسه الإمام السيّد موسى الصدر عام (١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م)، على إثر جولة قام بها، في ثماني دول من أفريقيا الغربية، وتبين له مدى أهمية، أن يقوم بالدعوة إلى الإسلام أحد الأفارقة.. لذلك توجه إلى استقدام بعضهم، دون أن تقتصر الدراسة عليهم فقط.. وكان المعهد يضم أربعين طالبا أفريقيا، وقد كانت دروس المعهد، تضمّ إضافة إلى الدروس الحوزوية المألوفة في الفقه، والأُصول، والمنطق، وعلوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، دروسا في الخطابة، والأدب العربي، وعلم التجويد، ونهج البلاغة..».

«وبدأت الحوزة ببيت مستأجر ثمّ بناية بثلاثة أدوار، ولكن السيّد موسى الصدر، كان يطمح إلى أكثر من ذلك، حيث كان يسعى لتأسيس جامعة إسلامية شيعية، أسوة

ببقية الطوائف. وانتقل إلى بيروت عام (١٩٦٧ م)، ليؤسس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وفي عام (١٩٦٨ م)، صدر قرار حكومي، بإنشاء معهد دراسات إسلامية، ثمّ جاء بعده الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ليحصد ثمار ما صنعه السيّد موسى، فيؤسس الجامعة الإسلامية.

وبقي المعهد نشيطا، حتى اختفاء السيّد موسى الصدر عام (١٩٧٨ م) فبدأ بالضمور، شيئا فشيئا..».

وقام هذا المعهد، في الفترة بين تأسيسه واختفاء مؤسسه، باستقطاب ثلة من طلبة العلوم الدينية، ومنهم علماء بارزون اليوم. وبعض هؤلاء العلماء، عاد من النجف ليؤسّس أول حوزة معاصرة ببعلبك، وهو السيّد عباس الموسوي، أمين عام حزب اللّه المستشهد عام (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م)[1].

٤ ـ مدرسة الإمام المهدي (عجل اللّه فرجه) ـ (١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م) ـ في برج البراجنة ـ بيروت:

أ سّسها أحد علماء العراق المهاجرين إلى لبنان، وهو السيّد حسن الشيرازي، الذي ترك العراق بعد مضايقات أمنية وسياسية. كما أنه أسس أول حوزة علمية شيعية بمنطقة السيّدة زينب بدمشق، التي لا تزال قائمة لحد الآن وتضمّ العديد من العلماء وطلبة العلوم الدينية.

وكانت حوزة (مدرسة) المهدي تضم ما يقارب الأربعين طالبا، كان نصفهم من الطلبة الأفارقة، الذين استجابوا لخطابات أرسلتها الحوزة بعد تأسيسها، إلى بعض المناطق الأفريقية، وهي ظاهرة وجدناها، في حوزة السيّد موسى الصدر السابقة

---

(١) الموسوي، علماء ثغور الإسلام: ١ / ٤٤١.

(معهد الدراسات الدينية بصور).

وأغلقت الحوزة أبوابها بعد اغتيال مؤسسها عام (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م) وهي أول حوزة معاصرة بلبنان، مؤسسها عالم ديني غير لبناني.

٥ ـ المعهد الشرعي الإسلامي الجعفري (حوزة الشهيد الثاني) (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١ م) ـ بيروت:

كانت بدايات التأسيس، بمنطقة برج البراجنة ببيروت، عام (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١ م)، من قبل السيّد نسيم عطوي (ولد: ١٣٥٧ ـ ١٩٣٨ م) على شكل دروس لبعض الشبّان، وفيهم اليوم علماء معروفون. إلّا أن أحداث الحرب الأهليّة، قد جعلت منها حوزة مهاجرة، من قرية إلى أُخرى، من قرى جبل عامل. وكانت قد غادرت برج البراجنة عام (١٩٧٤ م).

ويمكن أن تكون هذه الحوزة، في هذا التاريخ عبارة عن دوراتٍ ثقافية دينية للشبّان، أكثر من كونها حوزة.

«وعلى أثر عودة السيّد نسيم عطوي، من دراسته الفقهيّة بالنجف عام (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م)، أسّس حوزته في بلدة مركبا الحدوديّة، عام (١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م) ثم نتيجة ضغوط الاحتلال اليهودي، انتقلت الحوزة إلى بلدة انصار عام (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م) ولا تزال قائمة هناك. وقد سبقتها حوزة أُخرى له، في جباع عام (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م) وبعد التحرير عام (١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م) عاد السّيد إلى مركبا، لتفعيل حوزتها المغلقة، حتى عام (١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٣ م) حيث تبنّى الشيخ عبد الأمير قبلان، تأسيس حوزة بميس الجبل، فشجّع السيّد طلبته، على الانضمام إلى حوزة الشيخ قبلان».

ولهذه الحوزة حاليا فرعان ببلدتي الصرفند الساحلية بين صور وصيدا، وأُخرى في

تفاحتا من أعمال النبطية (وسنأتي على ذكرهما تفصيليّا).

وتهتمّ مجموعة الحوزات العلمية هذه (التي يشرف عليها السيّد نسيم عطوي) بإعداد المبلّغين إضافة إلى العلماء.

٦ ـ حوزة الإمام المهدي (عجل اللّه فرجه) ـ (١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م) ـ صدّيقين[١] ـ جبل عامل:

مؤسسها الشيخ عبد المنعم مهنا (ولد سنة ١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٢ م) الذي كانت دراسته بالنجف لشهور، ولما عاد السيّد محمد حسين فضل اللّه عام (١٩٦٥ م) إلى بيروت، عاد الشيخ معه، وانضمّ إلى حوزته بالنبعة، وفي عام (١٩٧٥ م) حيث اندلعت الحرب الأهليّة، نجد الشيخ يعود إلى قريته (صدّيقين) ليُنشىء حوزة في هذه السنة، والتي لم تستمرّ إلّا سنة ونصف السنة.

إلّا أن الحوزة لم تعد إلّا عام (١٩٨٢ م) وبدعم كامل من الجمهورية الإسلاميّة في إيران، حيث أخذ الطلّاب يتوافدون عليها حتى بلغوا خمسين طالبا. ولم يَسعهم البيت الذي أُوقف حوزة، فراح الشيخ يشيّد عمارة من عشرة أدوار لسكن الطلبة، بُني منها خمسة أدوار، ثمّ بلغ عددهم (١١٣) طالبا. ولم تعد مجرّد حوزة، حيث صارت مأوى للمجاهدين، بعد أن تأسّس حزب اللّه في هذه السنة، فينطلقون منها لتنفيذ العمليّات ليلاً، وفي النهار هم طلبة! حتى قدّمت الحوزة (٣٣ شهيدا) ثمّ تأزّمت الأوضاع كثيرا، على إثر الأحداث داخل الإطار الشيعي، بين حركة أمل وحزب اللّه عام (١٩٨٨ م) حتى غادر الشيخ قرية صدّيقين وحوزتها، والتي انتهت في ذلك التاريخ، وتفرّق طلّابها إلى حوزات أُخرى.

---

(١) صدّيقين: بلفظ جمع صدّيق بالتشديد، قرية في ساحل صور من قرى الشِعب. الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢٦٠.

٧ ـ حوزة الإمام المنتظر (عجل اللّه فرجه) ـ (١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م) ـ البقاع:

أسسها السيّد عباس الموسوي (الأمين السابق لحزب اللّه). على إثر عودته من النجف الأشرف، ولاقت دعما من السيّد موسى الصدر، والسيّد محمد حسين فضل اللّه، وبقي الأخير داعما لها بعد غياب الأول، حتى عام (٢٠٠٠ م). وكان تأسيس هذه الحوزة، بطلب مباشرة من المرجع السيّد محمد باقر الصدر، حيث كان يشجّع على تأسيس حوزات في البلدان الإسلامية، وقد نشطت الحوزة، بعد نجاح الثورة الإسلامية، وبروز الصحوة الإسلامية. وفي عام (١٩٨٧ م) شرع ببناءٍ جديد غاية في الضخامة (وعلى تلّة مشرفةٍ على بعلبك)، ثمّ ضعفت بعد غياب فضلائها، كما وأسهم في تأسيسها كذلك، الشيخ صبحي الطفيلي، والشيخ حسين الكوراني.

٨ ـ معهد الشهيد الأول (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م) بيروت:

«أسسه المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين (ت ١٤٢٠ هـ) رئيس المجلس الإسلامي الشيعي في حينه، كانت بداية التأسيس في شقة بمنطقة الغبيري، ثمّ شُيّدت له بناية بثلاثة أدوار للتدريس وسكن الطلبة العزّاب، وكان عدد طلّابه من ٦٠ ـ ٧٠ طالبا، وكان أحد معهدين مهمَّين آنذاك، ومن أهداف تأسيسه؛ استيعاب الطلبة العائدين من النجف الأشرف.. وأمّا الآن، فإن عدد طلّابه (١٤) طالبا فقط».

إنّ هذه الحوزة، تُعتبر دليلاً حيّا، على ارتباط حياة الحوزات بوجود مؤسسها، وموقعه، ومكانته العلمية والاجتماعية، حتى أن الشيخ المؤسس، له أخوان عالمان فاضلان معروفان، ولكنّهما لم ينهضا بهذه الحوزة، كما كانت في عهد مؤسسه ﷺ.

وتبدو في هذه الحوزة، الظاهرة التي أسهمت في تقوية حوزات لبنان المعاصرة واضحة، في عودة طلبة النجف من اللبنانيين، حيث أُسست حوزات، لمواكبة الأعداد الكبيرة منهم، الذين رجعوا في فترة زمنيّة قصيرة.

٩ ـ معهد الشهيد الأول (١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م) سحمر[1] ـ البقاع الغربي:

هو فرع للمعهد السابق، وكان هذا الفرع، قد نشط ببلدة سُحْمر من البقاع الغربي، على إثر الاحتلال الإسرائيلي واجتياحه عام (١٩٨٢ م) حيث أخذ هذا المعهد، يتولى رعاية بعض الطلبة، وأفرد بناية أُخرى، لتدريس الطالبات الدروس الحوزوية، حتى بلغ عدد طلّابه من الجنسين: أربعين طالبا وطالبةً.

واستمرّت هذه الحوزة بنشاطها، حتى عام (١٩٩١ م) حيث تحوّلت بعدها بناية الحوزة إلى مكتبة عامة، وقاعة محاضرات.

إنّ الضعف الذي أصاب الحوزة الأُم ببيروت، انتقل إلى فرعها بسحمر، وهذه الحوزة تمثّل مصداقا آخر من مصاديق تأثير الأوضاع الأمنيّة، على أجواء الدراسات الحوزوية.

١٠ ـ المعهد الشرعي الجعفري (١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م) مركبا[2] ـ جبل عامل:

وكان مؤسسه السيّد نسيم عطوي، قد أسس حوزة، في منطقة الشريط الحدودي الجنوبية، عام (١٩٨٢ م) بمنطقة مركبا، ولم تستمرّ هذه الحوزة إلّا سنتين، ثمّ انتقلت إلى بلدة انصار، عام (١٩٨٤ م).

---

(١) سُحْمر: بسين مهملة مضمومة وحاء ساكنة وميم مضمومة وراء، من قرى البقاع، ذُكرت في كلام المهاجر العاملي في عِداد قرى جبل عامل وليس منها. الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢٤٨.

(٢) مركبا: من عمل ناحية هونين الملغاة، والآن من عمل مرجعيون، فيها مغاور كثيرة.. ويظهر أنه كان فيها معمل للزجاج. وفيها مشهد يسمى مشهد منذر، وله أوقاف وعليه قبّة. خرج منها من أهل العلم في عصرنا الشيخ أمين شمس الدين: ١ ـ ٢٩٩. الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢٩٩.

١١ ـ معهد الإمام الصادق للعلوم الدينية (حوزة خربة سلم)[١] (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م) ـ جبل عامل:

أسسها السيّد عبد المحسن فضل اللّه (ت ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م) وهو من الفقهاء الكبار بجبل عامل، وقد ازدهرت هذه الحوزة في تلك المنطقة، رغم ظروف الاحتلال، فانضمّ إليها نخبة من طلبة العلم؛ من جبل عامل والبقاع، ووصل عددهم إلى (٣٠) طالبا. كانت دروسها تشمل مرحلتي المقدّمات والسطوح.

قدّمت هذه الحوزة شهداء من طلبتها، ثمّ ازدادت الظروف الأمنيّة قساوة، حتى اضطرت الحوزة إلى إغلاق أبوابها عام (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م) بعد أن تركت أثرا مهما في الوعي الديني والثقافي للمنطقة.

١٢ ـ معهد الرسول الأكرمﷺ العالي للشريعة والدراسات الإسلامية (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م) ـ بيروت:

نقف مع هذه الحوزة، على نمط آخر من حوزات لبنان المعاصرة، وهي من علامات تطوّر العلاقة، بين الفعاليات الإسلامية الشيعية اللبنانية من جهة، وأجواء جمهورية إيران الإسلامية وحوزة قم من جهة أُخرى.

«وهي حوزة ضمن سلسلة حوزات تشرف عليها (المنظمة العالمية للمدارس والحوزات خارج إيران)[٢] والتابعة لمكتب السيّد علي الخامنئي، مرشد الجمهورية

---

(١) خربة سلم: قرية من ناحية تبنين وعمل صور، على قمة جبل، يحيط بها واد عميق، من جهاتها الثلاث عدا قليل من الجهة الجنوبية، لذلك كانت بمنزلة الحصن. الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢٣٨.

(٢) وتعرف الآن باسم جامعة المصطفى العالمية وهي تهتم بالطلّاب الأجانب في داخل الجمهورية الإسلامية وخارجها.

الإسلامية مباشرة، وتنتشر مدارسها في بعض الدول الإسلامية، وبعض المهاجر.

وعلاقتها بقم وحوزتها أكيدة، حيث تقوم بإرسال من يرغب من طلّابها الذين يكملون المرحلة العاشرة (التخصصية) من الدراسة الحوزوية، ويزوّد بإفادة حيث يستقبل في (المركز العالمي للعلوم الإسلامية)[1] وهو المسؤول عن استقبال طلبة العلوم الدينية، من غير الإيرانيين».

وهي من الحوزات الفاعلة في الساحة اللبنانية، وقد لا تضاهيها إلّا حوزة المعهد الشرعي الإسلامي، التابع للسيّد محمد حسين فضل اللّه، في قوّة الدراسة وكثرة الطلّاب وكبر المبنى.

وتعتبر هذه الحوزة ثاني حوزة، تُشرف عليها جهة غير لبنانية، في تاريخ الحوزات بلبنان[2]، كما أنها تمثّل حضورا مهمّا للحوزة العلمية، في الأجواء الشيعية اللبنانية، دراسة، وعلاقات بحوزة قم، ودعم مباشر من مكتب السيّد الخامنئي، وهي «أغنى حوزة بلبنان».

١٣ ـ حوزة الثقَلَين العلميّة ـ حارة حريك ـ (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م) ـ بيروت:

أسسها السيّد عبد الكريم فضل اللّه (ولد بالنجف ١٩٥٦ م) بعد عودته من النجف بسنتين، أي في عام (١٩٨٤ م) بعد أن أحسّ بالحاجة الكبيرة إلى إنشاء حوزة تنهض بمهمّة إعداد علماء يواكبون الانفتاح الكبير على الإسلام، وصحوته المعاصرة وكانت

---

(١) وتعرف الآن بـ (جامعة المصطفى العالمية) ومركزها الرئيسي في مدينة قم ولها فروع في أكثر من دولة من دول العالم.

(٢) سبقتها حوزة الإمام المهدي ببرج البراجنة ببيروت، التي أسسها العالم العراقي المهاجر السيّد حسن الشيرازي ت ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م، وذلك عام (١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م).

تدرّس كل المراحل الحوزوية الدراسيّة، بما فيها درس الخارج وحيث كان يتولّى ذلك بنفسه.

وكان عدد الطلّاب سنويا من (٢٠ ـ ٢٥) طالبا وتوقّفت هذه الحوزة عام (٢٠٠٥ م) بسبب الضغوطات المالية من جهة، والتفكير بانتقالها إلى مبنى بأرض جديدة.

١٤ ـ المعهد الشرعي الجعفري (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م) ـ حوزة انصار ـ جبل عامل:

وهي الحوزة الثالثة، التي أنشأها السيّد نسيم عطوي بعد حوزته التمهيدية ببرج البراجنة (١٩٧١ م)، ثمّ مركبا عام (١٩٨٢ م) حيث الجأته ظروف الاحتلال، إلى ترك الأخيرة، وتأسيس حوزة بجباع وببلدة أنصار، من أعمال النبطية.

وهذه الحوزة تدرّس اليوم كلّ المراحل الدراسية الحوزوية، وبضمنها بحث الخارج، عدد طلّابها ما يقارب الأربعين طالبا تهتم بالتبليغ إلى بعض المهاجر، وبعض القرى السورية.

١٥ ـ حوزة الإمام الصادق عليه السلام (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م) ـ النبطية ـ جبل عامل:

أول حوزة معاصرة بمدينة النبطيّة، بعد انطفاء حوزتها السالفة، أيام السيّد حسن يوسف مكي، ثمّ المدرسة الحميدية، أشرف على تأسيسها، الشيخ عبد الحسين صادق (ولد في: ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٧ م) حفيد الشيخ عبد الحسين صادق (ت ١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٠ م) مؤسس حوزة الخيام السالفة. في المرحلة السابقة للحوزات، مديرها الشيخ أحمد صادق (ولد ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م) من خرّيجي حوزات صور، ثمّ عاد من النجف الأشرف، بعد أن حضر على أكابر علمائها عام (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م) وكان عدد طلّاب الحوزة وأساتذتها؛ ثلاثين شخصا، ثمّ أقفلت

أبوابها (١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠١ م) على إثر افتتاح حوزة أهل البيت بمدينة النبطية.

١٦ ـ حوزة جبل عامل العلمية (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م) الشرقية[١] ـ جبل عامل:

كانت بداية تأسيس هذه الحوزة ببلدة الغسانية[٢]، «حينما بدأت كحلقات دروس فقهيّة، بعدها انتقلت إلى بلدة الشرقية، في موضع يعرف بمقام (النبي جليل)، وذلك على إثر رؤيا لأحد الوجهاء هناك. ولكن المقام لم يدم لها بالشرقية، حيث انتقلت بطلّابها وأساتذتها مرّة أُخرى، إلى بيروت، ثمّ إنها عادت إلى بلدة الشرقية، مرة ثانية عام (١٩٩٠ م)، وقد هيىء لها مبنى جديد، مؤلف من أدوار ثلاثة، وتراوح عدد طلّابها من (٩٠ ـ ١٠٠) طالب سنويا، لكل مراحلها، حتى عام التحرير (٢٠٠٠ م)».

وقد توقّفت الحوزة من عام (٢٠٠١ ـ ٢٠٠٥ م) بسبب انقطاع التمويل المالي.

١٧ ـ الحوزة الدينية، حبّوش[٣] النبطية، (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م) جبل عامل:

أسس هذه الحوزة، السيّد علي مكي الحبّوشي (ولد سنة ١٩٥٨ م)، بعد عودته من حوزة قم، وأول ما تأسّست بمدينة النبطيّة عام (١٩٨٧ م)، ثمّ انتقلت بعد ذلك إلى حبّوش عام (١٩٩٥ م)، بعد إنشاء مبنى ذي أربعة أدوار، ضمن مجموعة من النشاطات

---

(١) الشرقية: نسبة إلى الشرق مقابل الغرب، قرية من قرى الشقيف، فيها مزار يقال له مزار جليل الشقيف عليه قبّة، كان فيها من أهل العلم المعاصرين، الشيخ محمد علي القبيسي... الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢٥١.

(٢) الغسّانية: نسبة إلى غسّان بالتشديد، قرية في ساحل صيدا من عمل الشومر. الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢٨٣.

(٣) حبّوش: بحاء مهملة مفتوحة، وباء موحّدة مضمومة مشدّدة، وواو ساكنة، وشين معجمة، قرية شمالي النبطية قريبا منها، فيها عين ماء، منها السيّد حسن يوسف الحبوشي العالم المشهور، ومنها الشيخ محمد علي نعمة، العالم التقي المعاصر. الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢٣٢.

الدينية، والاجتماعية، في بلدة حبّوش، وكانت البداية بحسينيّة النبطيّة، بعشرين طالبا فقط.

ولقد بلغ عدد الطلّاب الذين انتموا إلى هذه الحوزة (٥٣) طالبا. ويشترط حصول الطالب على الشهادة المتوسطة، فما فوق، للقبول فيها، مع شروط أُخرى.

١٨ ـ حوزة جامعة النجف الأشرف للعلوم الدينية (١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م) حاريص[١] ـ جبل عامل:

تُعلن هذه الحوزة، عن انتمائها للحوزة النجفية، بكلّ وضوح وجلاء كما لا يخفي ذلك مؤسسها؛ من شدّة ارتباطهم بالنجف، وتأكيدهم على نمط الدراسات الدينية الحوزوية القديمة، المألوفة بحوزتها.

أسسها الشيخ مفيد الفقيه (ولد ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٧ م) عام (١٩٨٩ م)، على إثر عودته من النجف الأشرف ـ حينما اشتدّت الظروف قساوة في العراق ـ بعد ثمانية وثلاثين عاما أمضاها في النجف الأشرف، وبدأت الدروس ببيت الشيخ المفيد بصور، ثمّ قيّض لهذه الحوزة، من يبني لها بناية من خمسة أدوار؛ فيها مكاتب الإدارة، وغرف التدريس، وقاعتان للمحاضرات، ومكتبة عامة، وإلى جانبها بنايتان؛ الأُولى مؤلّفة من (١٢) شقة، والأُخرى من (٥) شقق، لسكن الأساتذة والطلّاب. وكان الانتقال للمبنى الجديد عام (١٩٩٩ م)[٢]. واليوم تحوي الحوزة (٦٠) طالبا، لكلّ المراحل، ومنها

---

(١) حاريص: قرية بالقرب من تبنين، أهلها موصوفون بالذكاء، ومنها الشيخ إبراهيم الحاريصي شاعر ناصيف، ومنها الشيخ يوسف الفقيه، العالم الفاضل، الذي كان رئيس محكمة التمييز في بيروت، وأولاده الأفاضل. الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢٣١.

(٢) تحقيق مصوّر، مجلة رسالة النجف، العدد ٠، ص ٦ ـ ٧، الربع الأول من ٢٠٠٥ م محرم (١٤٢٥ هـ).

مرحلة الخارج، وتصدر الحوزة مجلة باسم (رسالة النجف). صدر منها إلى الآن (١٣) عددا.

١٩ ـ حوزة الإمام الحجة (عجل اللّه فرجه) (١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م) ـ البيّاض[1] ـ جبل عامل:

مؤسسها الشيخ إبراهيم سليمان البياضي (ت ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م)، ببلدة البيّاض عام (١٩٩١ م) وهو من كبار العلماء الذين قضوا عمرهم المديد في طلب العلم، والحضور على أكابر علماء حوزة النجف الأشرف، ونجده ينشىء هذه الحوزة وعمره تجاوز الثمانين سنة، مما يشير إلى أهمية دور الحوزات، حيث يُملي الواجب الديني على العلماء أن ينهضوا بمسؤولياتهم الشرعيّة. بينما نجد أن أغلب مؤسسي الحوزات المعاصرة كانوا في مقتبل أعمارهم.

ويبدو أنّ تأسيس هذه الحوزة كان سابقا على سنة (١٩٩١ م) إذ ان الشيخ كان يدير حلقات الدروس الحوزوية في بيته، قبل انتقالها إلى المبنى الجديد عام (١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م). والحوزة مؤلّفة حاليا من مبنيّين منفصلين، كل مبنى من ثلاثة طوابق، الأول للإدارة والتدريس والثاني لإقامة الطلّاب والأساتذة. توصل هذه الحوزة طلّابها إلى مستوى إكمال المقدمات والسطوح، ويحتاج الطالب بعدها، إلى إكمال الدراسة العليا بالنجف أو قم. وللحوزة نشاطات ثقافيّة، وتعنى بإحياء المناسبات الإسلامية».

والملاحظ في هذه الحوزة؛ أنها تستقبل كل سنة عشرين طالبا فقط، للحفاظ على نوعيّة طلبة العلم الديني، وللقدرة على القيام بما يجب على الحوزة القيام به، تجاه

---

(١) البيّاض: بالياء الموحّدة المفتوحة، والمثناة التحتية المشددة، والضّاد المعجمة، قريتان: إحداهما في ساحل صور، فيها مساكن آل سليمان، وهم أهل بيت علم وفضل... الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢١٧.

طلّابها من الناحية الماديّة.

كما وتهتمّ الحوزة بإعداد الطالب الرسالي، لكنها تأخذ بالمناهج القديمة المعتمدة تقليديّا.

٢٠ ـ حوزة الإمام الصادق عليه السلام (١٤١٠ هـ ـ ١٩٩١ م) ـ صيدا ـ جبل عامل:

أسسها بصيدا الشيخ عفيف النابلسي، (ولد ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١ م)، حيث أخذ باستقطاب بعض طلّاب العلم ببيته، ثمّ احتاجوا إلى شقة منفصلة، كان تأمينها بمباركة من السيّد علي الخامنئي، مرشد الجمهورية الإسلامية، ثمّ انتقلت الحوزة لتشغل الطابق الخامس، من مجمع السيّدة الزهراء بصيدا. وفي نشرة تعريف أصدرتها الحوزة، ذكرت نقاطا في مميّزاتها أهمها:

١ ـ «أنها تتوسط مجموعة من المؤسسات التعليمية، والتربوية، مما يشكل أجواءً علمية مؤاتية.

٢ ـ نسبة مهمة من طلّابها جامعيون، وهي تشجع طلّابها، على المواءمة بين الحوزة والجامعة.

٣ ـ موقع الحوزة، ضمن مجمّع يشهد نشاطات دينية، واجتماعيّة، وسياسية، مما يسهم في توعية طلّابها.

٤ ـ تشجّع على الحوار، وتنوّع الأفكار، وتستقدم علماء وباحثين وأساتذة، ليحاضروا ثلاث مرات في الأُسبوع».

وقد تعرّضت الحوزة إلى قصف صهيوني أثناء حرب تموز (٢٠٠٦ م)، دمّرها مع المجمّع بكامله، الذي كان يضمّ خمسة أدوار؛ من مسجد، وحسينيّة، ومنزل الشيخ، وحوزة للرجال، وأُخرى للنساء.

وهذه الحوزة، هي أول نشاط حوزوي شيعي يسجّل لصيدا، بعد نشاط الشيخ (أبو

الفتح الكراجكي، ت ٤٤٩ هـ). وقد جاءت الحوزة، وفكرة إنشائها؛ لأن «مدينة صيدا تعاني شحّا على صعيد العلماء والمبلّغين». وقد تهيّأ لهذه الحوزة، إعداد بعضٍ منهم.

٢١ ـ حوزة الإمام الجوادعليه السلام (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م) ـ بيروت:

أسسها الشيخ يوسف سبيتي (ولد سنة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م)، وهو أحد خريجي حوزة قم في عام (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م) حيث عاد مدرّسا ببعض الحوزات المعاصرة آنذاك، ثمّ أخذ يفكّر بإنشاء حوزة مستقلة، فكانت حوزة الإمام الجواد. وهي عبارة عن شقة، تضمّ ما يقارب الأربعين طالبا، كعدد يحاول البقاء عنده، إذ قد بلغ العدد (٣٥) في بعض السنين وارتفع إلى (٥٥) في سنين أُخرى.

تدرّس فيها، جميع المراحل الدراسيّة الحوزوية، وللشيخ يوسف سبيتي درس في (الخارج) أي المستوى الأعلى للدراسات الحوزوية، وتعتمد الحوزة في تمويلها، على الحقوق الشرعيّة.

٢٢ ـ حوزة الإمام الحسن المجتبىعليه السلام (١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م) ـ بعلبك ـ البقاع:

حوزة ثانية في بعلبك، أسّسها الشيخ مهدي سليمان اليحفوفي (ولد في: ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م) عام (١٩٩٧ م)، تضمّ بعض الدروس الثقافيّة، إضافة إلى الدروس الحوزويّة المعهودة، من مقدّمات وسطوح، وسطوح عالية. وعدد طلّابها يتجاوزون (٤٠) طالبا.

وكان المرجع السيّد محسن الحكيم (ت ١٤٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م) قد طلب من الشيخ سليمان اليحفوفي، أن ينشىء حوزة ببعلبك[1]، فلم يتسنّ له ذلك، فجاء ولده الشيخ

---

(١) الموسوي ـ عباس علي، علماء ثغور الإسلام: ١ / ٣٩٤.

مهدي، ليحقّق ذلك الطلب.

٢٣ ـ حوزة البشير عليه السلام (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م) تُوْلْ[١] ـ جبل عامل:

تقع الحوزة ضمن، مجمّع البشير الديني، قرب النبطيّة، وكان تأسيسها بإشارة، من الشيخ محمد مهدي شمس الدين (ت ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م) عام (١٩٩٨ م)، وتفتقر الحوزة إلى أقسام داخلية للطلّاب، ولا تقوى على تقديم رواتب لهم. بدأت الحوزة بعدد محدود، أ لّف حلقتي درس، ثمّ ازداد عددهم، حتى وصل إلى خمسين طالبا، في بعض السنين، والعدد الآن هو ثلاثون بين طالب ومدرّس. فيها دروس المقدّمات والسطوح، وحتى السطوح العليا.

٢٤ ـ حوزة سيّد الشهداء عليه السلام (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م) بئر السلاسل[٢] ـ جبل عامل:

أسسها الشيخ فادي سعد (ولد ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م) أحد خرّيجي حوزة قم، التي عاد منها سنة (١٩٩٢ م)، حيث استلم إدارة حوزة النجف الأشرف المتقدّمة (حوزة رقم ١٨) لعشر سنين.

وقد تقدّم لهذه الحوزة (٣٩٠) طالبا منذ تأسيسها، وعدد طلّابها الفعليين (٥٠) طالبا، فيها كلّ المراحل الدراسية، وحتى دروس الخارج.

والحوزة هي مشروع، ضمن (١٥) مشروعا، تتضمن نشاطات دينية، واجتماعية،

---

(١) تول: بضم التاء وسكون الواو فلام ساكنة، هكذا تعرف عند العامة، ولكنها عند الخاصّة بثاء مثلثة أولها، وهي من عمل الشقيف، على ميل ونصف ميل من النبطية غربا، ذكرها ابن سينا في أُرجوزة له. ظاهر ـ سليمان، معجم قرى جبل عامل: ١ / ١٦٠.

(٢) قرية بجبل عامل، تقع قبل تبنين، في الطريق الصاعد من صور، بعد بلدة الشهابية، وقبل مفرق دير أنطار.

وعلمية، في مؤسسة سيّد المرسلينﷺ الخيرية. وهي الآن بصدد الانتقال إلى مبنى حديث، ذي ثلاثة أدوار، تمّ تأمين تكاليفه من الحقوق الشرعية.

٢٥ ـ الحوزة العلمية لدراسة علوم أهل البيتعليهم السلام (١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م) ـ بيروت:

هذه حوزة تختلف عن بقيّة الحوزات المعاصرة، إذ إن مؤسسها الشيخ علي البهادلي (ت ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م) عراقي، من أُسرة علمية نجفية، وهو بنفس الوقت طالب دراسات إسلامية عليا[١].

وجاء في سبب إنشائها: أنها تأسست، لاستيعاب عدد من العراقيين لأن هناك عددا من الحوزات، لا تستقبل إلّا الطلبة اللبنانيين فحسب.

وتتركّز دروسها على: الفقه، السيرة، العقائد، فنّ الخطابة، علم الدراية، علوم العربية، الأخلاق، المنطق. وكان مدرّسوها: من اللبنانيين والعراقيين المقيمين بالساحة اللبنانية. استمرت الحوزة بعد وفاة مؤسسها مدّة، حتى أُقفلت منتصف عام (٢٠٠٣ م).

٢٦ ـ حوزة الإمام عليعليه السلام (١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م) ـ بيروت:

أول ما يطالعنا في هذه الحوزة، أن تأسيسها كان بإشارة، من أحد مراجع حوزة قم وهو آية اللّه الشيخ محمد تقي بهجت (ت ١٤٣٠ هـ) والذي أمر بتحويل مبنى كان مشغولاً من قبل مركز دراسات إيرانية، إلى مقرّ الحوزة. والمبنى ذو الأربعة أدوار، ملاصق لمبنى سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهناك صعوبة في الوصول إليها،

---

(١) وكان قد أنهى مرحلة الماجستير، بكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، وتوفي وهو يعدّ الدكتوراه. الباحث.

نظرا للاجراءات الأمنية، التي كانت تشمل زوّار الحوزة كذلك.

مؤسس الحوزة المباشر السيّد جعفر مرتضى العاملي (ولد ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٤٥ م).

وكان يؤكد على ضرورة اتباع المنهج الحوزوي التقليدي، المعمول به في حوزتي النجف وقم، وخاصّة التأكيد على المقدّمات، كالنحو، والصرف، والبلاغة، والمنطق، بحيث يكون مجتهدا فيها. وإنّ سبب تراجع المستوى العلمي، لطلّاب الحوزات، إنّما يعود إلى ضعف مرحلة المقدّمات لديهم.

٢٧ ـ حوزة أهل البيت عليهم السلام (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م) ـ النبطيّة ـ جبل عامل:

عرفنا في حوزات المرحلة الثانية أنّ النبطيّة كان لها إسهام مهم، من خلال حوزتها التي أسسها السيّد حسن يوسف مكي (ت ١٣٢٤ هـ ـ ١٩١٥ م) حيث طلب بعدها، من الشيخ عبد الحسين صادق (ت ١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٠ م) أن ينهض باعبائها.

وكانت قد سبقت هذه الحوزة بالنبطية، في عصرنا هذا: حوزة الإمام الصادق عليه السلام المتقدّمة (الحوزة رقم ١٥) وحوزة حبّوش (الحوزة رقم ١٧) التي اتخذت من حسينية النبطية بداية لها، قبل استقرارها ببلدة حبّوش.

«وأشرف الشيخ عبد الحسين صادق (ولد ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٧ م)، على هذه الحوزة منذ عام (٢٠٠١ ـ ٢٠٠٦ م)، وكانت تضمّ (٣٠) طالبا و (٧) أساتذة. وهناك درس في الخارج، يشرف عليه الشيخ حسن رميتي» (ولد ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٢ م)، من مبرزي خريجي حوزة قم. ثمّ إنّ هذه الحوزة توقّفت؛ لاضطراب الأوضاع العامة. وهذه الحوزة، مرتبطة بالنجف ومرجعيّتها.

٢٨ ـ معهد الإمام الهادي عليه السلام (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م) ـ بيروت:

أسسه الشيخ ناجي، وأخوه الشيخ محمد طالب، وهما من خريجي حوزة قم.

تهتم هذه الحوزة، بالأُسلوب التقليدي في الدراسات الحوزوية، بل هي (حوزة

تقليدية جدا)، وهي من ثمان مراحل دراسيّة، وعدد طلابها خمسون طالبا. وخلال زيارتنا للحوزة، واللقاء بمديرها الشيخ ناجي، كان بعض الطلّاب في سنّ متقدّم نسبيا، وهم يعملون أعمالاً أُخرى، خارج الحوزة، ولمّا سألت الشيخ ناجي عن ذلك، قال: لا دعم مالي كافٍ، حتى ينهض بتفرّغ الطلبة، ولهذا فإنّ هذه الحوزة، تفرّدت عن بقية الحوزات ـ حسب استقصائي ـ بتوزيع صناديق للتبرع، نجدها في المحلات والشوارع، لأجل مصروفات الحوزة!!

ويقول الشيخ ناجي طالب، عن هذه الصناديق أ نّها لأجل بقائنا مستقلّين، وبعض طلّاب هذه الحوزة، يواصلون دراساتهم الحوزوية بقم، ومعهم إفادات بالدرجات.

٢٩ ـ حوزة مركز الدراسات الإسلامية لفقه آل البيت عليهم السلام (١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م) ـ بيروت:

وهي إحدى حوزتين، يشرف عليهما الشيخ عبد الأمير قبلان، نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وهي في بناية خاصّة بخمسة أدوار، وعدد طلّابها خمسة وعشرون طالبا في المراحل كلها، وهو عدد لا يتناسب مع ضخامة هذه البناية.

مدير هذه الحوزة، الشيخ ناجي درويش (ولد ١٩٦٧ م) أحد خريجي حوزة قم.

وقد هيّأت هذه الحوزة، ما من شأنه تقدّم الطلّاب علميا، ومعرفيا عبر توفير مكتبة عامّة، وتوافر الحواسيب الحديثة، وتهيئة قسم داخلي لإقامة الطلبة. وتسعى هذه الحوزة لرفع مستويات طلّابها، عبر البرامج التعليمية، ومطالبتهم بإعداد رسائل التخرّج، وبرامج أُخرى.

٣٠ ـ حوزة مركز الدراسات الإسلامية لفقه آل البيت عليهم السلام (١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م) ـ ميس الجبل ـ جبل عامل:

أول نشاط حوزوي بميس، منذ أيام المحقّق الميسي، علي بن عبد العالي

(ت ٩٣٨ هـ) حيث لم تشهد نشاطا، منذ ذلك التاريخ، رغم وجود مسجد هناك، يُنسب إلى الصحابي أبي ذر الغفاري، وهو مما يشجّع على نشوء تلك الحوزات، حيث نجد أن الحوزات الشيعية، ترتبط بشكل واضح، بالأماكن المقدّسة ذات البُعد التاريخي.

الحوزة هذه، هي الفرع الثاني، بعد فرعها الأول ببيروت، والمشرف الشيخ عبد الأمير قبلان (نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي)، ورئيسهما ولده الشيخ أحمد قبلان. وجاء تأسيسها بعد تأسيس الأُولى.

٣١ ـ معهد أهل البيت (الحوزة العلمية) (١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م) بنت جبيل ـ جبل عامل:

كان لبنت جبيل، نشاط حوزويّ مهم، في المرحلة الثانية، من مراحل الحوزات اللبنانية، مع شيخها الشيخ موسى شرارة (ت ١٣٠٤ هـ) وأما عيناثا المجاورة لبنت جبيل، فقد كان لها الدور الأسبق، في المرحلة الأُولى.

وهذه الحوزة، تقع في طريق بنت جبيل ـ مارون الراس، في شقّة تضم (٣٠) طالبا، وشروطها غير معقّدة، لقبول الطلّاب، وقد يكون بعدها وموقعها وخطورة المنطقة، يملي هذا التساهل في القبول. وقد شهدت الحوزة إقبالاً كبيرا، بعد حرب تموز (عام ٢٠٠٦ م) حتى بلغ العدد أربعين طالبا.

مدير الحوزة الشيخ صالح فيّاض (ولد ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م) ولا تزال هذه الحوزة في طور الإنشاء والإعداد، فلم تتمكن من أخذ موقعها بعد، ولم تنتج خرّيجا منها.

ثانيا: الحوزات النسائية:

إنّ ممّا يميّز، الحوزات اللبنانيّة في المرحلة المعاصرة، بروز حوزات خاصّة

بالنساء، انتشرت في بيروت، وجبل عامل والبقاع. مما يدعونا إلى دراسة هذه الحوزات، ساعين لاكتشاف خصائصها وأدوارها، حسب تأسيسها تاريخيا.

١ ـ حوزة السيّدة الزهراء عليها السلام (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م) بعلبك:

أوّل حوزة نسوية معاصرة بلبنان، مؤسسها السيّد عباس الموسوي (ت ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م) وهو مؤسس حوزة الإمام المنتظر ببعلبك، المارّ ذكرها.

مراحل الدراسة في هذه الحوزة، ثمان سنوات، وتركّز دراساتها الفقهية في حدود مرحلة السطوح الأُولى، إذ إنّ هدفها يتجسّد، في إعداد المرأة المسلمة، للنهوض بمسؤوليات التبليغ، ونشر الثقافة الفقهيّة، والدينية، بين صفوف النساء، ولذا كانت تتساهل في شروط القبول كذلك.

وممّا تميّزت به هذه الحوزة؛ وجود قسم داخلي للطالبات، الذي شجّع طالبات، وفدن إليها من كلّ المناطق اللبنانية، بل ومن سوريا كذلك. وقد استقطبت طالبات، من الجنوب، وبيروت، ومناطق أُخرى؛ لكونها الحوزة الأُولى في الساحة الحوزوية النسوية بلبنان.

عدد طالباتها يتراوح بين (خمسين إلى ستين) طالبة، وتهتمّ الحوزة هذه بالدراسات القرآنية والعقديّة، وتولي الراغبات من طالباتها اهتماما خاصا لاعدادهن كقارئات عزاء في شهر محرّم الحرام، وللتبليغ في شهر رمضان المبارك.

٢ ـ المعهد الشرعي الإسلامي ـ القسم النسائي (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٠ م) ـ بيروت:

تأسّس بعد الحوزة السالفة، فهي الحوزة الثانية للنساء، التي تشهدها الساحة اللبنانية. وكما هو واضح من اسمها، فهي حوزة تابعة، للمعهد الشرعي الإسلامي، التابع بدوره للسيّد محمد حسين فضل اللّه، وليس لهذه الحوزة اسم خاصّ بها.

والهدف من إنشائها هو: «إعداد المتعلّمات المثقّفات المبلّغات، على صعيدي البيت والمجتمع، وليس هو كهدف دراسة حوزة الرجال، التي تسعى إلى إعدادهم، مشروعات للاجتهاد».

وكانت هذه الحوزة، تشغل بناية من عدّة أدوار، في منطقة صفير، وبعد الحرب عام (٢٠٠٦ م) انتقلت إلى طابق، في مبنى حسينية حيّ السلم، بالضاحية الجنوبية، وقد تناوب على إدارتها ثمانية من العلماء.

عدد الطالبات حاليا (خمس وخمسون) طالبة، في المراحل الدراسية الخمس كلّها بينما كان العدد يصل إلى خمسين للمرحلة الأُولى فقط، في بدايات التأسيس ويعود السبب في هذا التضاؤل إلى «كثرة المراكز والمعاهد والحوزات وتعدّد الإتجاهات».

٣ ـ معهد السيّدة الزهراء عليها السلام العالي للشريعة والدراسات الإسلامية (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م) ـ بيروت:

تأسست هذه الحوزة النسوية عام (١٩٨٥ م)، أي في نفس سنة تأسيس الحوزة السابقة، ويبدو أنّ اهتماما كبيرا، قد برز في هذه السنة، لإنشاء معاهد دينية خاصة بالنساء. ويلاحظ هنا: أنّ تأسيسها جاء بعد سنتين من تأسيس الحوزة الرجالية عام (١٩٨٣ م) حيث تعودان لنفس الجهة المؤسسة؛ وهي المنظمة العالمية للمدارس والحوزات خارج إيران[١]، وبهذا فإنّ هذه الحوزة، تحظى برعاية وإمكانيّة كبيرتين، وليس لهذه الحوزة علاقة بحوزة بعلبك النسوية السابقة.

وكانت في بداية تأسيسها، تقبل الطالبات بشروط متواضعة، حتى اللواتي، لم يحصلن على الشهادة المتوسطة، واليوم لا تُقبل، إلّا خرّيجات الثانوية فما فوق،

---

(١) وتعرف الآن بـ (جامعة المصطفى العالمية).

وهناك طالبات جامعيات ضمنها حاليا.

عدد الطالبات تسعون طالبة للمراحل كلّها، ومن الملاحظات هنا: أنّ عدد الطالبات، ازداد بعد حرب تموز (٢٠٠٦ م) فكانت هناك مائة وخمس طالبات.

ولهذه الحوزة ثمان مراحل دراسيّة، تمنح بعدها إجازة (الليسانس) لطالباتها، بالتعاون مع الجامعة الإسلامية، ثمّ درجة (الماجستير) كذلك.

تهدف هذه الحوزة إلى إعداد طالباتها، في إحدى الاختصاصات الأربعة أدناه:

أ ـ كاتبات وباحثات؛ نظرا لقلّة الأقلام النسوية الإسلامية ولهذه الحوزة مجلة نسوية إسلامية، استحصلت على إجازة رسميّة في العام الماضي، وكلّ كاتباتها من هذه الحوزة.

ب ـ مبلّغات وداعيات؛ حيث تهيّأ لهنّ دورات ثقافية، وأُخرى لإعداد خطيبات المنبر الحسيني، حيث ينطلقن للتبليغ، في شهري محرم ورمضان الفضيل، داخل بيروت، على أمل توسّع المجال إلى خارجه.

ج ـ مدرّسات ومعلّمات؛ وهنّ الآن في مرحلة، إعدادهنّ مدرّسات للدروس الحوزوية، على أمل السعي ليكنّ مدرّسات في المدارس مستقبلاً.

د ـ مربيات؛ لإعداد الأُمهات الواعيات، والزوجات الصالحات، ولهنّ دروس في التربية والطفل.

وأخيرا فإنّ لهذه الحوزة بناية خاصة، بجوار معهد الرسول الأكرمﷺ، بمنطقة حارة حريك ببيروت، حيث تجد حركة لم تؤلف في الحوزات النسوية الأُخرى، نظرا لضخامة الإمكانيات وللاهتمام الكبير.

٤ ـ معهد الإمام الصادق (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م) صور ـ جبل عامل:

وهي الحوزة النسوية الثالثة، التي تؤسس في هذه السنة (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م) في

عامة لبنان، والحوزة النسوية الأُولى بجبل عامل، أسّسها السيّد محمد الغروي (ولد بالنجف ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٣٨ م) على إثر عودته من إيران، واستمرّت هذه الحوزة إلى عام (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩ م) حين أخذت الأجواء الأمنية، تنعكس سلبيا على الحوزة فأُخرج منها مؤسسها ليتولاها غيره، ولما بنيت الجامعة الإسلامية بصور وهي بناية كبيرة ورائعة على البحر، انضمّت إليها لتكون هذه الحوزة، فرعا من هذه الجامعة. بعد أن تحوّل مقرّها إلى حوزة رجاليّة وأُغلق المعهد النسوي سنة (١٩٨٩ م).

وهذه الحوزة، كانت تهدف إلى تربية المرأة المسلمة وتثقيفها فقهيّا؛ لها ولبنات جنسها من النسوة.

٥ ـ معهد السيّدة خديجة الكبرى عليها السلام للعلوم الإسلامية (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م) ـ صور ـ جبل عامل:

حوزة نسوية ثانية، تابعة للسيّد محمد حسين فضل اللّه، وهي المؤسسة الحوزوية الثالثة التابعة له، بعد حوزتي بيروت؛ الرجالية والنسائية السالفتين، تأسست هذه الحوزة، بمبادرة من بعض علماء صور، حيث اشتريت شقة لتكون مقرا للحوزة.

عدد سنيّ الدراسة أربع، وكان عدد طالباتها قبل الحرب عام (٢٠٠٦ م) من سبعين إلى ثمانين طالبة، في مراحلها الأربع. ثمّ عاد الوضع هذه السنة، إلى سابق عهده ممّا يؤمّل منه عودة الأعداد السابقة، من الطالبات المنتميات لهذه الحوزة، التي تهدف إلى إعداد المرأة المسلمة المتفقّهة لتكون زوجة صالحة، وأُما صالحة.

وبعض طالبات هذه الحوزة يكملن دراستهن بالمعهد الشرعي للأخوات، التابع للسيّد فضل اللّه ببيروت، ومن تريد المزيد من التخصّص الحوزوي تسافر إلى حوزة قم بإيران.

وتقوم هذه الحوزة بإعداد دورات صيفيّة لإعداد المبلّغات وخطيبات المنبر

الحسيني؛ بما يشغلهُ من مجالات للتأثير والتبليغ في مناسبات المسلمين الشيعة بلبنان.

٦ ـ حوزة السيّدة زينب عليها السلام للشريعة الإسلامية (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م) صيدا ـ جبل عامل:

وهي إحدى نشاطات مجمّع السيّدة الزهراء عليها السلام بصيدا، الذي يشرف عليه الشيخ عفيف النابلسي.

وتُعدُّ الحوزة النسوية الأُولى بصيدا؛ وتشغل طابقا كاملاً في هذا المجمّع، وناهز عدد خرّيجاتها خمسمائة طالبة، وذلك على مدى ثلاث عشرة سنة. ويلاحظ في مناهجها الدراسيّة: الاهتمام بالثقافة الإسلامية العامة؛ مثل تفسير القرآن الكريم، والسيرة المطهّرة، وعلوم الأخلاق، والعقائد، ودروس من نهج البلاغة، إضافة إلى الفقه، وآيات الأحكام. ومهمة هذه الحوزة إعداد المرأة المسلمة المتفقّهة المبلّغة. وهي من الحوزات القلائل التي تعتمد طاقما تعليميا، من خريجاتها بشكل مستمر. سوّيت هذه الحوزة بالأرض في عدوان تموز عام (٢٠٠٦ م).

٧ ـ الحوزة الدينية ـ الفرع النسائي (١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م) حبّوش ـ جبل عامل:

وقد سبق أن ذكرنا حوزة حبّوش في الحوزات الرجاليّة المعاصرة، والتي أسسها السيّد علي مكي سنة (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م) أي أنّ الفرع النسوي لهذه الحوزة جاء بعد أكثر من عشر سنين من تأسيس الفرع الرجالي الأساس فيها. ومواد تدريس حوزة حبّوش النسائية (٢٢) مادة، ولمدة أربع سنوات، وذكر من هذه المواد التدريسيّة؛ ديانات، طب، تاريخ، شعر، إضافة إلى الدروس المألوفة، في الحوزات الدينية، وتكاد تكون تلك المواد، مما تفرّدت بتدريسها هذه الحوزة.

وتعدّ أكبر حوزة نسويّة بلبنان قاطبة، حتى تضاعفت أعداد طالباتها، على أعداد طلبة الحوزة الرجالية، أضعافا عدّة، لتصل إلى عشرة أضعاف، فقد وصل عدد طالباتها، خلال تسع سنين، إلى (٧٨٠) طالبة. وهناك (٣٥٠) طالبة فعليّة بالحوزة، وعن أسباب هذا العدد الغفير من الطالبات، يقول السيّد علي مكي:

أ ـ إقبال النساء الواسع على الدراسات الدينية.

ب ـ انضباط المرأة بالدراسة.

ج ـ الاهتمام بمشروع تغيير المرأة بالمرأة.

د ـ لأنّ المرأة هي العنصر الأهم، في تربية الجيل، وتنشئة المجتمع، فاقتضت رعاية أكبر.

وتقوم هذه الحوزة بتأمين نقل الطالبات من بيوتهن، التي تقع في قرى عامليّة متعددة إلى الحوزة وبالعكس.

٨ ـ ٩ ـ المعهد الشرعي الجعفري ـ حوزة الشهيد الثاني (١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م) ـ (انصار ـ تفاحتا[1]) ـ جبل عامل:

نقف هنا مع حوزتين نسويّتين، تابعتين لهذا المعهد، الذي يشرف عليه السيّد نسيم عطوي، الذي سبق لنا الوقوف عليه، في الحوزات الرجالية المعاصرة.

ويُعدّ تاريخ تأسيس هاتين الحوزتين متأخرا، عن تأسيس الحوزات الرجالية المتعددة، التي أسسها السيّد نفسه. مما يدلّ على بروز ظاهرة لافتة، في كثرة النساء الراغبات، في الدراسات الحوزوية، فاقتضى تأسيس حوزات عدّة لمواكبة الظاهرة

---

(١) تفاحتا، أو تفّاحته... في ساحل صيدا، من أعمال الشومر. الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ٢٢.

هذه.

عدد طالبات هاتين الحوزتين، ضئيل إذا ما قيس بالحوزات النسوية الأُخرى إذ تحظى حوزة أنصار النسوية بـ (١٢) طالبة، وحوزة تفاحتا النسوية بـ (١٨) طالبة فقط.

وهما لا تختلفان عن مثيلاتهما في إعداد الطالبة المؤهلة للقيام بمهمة التبليغ في الوسط النسوي.

هذه هي الحوزات النسويّة المعاصرة بلبنان، التي اهتدينا إليها عبر السؤال والبحث.

المبحث الثالث: المناهج الدراسية ومدّة التدريس في مدارس وحوزات جبل عامل

«لقد أسهمت المدارس العلمية في جبل عامل اسهاما كبيرا في نشر جو من المعرفة والثقافة المشوبة بصفة دينية واضحة، فالعلوم الأُخرى التي كانت تأخذ بها المدارس كانت وسيلة لغاية، والغاية هي العلوم الدينية التي كانت تقصد غاية أُخرى، وهي الحفاظ على المذهب في وسطهم بين طوائف متعددة غير طائفتهم بعيدين عن زملائهم واخوانهم في المذهب، ولعل هذا الشعور بالحفاظ على المعتقد والدين هو الذي حدا بهم لافتتاح هذه المدارس ونشر المعرفة»[1].

والحوزة العلمية في جبل عامل والمدارس التي انضوت تحت لوائها ما هي إلّا برعم مثمر في تلك الشجرة الطيبة الباسقة في الحلة الفيحاء، والتي هي بدورها الوريث الشرعي لحوزة الكوفة وبغداد والنجف الأشرف في دورها الأول.

ومن الحلة وحوزتها العلمية انتقلت العلوم والمعارف إلى أرض عاملة، وكان رائد

---

(١) مكي، الحركة الفكرية: ٤١.

هذه المسيرة العلمية هو الشهيد الأول محمد بن مكي الجزيني العاملي وذلك في منتصف القرن الثامن الهجري فبعد أن حل في الحلة وقرأ على أكابر علمائها وأصبح من أبرز المدرسين فيها.. عاد إلى أرض عاملة وإلى مسقط رأسه (جزين) تحديدا، حاملاً معه مشروعا علميا متكاملاً في الفقه والأُصول والتفسير والحديث.. وغيرها من كنوز العلم والمعرفة.. ليبدأ مشواره العلمي في نشر التشيع والفقه الشيعي، وتربية العلماء والفضلاء وعلى مستوياتٍ مختلفة.

والذي يتأمل في التراث العلمي للشهيد الأول ومن جاء من بعده من علماء جبل عامل؛ يجد أن هذا التراث ما هو إلّا شرح وتوضيح وتحشية لما كتبه علماء الحلة الأفذاذ كالعلّامة الحلي وفخر المحققين.. وغيرهم من العلماء؛ فنجد من بين كتب الشهيد الأول:

١ ـ شرح التهذيب الجمالي في أصول الفقه شرحا لتهذيب العلّامة الحلي.

٢ ـ جامع البين في فوائد الشرحين، جمع فيه بين شرحي تهذيب الأُصول لأُستاذيه السيّد عميد الدين وأخيه ضياء الدين الأعرجيين.

وخلاصة الأمر، أن المتون الدراسية والمناهج المتعارفة في حوزة الحلة والتي تحدثنا عن خصوصياتها قد انتقلت إلى حوزة جبل عامل ومدارسها العلمية وبمرور الزمن انتقل إليها تراث مدرسة النجف الأشرف فقها وأُصولاً.

وفي السنوات الأخيرة انتقل إليها تراث مدرسة قم العلمي، بواسطة الدارسين فيها. وبهذا أصبحت حوزة جبل عامل مصبّا لنتاج الحوزات العلمية الكبرى.

وأما دروس اللغة وآدابها كالنحو والصرف والبديع والبيان والبلاغة.. فكانت متونها من تأليف علماء هذه الفنون بغض النظر عن انتماءهم المذهبي.

ويحدثنا السيّد الأمين عن العلوم التي كانت تدرّس في مدارس جبل عامل الدينية،

وكتب التدريس ووقت الابتداء وكيفية التدريس وغير ذلك ضمن فصل من فصول كتابه القيّم (خطط جبل عامل) فيقول:

«العلوم وكتب التدريس:

أ مّا العلوم التي كانت تدرّس في مدارس جبل عامل فالنحو والصرف وعلوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، وعلم المنطق، وعلم التوحيد المشتمل على العقائد الخمسة: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، وعلم الكلام بقسميه: الجواهر والأعراض، والإلهيات، وعلم أُصول الفقه، وعلم الفقه، وعلم التفسير، وعلم الحساب وفن الأدب، وغير ذلك».

بعد هذا الاجمال في العلوم التي تدرس يذكر السيّد الأمين أسماء الكتب التي كانت ولا زال الكثير منها يدرس في هذه الحوزات والمدارس الدينية فيقول: «فأول ما يبتدئ به الطالب بعد حفظ القرآن وتعلّم الكتابة هو:

*** علم النحو والصرف والبلاغة:**

فيحفظ متن الأُجرومية في النحو غيبا، ويحفظ اعراب جمله والأمثلة التي يمثّل بها لما ذكر فيه غيبا..».

والذي يبدو أن نسخ الأُجرومية وشروحها لم تكن متوفرة: «فكان المعلّمون يكتبون ذلك خطّا لكل طالب إلى أن وضعنا لـ [الآجرومية شرحا يتضمّن الإعراب للجمل وللأمثلة وطبعناه مرّتين..» وبعضهم كما يقرأ شرح الكفراوي على الآجرومية. وعلى الطالب أن يعيد كلَّ يوم ما حفظه من الدروس.

وبعد الفراغ من حفظ الآجرومية واعرابها يبتدئ بقراءة شرح (قطر الندى وبل الصدى) لابن هشام الأنصاري في النحو. ويراجع حال قراءته له: شرح الفاكهي على

القطر، وشرح شذور الذهب لابن هشام، وغيرهما، وشرح شواهد القطر للسيّد صادق الفحّام وغيره لأجل معرفة اعراب أبيات الشواهد ومعانيها.

ويبتدئ معه ـ أي مع القطر ـ بقراءة شرح سعد الدين التفتازاني على متن عز الدين الزنجاني في صرف الفعل..».

وهكذا يتدرج في دراسة الكتب النحوية وشروحها من خلال الفية ابن مالك وشروحه المتعددة، وكتب التصريف، ثم الكافية في النحو للرضي، والمغني لابن هشام...

وأما العلوم البلاغية فالطالب يدرس المطول في المعاني والبيان، وأما البديع فيكتفي بمطالعته.. وبعضهم المختصر (أي مختصر المعاني للتفتازاني).

*** علم المنطق:**

«ويقرأ.. حاشية ملا عبد اللّه اليزدي على تهذيب المنطق لسعد الدين التفتازاني في علم المنطق، وشرح الشمسية للقطب الشيرازي، وبعضهم يقرأ ـ نادرا ـ شرح المطالع».

*** علم الأُصول والفقه:**

«وإذا فرغ من المطول وشرح الشمسية ابتدأ بأُصول الفقه، فيقرأ فيه معالم الأُصول للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني.

وقبل ذلك العصر كان يقرأ في علم الأُصول تهذيب العلّامة، ويقرأ مع المعالم شيئا من الفقه في كتاب الشرائع ـ للمحقق الحلي ـ متنا بدون استدلال، فإذا فرغ من المعالم، شرع في قراءة القوانين ـ للميرزا القمي ـ وقبل تصنيف القوانين كان يقرأ بعد التهذيب شرح الحاجبي والعضدي، وفي هذا الزمان صار يقرأ بعد المعالم كفاية ملّا

كاظم الخراساني.

ومع القوانين أو الكفاية يقرأ شرح اللمعة في الفقه، وهو استدلال مختصر. فإذا فرغ من القوانين وشرح اللمعة شرع في قراءة رسائل الشيخ مرتضى الأنصاري في الأُصول، وقرأ معها رياض المسائل ومنهم من يقرأ كتاب الشيخ مرتضى في الطهارة وكتابه في الصلاة، وكلاهما فقه استدلالي تام.

فإذا فرغ من ذلك قد يذهب إلى مدرسة النجف الأشرف فيقرأ في علم أُصول الفقه بطريقة الإلقاء الاستدلالي، وكذلك في علم الفقه بطريقة الالقاء الاستدلالي».

*** دروس العقائد والكلام:**

يقول السيّد الأمين: «أ مّا علم التوحيد، فيدرّس فيه للمبتدئين شرح الباب الحادي عشر للعلّامة الحلي وشرحه للمقداد السيوري الحلي الأسدي، ويكون تدريسه مع باقي العلوم حسب مساعدة الفرصة وربما جعل في شهر رمضان.

وأما علم الكلام؛ فيدرس فيه للمنتهين شرح القوشجي على التجريد ـ أي كتاب تجريد العقائد لنصير الدين الطوسي ـ وغيره، ويكون ذلك مع دروس الأُصول والفقه العالية».

*** علم الحساب:**

قال: «أ مّا علم الحساب فيقتصر فيه على تدريس خلاصة الحساب للشيخ البهائي، ويكون ذلك ثانويا مع تدريس باقي العلوم حسب مساعدة الفرصة».

*** علم الرجال:**

والذي يبدو أنه لم يكن ضمن المنهج التدريسي المقرر، وإنما كان يعتمد فيه على مراجعات الطالب للكتب المؤلفة بحسب الحاجة وبما يتسع إليه وقته، فيقول السيّد:

«وأ مّا علم الرجال فلا يدرّس بل يكتفى فيه بمراجعة الكتب المؤلفة فيه؛ كفهرست الطوسي، ورجال النجاشي، ورجال الكشي، وخلاصة العلّامة ومنهج المقال، ونقد الرجال، وغيرها.

*** علم التفسير:**

وهو كسابقه يعتمد على مطالعات الطالب نفسه: «فيكتفى فيه بقراءة الكتب المؤلّفة في آيات الأحكام مثل (كنز العرفان) للمقداد السيوري، و (زبدة البيان) للأردبيلي وغيرها. وهذه يقرأونها مع كتب الأُصول والفقه حسب مساعدة الفرصة، وقد يقرأونها أيام التعطيل في شهر رمضان؛ وقد لا يقرأونها اكتفاء بما ذكر في كتب الفقه الاستدلاليّة فيها. أ مّا باقي تفسير القرآن فلا يدرّس غالبا بل يكتفى بمطالعة كتب التفسير».

* والعلوم الأُخرى تعتمد أيضا على مطالعة الطالب ولهذا يعطف السيّد (علم التاريخ) على علم التفسير فهو لا يدرّس بل يكتفى بمطالعته؛ فيقول: «وكذلك علم التاريخ».

كذلك الأمر في علم الأدب، إذ يقتصرون في الأدب على حفظ الأشعار والمطارحة بها ويسمّونها المنافسة، ويكون ذلك ليلة الجمعة وقت الفراغ، ترويحا للنفس، فينشد أحدهم بيتا، فينشد الآخر بيتا أوّله قافية البيت الأول، وهكذا.

ويأمر الشيخ التلاميذ بحفظ لامية العرب ويفسّرها عملاً بالحديث: «علّموا أولادكم لامية العرب فإنّها تعلّمهم مكارم الأخلاق، ولا تعلموهم مقاطعة آل غسان» ويكون ذلك يوم الجمعة وقت التعطيل»[1].

---

(١) الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ١٦٥ ـ ١٦٦.

مدّة التدريس:

وأما عن الفترة الزمنية التي يستغرقها طالب العلم في تعلم هذه العلوم والمناهج والمتون الدراسية فهي من الأُمور التي لا يمكن ضبطها بدقة، لتدخل الجهد الشخصي للطالب وذكاوه وارتفاع الموانع والعوارض...

إلّا أنّ السيّد الأمين يحدد لبعض ما ذكره من العلوم مدّة زمنية محددة، فيقول: «يستغرق حفظ الآجرومية واعرابها نحو ثلاثة أشهر، وقراءة شرح القطر وشرح التفتازاني نحو نصف سنة، وقراءة شرح ابن الناظم والجاربردي نحو سنة، وقراءة شيء من المغني نحو تسعة أشهر، وقراءة المطول والحاشية وشرح الشمسية نحو سنة، وقراءة المعالم والشرائع نحو نصف سنة، وقراءة القوانين وشرح اللمعة نحو سنة، وقراءة الرسائل وما معها نحو سنة ونصف، وقراءة الفقه الاستدلالي من خمس سنين فما فوق. فهذه نحو اثنتي عشرة سنة ونصف السنّة.

ولا يخفى أنّ ذلك أمر لا يمكن ضبطه بل يتفاوت قلّة وكثرة بحسب الجدّ والاجتهاد والفطنة والذّكاء وقلة الموانع والعوارض وغير ذلك وعدمها»[1].

هذه أهم ملامح المنهج التدريسي ومدة التدريس بقلم علم من أعلامها. وللسيّد الأمين في أعيانه بعض الملاحظات النقدية المهمة على مناهج الحوزة العلمية يمكن ملاحظتها هناك[2].

ونلاحظ في الخطوط العامة لهذا المنهج، والمدة الزمنية التي يستغرقها الطالب في دراستها جملة من الأُمور:

---

(١) الأمين ـ محسن، المرجع نفسه: ١٦٨.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٥ / ٣٢٤ـ٣٢٦.

أولاً: إنَّ هذا المنهج قد استوعب الكثير من كتب النحو والصرف والبلاغة.. واشتمل على الكثير من مطولات مؤلفات النحو كالألفية وشروحها وغيرها.. وهذا يعني أن الطالب يستنفد الكثير من وقته في فهم مطالب هذه الكتب وحل الألغاز فيها، وهي من الكتب التي تشتمل على تعقيد لفظي يعرفها من درسها وعانى من مصاعبها.

ثانيا: إنَّ هذه الكتب النحوية والصرفية والبلاغية من المتون القديمة التي توارثتها الحوزات العلمية والمدارس والمعاهد الدينية عند المسلمين ولم تختص بالحوزات الشيعية، فلم تؤلف كتب جديدة في هذا العلم من قبل علماء جبل عامل سوى ما ذكره من شرح على الآجرومية وشرح على شواهد المغني.

ثالثا: إنَّ المنهج الدراسي لعلم الأُصول والفقه وكذلك المتون التي تدرس لهذين العلمين، هو نفس المنهج الموروث والذي يدرس في الوقت الحاضر في بعض الحوزات المحافظة على النمط القديم من الدراسة، كحوزة النجف الأشرف وما يرتبط بها من حوزات والتي يدرس فيها الشرائع، واللمعة، وشرح التجريد، والحاشية.. فلم تجدد حوزة جبل عامل في هذا المناهج ولم تكن هنالك اضافات علمية سوى ما كتبه الشهيدان في شرح اللمعة، والشيخ حسن في معالم الأُصول.. والتي أخذت موقعها كمتون دراسية مشهورة. وأما غيرها من مؤلفات علماء جبل عامل، فلم تشتهر ولم تأخذ مكانها كمتون دراسية «وربما كانت تضاهي ما اشتهر أو تزيد عنه» كما يقول السيّد الأمين[1].

رابعا: كما أن الفترة لزمنية التي تستغرقها دراسة هذه العلوم قد تبدو قياسية في زماننا هذا حيث يستغرق الطالب وقتا طويلاً في دراستها واستيعاب مطالبها رغم أن

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٦٩.

الكثير من المشاكل التي كان يعاني منها الطالب سابقا قد زالت، وأصبح طالب العلم في وضع معيشي وأمني أفضل.

المبحث الرابع: الأوضاع المالية والمعيشية لطلّاب مدارس جبل عامل

اعتمدت حوزة جبل عامل ومدارسها الدينية على بعض الموارد المالية المتعارفة في تمويل المشاريع ذات الصبغة الدينية كالأوقاف والحقوق الشرعية والتبرعات.

والذي يبدو من خلال تراجم بعض علماء جبل عامل وعبر تاريخها القديم، وكذلك من خلال استعراض تاريخ مدارسها الدينية، أو من خلال ظاهرة الهجرة العلمانية المكثفة، من هذه المنطقة إلى الأقطار الإسلامية، وأيضا طبيعة المنطقة والأحداث السياسية والاقتصادية التي مرّت بها.. من خلال هذه المعطيات وغيرها يتبين للباحث أن هذه المنطقة ـ والتي تعرف بمنطقة جبل عامل ـ لم تكن تتمتع بامكانات مالية كبيرة، وان حالة الفقر والحرمان هي الحالة الطاغية على ابناء المنطقة، مما انعكس سلبا على حركة التعليم فيها.

ويعتبر (عامل الفقر) في الحوزات العلمية ومدارسها من القواسم المشتركة غالبا بين هذه الحوزات «وإن أغلِب العلماء نشأوا في بيئات فقيرة، ولم يعد الفقر مانعا من طلب العلم، فقد تناوله الفقير والغني على حد سواء.. غير أن من الملاحظ أن الفقر وان تغلّب عليه العالم في حياته العلمية فإنه يبقيه عاجزا في مسيرته القيادية. ولم يشذَّ العامليون عن ذلك، فقد عضّ الفقر عليهم فأدمى حياتهم حتى قال الشاعر:

قلب الجنوب من الظما قـد ذابـا والطفلُ فيه مـن الحـوادث شـابا
والفقر حكَّـم فـي جميـع جهاتـه مـن جلـده الأظفـار والأنيابـا

ورغم نبوغ هذه الجموع الغفيرة من العلماء في جبل عامل، وتألق نجمهم في الحياة العلمية، فإن الفقر كاد أن يحاصرهم ويلوي رقابهم ويعيق حركتهم القيادية في

المجتمع»[1].

بعد هذه المقدمة الاجمالية عن الأوضاع المالية والمعيشية لحوزة ومدارس وعلماء جبل عامل، نذكر بعض الموارد المالية الممولة لهذه الحوزات والمدارس وطلّابها:

أولاً: الأوقاف الشرعية:

وهي من الموارد المهمة في النظام المالي الإسلامي، ويمكن من خلال تمويل المشاريع الخيرية والإنسانية والتعليمية بما فيها الحوزات والمدارس الدينية وطلّاب العلم، وقد مرَّ بنا الاشارة إلى هذا المورد عند الحديث عن بعض الحوزات العلمية، حيث كان الجزء الأكبر من تمويلها يتم من خلال هذا المصدر المالي المهم.

إلّا أن حوزات ومدارس جبل عامل لم تكن تنعم من هذا المورد لقلة الأوقاف الجارية عليها أو انعدامها، بخلاف الحوزات والمدارس العلمية في إيران.

ولهذا نجد السيّد محسن الأمين يشير إلى هذه الظاهرة السلبية في جبل عامل، والتي أدت إلى تعطيل الكثير من المدراس الدينية والحوزات فيها، وحملت الكثير من العلماء على أن ييمّم وجهه شطر البلدان والأقطار الأُخرى.

يقول السيّد الأمين عن مدارس جبل عامل: «أُنشأت في جبل عامل من عهد قديم عدّة مدارس.. وخرج من هذه المدارس الجمّ الغفير من فحول العلماء.. وكانت هذه المداس قلّما تخلو في عصر من التدريس لتعاقب وجود العلماء الأعاظم فيها. مع أ نّه ليس لها أوقاف كما هو الحال في سوريا وإيران والهند ومصر والعراق والمغرب، وغيرها من بلاد الإسلام؛ فإنّ جلَّ المدارس فيها لها أوقاف تقوم بمؤونة الطلبة، وتوجب رغبة الناس في طلب العلم، أ مّا مدارس جبل عامل فخالية من ذلك إلّا نادرا..».

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ٢٤.

ويقول عن مدرسة شقراء، والتي انشأها جدّه السيّد أبو الحسن موسى الأمين أواخر القرن الثاني عشر: «.. ووقف لها أرضا وزيتونا في وادي الحجير لا يزال باقيا إلى اليوم، ولا تنتفع منه المدرسة بتعمير، وفرنا في صور بيعا في هذا الزمان، وهي أول مدرسة لها أوقاف في جبل عامل فيما نعلم»[1].

وعن مدرسة النباطيّة التحتا يقول السيّد الأمين: انشأها العالم السيّد حسن الحبّوشي وبناها له الحاج حيدر جابر.. وانتفع بها الطلّاب، وكان عمرها بعمر منشئها ـ كأكثر مدارس جبل عامل ـ فأفل نجمها بوفاته، واستشرفت على الخراب..»[2].

ويقول عن مدرسة بنت جبيل بعد وفاة مؤسسها الشيخ موسى شرارة (ت ١٣٠٤ هـ): «وفي شعبان توفي الشيخ موسى.. وتفرقت الطلبة أيدي سبأ، وذهب كل منهم إلى بلده على العادة المتبعة في جبل عامل، ان عمر المدرسة ينتهي بعمر صاحبها، وربما ماتت في حياته..»[3].

نعم هكذا كان مصير مدارس جبل عامل، تحيى بحياة مؤسسها، وينحل نظامها بعد وفاته، فيستولي عليها الخراب فتتحول إلى طلول دوارس، أو أثر بعد عين، والسبب في ذلك يعود إلى عدم وجود أوقاف ثابتة يصرف ريعها في ادامة وتعمير هذه المدارس وتغطية نفقات القائمين على رعايتها أو تأمين معيشة الطلّاب الذين يدرسون فيها.

ثانيا: الحقوق الشرعية:

وهي من الموارد المالية المهمة وتغطي نفقات الكثير من المشاريع الدينية والاجتماعية والعلمية كبناء المساجد والمدارس ودور العلم ومعاهد التدريس،

(١) الأمين، خطط جبل عامل: ١٦١ ـ ١٦٢.

(٢) المرجع نفسه: ١٦٣.

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٥ / ٣١٤.

ونفقات الطلّاب والمدرسين والقائمين على شؤون التعليم.

وقد قامت المدارس العلمية والحوزات ودور العلم عند الشيعة الإمامية في بغداد والحلة وغيرهما، على هذا المورد المالي من دون أن تحتاج إلى أموال الدولة الحاكمة.

ولم تشذ حوزة جبل عامل عن هذه الطريقة الشرعية في تغطية نفقات التعليم من خلال الزكوات والأخماس وغيرها من الموارد المالية. والذي يبدو أيضا أن هذه الموارد المالية كانت ضئيلة جدا ولا تسد حاجة طلّاب العلم والمدارس الدينية وشؤونها، وذلك لفقر المنطقة وأهلها، أو انعدام التوجيه الديني اللازم في تربية أبناء الطائفة على الانفاق في سبيل التعليم وشؤونه.

ومن الشواهد على ذلك ما ينقله السيّد الأمين في الخطط وهو يتحدث عن مدرسة شقراء في جبل عامل فيقول: «وبقيت عامرة مدّة حياته ـ أي حياة مؤسس المدرسة ـ وبعد موته خمد ضوؤها، ثم أعاد لها رونقها حفيده، جدّنا الفقيه العلّامة السيّد علي الأمين، فبقيت مدّة حافلة بالطلّاب، وكان يكتب لهم ـ أي للطلبة ـ إلى القرى المجاورة بإعطائهم من الزكوات، فبلغه يوما أنّ بعض أهلها قال: نريد أن نكفي خيّالة حمد البك، وطلبة السيّد علي الأمين، فأنف من ذلك ولم يكتب للطلبة بعدها بأخذ الزكوات، وقال لهم: من قدر على كفاية نفسه فليبق، وإلّا فليذهب حيث شاء، فتفرّق جملة منهم، وبقي البعض، فضعف أمر الدرس..»[1].

وخلاصة الأمر، إن هذه الموارد المالية (الزكوات والأخماس..) كانت تغطي نفقات التعليم جزئيا ولم تكن تفي بكافة نفقاته، باستثناء عصر الشهيد الأول الذي مرَّ بنا في ترجمته انه حكم بدفع الأخماس إلى الفقيه الجامع لشرائط الفتوى «نائب

---

(١) الأمين ـ محسن، الخطط: ١٦٢.

الإمام» أو إلى وَكيله، وانه نشر وكلاء له، وإن هؤلاء الوكلاء كانوا يجبون الأخماس، بحكم وكالتهم ليسدّدوها إليه..»[1] ليقوم بصرفها على مستحقيها ومنهم طلّاب العلم والمعاهد والمدارس الدينية.

ثالثا: تبرعات المحسنين:

ويحدثنا تاريخ جبل عامل عن الكثير من المحسنين الاتقياء الصلحاء ممن جادوا بأموالهم على المشاريع العلمية، وقاموا بتشييد المدارس والمساجد والمعاهد الدينية، وعلى نفقاتهم الخاصة، وبسخاء وأريحية قل نظيرها.

ومما ينقل تاريخيا عن حياة الشهيد الثاني زين الدين العاملي، انه كان كثير السفر، وكانت أسفاره تعليمية؛ فسافر إلى مصر والحجاز وبيت المقدس.. وغيرها، ومما لا شك فيه أن هذه السفرات تحتاج إلى نفقات مالية كثيرة، فلابد من وجود من يمول الشهيد ويغطي نفقات أسفاره؛ ويحدثنا التاريخ عن أحد الممولين الشيعة الذين أمدّوا الشهيد بالأموال في أسفاره وفي مختلف مراحل دراسته الأُخرى وهو الحاج شمس الدين محمد بن هلال؛ يقول ابن العودي عن سفر الشهيد إلى مصر: «كان القائم بامداده وتجهيزه بهذا السفر الحاج المحترم الصالح شمس الدين محمد بن هلال﵀ عمل معه عملاً قصد به وجه اللّه، وقام بكلّ ما يحتاج إليه مضافا إلى ما أسدى إليه من المعروف، وأَجرى عليه من الخيرات في مدّة طلبه للعلم قبل سفره هذا..».

إلّا أنّ هذا الرجل الصالح ذهب ضحية الارهاب المذهبي، وطالته حوادث العنف التي طالت بعض رجال الشيعة في بلاد الشام «وأصبح هذا الحاج «محمد» مقتولاً في بيته هو وزوجته وولدان له أحدهما رضيع في السرير سنة اثنتين وخمسين

---

(١) أُنظر، المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ٧٠.

وتسعمائة..»[1].

وينقل السيّد الأمين في سيرته من الأعيان: «سافر والدي إلى العراق بقصد زيارة قبور الأئمةعليهم السلام في العراق وزيارة الرضاعليه السلام في خراسان، ولما وصل إلى العراق أشار عليه ابن عمه العلّامة الحافظ السيّد كاظم ابن السيّد أحمد، بدفع ما يريد صرفه في زيارة الرضاعليه السلام إلى أولاد أخيه المشغولين بطلب العلم في النجف، وقال له: إن صرف ذلك عليهم مع اشتغالهم بطلب العلم أفضل من صرفه في سبيل الزيارة، ففعل وعاد من العراق ولم يذهب إلى خراسان..»[2].

ولأهل الخير والمحسنين دور كبير في تشييد المدارس والصروح العلمية والتي لا زالت قائمة في قرى ومدن جبل عامل، وقائمة أسماء أُولئك الخيرين طويلة، ولسان حال بعض العلماء يقول:

يجـود علينـا الخيـرون بمـالهم ... ونحـن بمـال الخيـرين نجـود

ومن الأسماء التي يذكرها بعض المؤرخين برز اسم الحاج حيدر جابر من آل صفا الذي كان تقيا صالحا ثريا سخي الكف على المشاريع الخيرية جدّد بناء الجامع الكبير في النبطية في سنة (١٣٠٥ هـ)، وقد أشرف على الخراب فشيده على نفقته وبذل في ذلك أموالاً طائلة.. وتبرع الحاج حيدر جابر بقطعة أرض فسيحة وأوقفها على بناء مدرسة لنشر العلم ودرس الشريعة الإسلامية وبني فيها عدّة غرف على نفقته، وعرفت هذه المدرسة بالمدرسة الحميدية التي أسسها في النبطية السيّد حسن يوسف الحسيني وازدهرت بعلومها وطلّابها طيلة أربعة عشر عاما، إلى أن توفي السيّد

---

(١) الخوانساري ـ الميرزا محمد باقر، روضات الجنات: ٣ / ٣٥٥، دار احياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠ م، والقزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٥ / ٣١٢.

حسن سنة (١٣٢٤ هـ) فأغلقت المدرسة أبوابها وتفرق طلّابها[1].

وكانت ولا زالت الهجرة العاملية إلى خارج البلد مصدر رزق لابناء البلد، إذ أصبح عدد غير قليل من أُولئك المهاجرين من كبار الأغنياء ومن أصحاب الثروات النقدية والعقارية، وساهموا في تأسيس وانشاء وبناء الكثير من المدارس العلمية والمعاهد والمبرات وغيرها.

«واكبر مشروع خيري ساهموا به هو انشاء بناء (الكلية العاملية) في بيروت محلة «راس النبع» وما يتبعها من عقارات، بمساعي ذلك الرجل العصامي والمصلح الغيور رشيد بيضون، الذي نذر حياته وكرّس اوقاته في سبيل ابراز هذا المشروع إلى حيّز الوجود..»[2].

رابعا: النفقات الخاصة:

كان الكثير من العلماء وطلّاب العلم يمررون أُمور معاشهم اعتمادا على امكاناتهم الذاتية ونفقاتهم الخاصة وما يصلهم من أهلهم من نفقات مالية، فهذا الشهيد الثاني زين الدين العاملي﵀ على جلالة قدره وعلو مكانته، لم يكن يأنف بأن «يقوم بالنظر في أحوال معيشته على أحسن نظام.. فكان ينقل الحطب على حمار في الليل لعياله، ويصلي الصبح في المسجد ويشتغل بالتدريس بقيّة نهاره.. وكان يتعاطى جميع مهماته بقلبه وبدنه.. فيقوم بأحوال الأهل والعيال، ونظام المعيشة وأسبابها من غير وكيل، ولا مساعد يقوم بها، حتى أنه ما كان يعجبه تدبير أحد في أُموره..»[3].

---

(١) آل صفا، تاريخ جبل عامل: ٢٥١ ـ ٢٥٣ المتن والهامش.

(٢) المرجع نفسه: ٣٠٣.

(٣) الخوانساري، روضات الجنات: ٣ / ٣٦٠ ـ ٣٦٢ نقلاً عن ابن العودي في رسالته عن الشهيد الثاني.

ويقول السيّد الأمين في ترجمة الشيخ عبد اللّه نعمة (ت ١٣٠٣ هـ): «المقدار الذي يسعه ماعون جبل عامل قد امتلأ من معرفة فضل الشيخ وجلالة شأنه، وجبل عامل بلاد الزهد والقناعة والتقشف للعلماء، وإذا نظرنا إلى أن المحقق الشيخ علي بن عبد العالي الميسي وتلميذه الشهيد الثاني كانا ينقلان الحطب ليلاً على حمار لهما ولتلاميذهما، وان الشهيد الثاني كان يحرس الكرم ويشتغل بالتجارة.. ويذهب مع جمّالة أهل جبل عامل كأحدهم إلى الأماكن البعيدة لبيع سلعته، وإن الشيخ محمد علي عز الدين الفقيه المجاهد المعروف يقضي جملة من وقته على البيدر وينظر في أمر الزراعة والفلاحة ويتجر، إلى غير ذلك مما لا يمكن احصاؤه.

ونظرنا إلى أن المجلسي كانت جواريه التي في المطبخ تلبس شالات الترم التي تساوي مئات التوامين، وعلماء إيران والهند وغيرهم لهم الخدم والحشم ويسكنون القصور وفسيح الدور، علمنا أن الشيخ عبد اللّه نعمة لم يكن مجهولاً في جبل عامل، وان ماعون جبل عامل قد امتلأ بمعرفة علمه وفضله وجلالة قدره»[١].

وفي قصة طريفة للسيّد الأمين مع (البيكباشي التركي) الذي كان في صيدا، وكان شديد التعصب على طلبة العلم، والذي كتب إلى بيروت بأن السيّد محسن ومن معه ليسوا طلبة علم، وأنهم زراعون صَنعَتهم الحرث والحصاد، وأرسل معهم دركيا كالذين يساقون إلى الخدمة العسكرية، يقول السيّد الأمين: دخلنا على «ميرالاي» فقال لي: أنتم طلبة؟ فقلت: نعم، قال: ومن أين تعيشون؟ قلت: إن اللّه تعالى رازق جميع العباد، متكفل برزقنا، ومع ذلك لنا أهل ينفقون علينا..»[٢].

ويتحدث السيّد الأمين عن حالة عزة النفس التي كان يتحلى بها طلّاب العلوم

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ٨ / ٦١.

(٢) المصدر نفسه: ١٥ / ٣١٧.

الدينية في جبل عامل رغم حالة الفقر والحرمان الذي كان الكثير منهم يعاني منها، فيقول: «اتفق موت أحد الوجهاء ـ في بنت جبيل ـ فعمل أهله طعاما ودعوا الشيخ ـ موسى شرارة ـ ووجوه تلاميذه، فاتفق أن سمع بعض التلاميذ كلمة استخفاف بهم من أحد الجالسين في سوق البلدة الصغير تعود إلى ذهابهم للولائم، فامتنعوا من الحضور وغابوا عن الأبصار، وافتقدهم الشيخ ـ شرارة ـ وأبى تناول الطعام حتى يحضروا، ففتش عليهم أصحاب الدعوة فلم يجدوهم، وما زالوا يفتشون عليهم حتى وجدوهم وتوسلوا إليهم في الحضور واعتذروا، فأبوا أن يحضروا فما زالوا بهم حتى حضروا»[1].

هذه أهم المصادر المالية الممولة للحوزة العلمية ومدارس جبل عامل قديما، وقد يبدو أن الأُمور قد تغيّرت نحو التحسن فلم تعد المنطقة العاملية تشكو كثيرا من قلة الموارد المالية، فهنا الكثير من المدارس والحوزات العلمية الحديثة قد تأسست في السنوات الأخيرة وبامكانات مالية كبيرة، جاد بها كبار تجار الشيعة من المغتربين وغيرهم من أبناء المنطقة.

كما أن حوزة جبل عامل وعلمائها قد انفتحوا على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وحوزة قم العلمية فتأسست مدارس ومعاهد كثيرة بمساعدة ومباركة الجمهورية الإسلامية، وبمشاركة علماء ومراجع حوزة مدينة قم وبواسطة منظمة المدارس والحوزات العلمية سابقا، وجامعة المصطفى العالمية لاحقا.

كذلك نجد في الفترة الأخيرة انفتاح حوزة جبل عامل ـ وبشكل محدود ـ على حوزة النجف الأشرف والمرجعية العليا فيها، وهو أمر له مردوداته الايجابية على الواقع المالي لحوزة جبل عامل ومدارسها الدينية.

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ١٥ / ٣١٠.

الفصل الرابع: من معطيات الحوزة العلمية في جبل عامل

لقد كان لحوزة جبل عامل ومدارسها العلمية معطيات علمية وحضارية كثيرة. وساهم علماؤها في رفد الحركة العلمية مساهمة مؤثرة وفاعلة، وشاركوا في كثير من العلوم والمعارف الإسلامية مشاركة ملموسة تركت بصماتها وآثارها على كثير من التراث العلمي والتربوي في الحوزات اللاحقة لها.

وفيما يلي بعض هذه المعطيات:

المبحث الأول: من معطيات الهجرة العاملية إلى إيران

لقد تحدثنا في ثنايا بحثنا عن هذه الحوزة عن الهجرة العاملية إلى بعض الأقطار الإسلامية، وبينا أسبابها الموضوعية، وأشرنا إلى أن أوسع هجرة لعلماء جبل عامل كانت إلى إيران، حيث انتشروا في مدنها وقراها، وخاصة مدنها الكبرى كإصفهان وخراسان ويزد وقزوين.. وكانت لهجرتهم هذه معطيات كثيرة يمكن تلخيصها بما يلي:

١ ـ المساهمة في تصعيد الحركة العلمية مساهمة فعالة[(١)]:

حيث شاركوا في احياء النهضة العلمية، من خلال مؤلفاتهم الفقهية والأُصولية والحديثية والتي رفدت علماء الإسلام بغرر الأفكار الفقهية والأُصولية والحديثية، بل إنَّ بعض هذه الكتب الفقهية قد سبقت هجرة علماء جبل عامل إلى إيران ككتاب (اللمعة الدمشقية) الذي كتبه الشهيد الأول لحاكم خراسان (ابن المؤيد) حيث تعذر

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٢٤.

على الشهيد السفر إلى إيران.

كذلك نجد بوادر أول رسالة علمية فقهية تظهر على يد الشيخ البهائي تحت عنوان (جامع عباسى) بالاضافة إلى موسوعة الحديث (تفصيل وسائل الشيعة) للحر العاملي.. وغيرها الكثير والذي مرَّ بنا في ثنايا البحث.

٢ ـ ترشيد الحركة الفكرية في الدولة الصفوية:

لم يقتصر دور فقهاء جبل عامل في إيران في ظل الدولة الصفوية على الجانب الفقهي والذي ساهموا فيه مساهمة فاعلة، بل إن مساهمتهم أخذت مدى أبعد من ذلك من خلال ترشيد وتوجيه الحركة الفكرية التي ابتنيت عليها الدولة الصفوية الشيعية «فالصفويون ـ كما نعلم ـ كانوا صوفية؛ فلو لم يعتدل خط الصوفية الدروشي بسيرة فقهية عميقة من قبل فقهاء جبل عامل، ولو لم تتأسس على أيديهم حوزة فقهية عميقة في إيران، لكان خط الصفوية ينتهي إلى ما انتهى إليه بعض المذاهب والفرق كما في الشام أو تركية»[١].

فكان لفقهاء جبل عامل الدور الكبير في حفظ الخط الصحيح والأصيل للتشيع، والحيلولة دون انحرافه، فحاولوا تخليصه من النزعة الصوفية، واضفاء طابع الفقه عليه شيئا فشيئا.

ويعتقد بعض الباحثين[٢] بأن أول من تنبه إلى هذه الملاحظة هو السيّد حسن الصدر في رده على صاحب رياض العلماء الشيخ عبد اللّه أفندي الذي قال في ترجمة الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي ما نصه: «.. وكان له رحمه الله ميل إلى

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٢٤ عن الشهيد مرتضى مطهري في كتابه الإسلام وإيران: ٣ / ١٠١.

(٢) المرجع نفسه: ١٢٤.

التصوف ورغبة في مدح مشايخ الصوفية ونقل كلماتهم كما هو ديدن ولده أيضا، وكأنه أخذه من أُستاذه الشهيد الثاني، ولكن زاد في الطنبور نغمة..»[1].

فيقول السيّد الصدر: «أقول: اني كنت أجل المولى عبد اللّه عن مثل هذه الكلمات في حق كبار علماء الطائفة ونواميس الدين، حتى رأيته يرميهم بهذه العظائم ويضرب لهم الأمثال القبيحة، ما هكذا تورد يا سعد الإبل».

ثمّ يقول: ونحن على تأخرنا عن عصر الصفوية عرفنا ان هؤلاء المشايخ (رضي اللّه تعالى عنهم)، إنما تمكنوا من نشر الأحكام الشرعية وقادوا الدولة الصفوية التي] كان شعار سلطنتها التصوف إلى التشرع والأخذ بالشريعة والتقليد، ومرنوهم على التعبد بالأحكام بعد ما كانوا كلهم ـ هم ووزراؤهم وأهل دعوتهم وجندهم ـ صوفية لا يعرفون إلّا الطريقة والحقيقة، فجاءهم الشيخ حسين والبهائي وأمثالهم بالتي هي أحسن بالحكمة والمماشاة والحضور في مجالس ذكرهم حتى أنسوا بهم، فصاروا يلقون في اذهانهم حسن الشريعة وأحكامها، وأنها تعين على الطريقة والحقيقة، وصاروا لا يذكرون أحدا من الصوفية بسوءٍ، بل يثنون عليه حتى جروهم إلى العمل بالسنن والأحكام أولاً فأول، حتى عادت دولة متشرعة مربية للفقهاء والمحدثين، ومروجة لطريقة أهل البيت عليهم السلام[2].

٣ ـ المساهمة في إدارة شؤون الدولة الصفوية:

لقد كان للعلماء المهاجرين من جبل عامل إلى إيران دور كبير في سياسة الدولة الصفوية، وتصدى الكثير منهم لمنصب مشيخة الإسلام والتي تعني قاضي القضاة،

---

(١) أفندي ـ عبد اللّه، رياض العلماء: ٢ / ١١٤.

(٢) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ١٨٢ ـ ١٨٣.

أي أن منصب القضاء ـ وهو منصب رفيع وله أهميته وخطورته ـ كان بيد أُولئك الفقهاء، فكانت الأُمور تسير بارادتهم وتنقاد الأُمة لأوامرهم.

ولقد استثمر علماء جبل عامل منصب (مشيخة الإسلام) وقاضي القضاة والسلطة والنفوذ التي اكتسبوها من هذا المنصب.. من أجل الإسلام واعلاء كلمة الحق ونشر الأحكام الشرعية واقامة الحدود، وردع الشقاة والظلمة والمتجاوزين.. ففتح اللّه على أيديهم الفتوحات الكبيرة؛ على مستوى تنظيم أُمور المسلمين واعلاء كلمتهم، وهذا ما نجده جليا في أبرز مشيخة الإسلام وأوسعهم نفوذا كالمحقق الكركي والشيخ حسين بن عبد الصمد، وولده بهاء الدين، وغيرهم ممن تولوا مشيخة الإسلام في الدولة الصفوية.

٤ ـ ترسيخ مبدأ ولاية الفقيه في الحكم:

ومبدأ ولاية الفقيه من المبادئ التي يبتني عليها شكل الحكومية الإسلامية، وتعني فيما تعنيه: التدبير والسلطان والقدرة والتمكين من إدارة أُمور المسلمين، وقيام الفقيه الجامع للشرائط بالمهام الموكلة إلى الإمام المعصوم عليه السلام باعتباره نائبا عنه في عصر غيبته. ولا يقتصر دوره في حدود الفتوى والولاية على أُمور القاصرين وبعض القضايا الجزئية كما يرى البعض، وإنما هي ولاية واسعة تشمل كل مهام الإمام، عدا ما اختص به من أُمور كإمام معصوم.

وقد نظر فقهاء الشيعة لمبدأ ولاية الفقيه في كتبهم وتناولوها بالبحث من خلال أدلة العقل والنقل المثبتة لها، ولعل الشيخ أحمد النراقي (ت ١٢٤٤ هـ) من أوائل من بحثها تحت عنوان (ولاية الفقيه) في كتابه (عوائد الأيام)، «وكانت تذكر قبله مجردة،

أي دون اضافتها للفقيه»[1].

وقد نظر لولاية الفقيه مجموعة من فقهائنا المتأخرين على رأسهم السيّد الإمام الخميني ﷺ والذي وفقه اللّه تعالى لتطبيق هذا المبدأ على أرض الواقع من خلال نهضته المباركة في وجه الجبروت والطغيان، واقامة الجمهورية الإسلامية في إيران.

ولسنا في مورد مناقشة مبدأ ولاية الفقيه وايراد الأدلة عليها أو نقضها، فلهذا الأمر مجاله من البحث في محله المناسب.

والذي نريد أن نشير إليه أن (لولاية الفقيه) جذورا علمية عملية في حوزة جبل عامل سبقت تنظيرات النراقي بقرون من الزمن، وتمتد إلى القرن الثامن الهجري، حيث حمل لواء هذا المبدأ الشهيد الأول محمد بن مكي (ت ٧٨٦ هـ) والذي كان له امتداد في وسط الأُمة من خلال وكلائه، والذي رجحنا أن يكون هذا الامتداد والتأثير في وسط الأُمة هو السبب الرئيسي في استشهاده.

وقد عمل بعض فقهاء جبل عامل بعد الشهيد الأول بمبدأ ولاية الفقيه، وكانت الفرصة مؤاتية لتطبيق هذا المبدأ على أرض الواقع من خلال الدولة الصفوية الشيعية.

ولعل من أوائل أُولئك الفقهاء الشيخ علي الكركي (ت ٩٤٠ هـ) والذي جعل من ولاية الفقيه أمرا مسلما عند حكام الدولة الصفوية، وإن مقاليد الأُمور والسلطة بيد الفقيه الجامع للشرائط باعتباره نائبا للإمام عليه السلام. كما هو واضح في الفرمان الصادر من الشاه الصفوي والذي مرَّ بنا سابقا.

وكان من مظاهر ترسيخ ولاية الفقيه في ظل الدولة الصفوية:

أولاً: اقامة صلاة الجمعة، والتي لها دلالات سياسية واضحة إلى جانب كونها عبادة

---

(١) الكاظمي ـ فيصل، الحوزات الشيعية المعاصرة: ٣٥١.

شرعية، ولا يقوم بأمر صلاة الجمعة إلّا الإمام أو من ينوب عنه، وهو الفقيه الجامع للشرائط باعتباره نائبا عن الإمام. فكان أغلب علماء مشيخة الإسلام العامليين يقيمون هذه الصلاة ويدعون للحضور إليها كفرض عين على كل مكلف جامع لشرائط التكليف الشرعي.

ثانيا: تعيين الوكلاء والممثلين الشرعيين، والقضاة المحليين، وارسال الجباة والمبلغين وولاية الأوقاف العامة.. وغيرها من الأُمور الحسبية التي يقوم بمهامها الفقيه الجامع فينقل أنَّ المحقق الكركي: «أمر بأن يُفرد في كل بلد وقرية اماما يصلي بالناس ويعلمهم شرائع الدين»[1].

ثالثا: توجيه الحياة العقلية للمجتمع الإيراني:

وهذا ما قام به المحقق الكركي من خلال توجيه النشاط الديني في إيران كلها، فأصبح مرجع العلماء فيها، وهذا ما تنبه إليه أحد الباحثين في شأن الدولة الصفوية إذ أرجع سبب عودة المحقق الكركي إلى العراق في الأيام الأخيرة من حكم الشاه إسماعيل الصفوي، إلى «خشية الشاه إسماعيل من امتداد نفوذ رجل استطاع أن يوجّه الحياة العقلية لشعب بأكمله، خاصة واننا نعرف أفكاره في «ولاية الفقيه» وهي أفكار الشهيد الأول من قبل، بالاضافة إلى ما دخل عليها من تطوير..»[2].

٥ ـ رعاية المؤسسة الدينية الشيعية:

وتتمثل المؤسسة الدينية عند الشيعة الإمامية في حوزتها العلمية، ومدارسها الدينية، ورعاية أُمور طلبتها وأساتذتها، ورفدها بمستلزماتها المالية.. وهذه المهمة تقع

---

(١) المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ١٢٤.

(٢) المرجع نفسه: ١٢٤ ـ ١٢٥.

ضمن مسؤوليات الفقيه المرجع، بل إنها من أولى أوليات مسؤولياته الكبرى، وقد تجلى هذا الأمر بوضوح في حركة المحقق الكركي في ظل الدولة الصفوية، «إذ كان يشرف بنفسه على رعاية المؤسسة الدينية الشيعية، متنقلاً من بلد إلى آخر.. وكان يقوم بنفسه بتدريس كبار رجال الدولة،.. ويقال إنه كان ينفق سبعين ألف دينار شرعي سنويا على الطلبة، وهذا مبلغ هائل جدا في تلك الأيام، يدل على أن الشيخ كان على درجة عالية من التمكن والاستقلال في موارده المالية، كما يدل على اهتمامه البالغ بتخريج أكبر عدد من الفقهاء، وهو أمر مفهوم جدا، بالقياس إلى ما عرفناه من ندرة الفقهاء الشيعة في إيران حتى ذلك الحين، كما يذكرنا.. بالشهيد الأول ونهجه في جبل عامل»[1].

المبحث الثاني: التراث العلمي لعلماء جبل عامل

لم يكن الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى سنة (١١٠٤ هـ) مبالغا عندما يصف علماء جبل عامل بقوله: «ولا يكاد يوجد من أهل بلاد أُخرى من علماء الإمامية أكثر منهم، ولا أحسن تأليفا وتصنيفا.. وإن عدد علمائهم يقارب خمس عدد علماء المتأخرين، وكذا مؤلفاتهم بالنسبة إلى مؤلفات الباقين..»[2].

فإن كتب الفهارس والتراجم تشهد بصحة هذه المقولة؛ وعدم مجانبتها للواقع، فجبل عامل منبع العلماء والفضلاء والأُدباء والشعراء، وان مؤلفاتهم وتراثهم العلمي والأدبي والفكري والثقافي في مقدمة تراث الشيعة.

لقد خلفت لنا مدرسة جبل عامل ثروة فكرية وتراثا علميا ضخما وصلنا الكثير منه،

---

(١) المهاجر ـ جعفر، الهجرة العاملية: ١٢٤ نقلاً عن أعيان الشيعة للأمين.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٥.

وتلف منه الكثير خلال المحن والخطوب والكوارث التي حلت بهذه البلاد وخاصة في عصر (الجزار).

يقول السيّد الأمين: «كان جبل عامل من القرن السادس أو قبله إلى اليوم، أي في مدّة سبعة قرون ونصف أو أكثر من ذلك، عامرا بالعلم آهلاً بالعلماء، لذلك كانت مكتباته مملوءة بالكتب القيّمة ونفائس المخطوطات من مؤلفات علمائه وغيرهم.. إلّا أنّ توالي الفتن والحروب فيه ذهب بأكثر كتبه ونفائس مخطوطاته، وذهب كثير من مؤلفات علمائه التي لم تشتهر، وربما كانت تضاهي ما اشتهر، أو تزيد عنه أو تنقص، مع كونها من جيّد التصنيف، وأعظم حادثة أتلفت معظم كتب جبل عامل هي حادثة (الجزار) فقد نقلت منها الأحمال الكثيرة إلى عكا على ظهور الجمال وغيرها أياما عديدة، ومعظمها كان من كتب أجدادنا في شقراء، وكتب آل سليمان في مزرعة مُشرف، وآل خاتون في جويّا، وكان بين هذه الكتب كثير من كتب الأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام النفيسة الخطّ على ورق الترم، بجداول الذّهب، وكان يكفي سببا لإتلاف هذه الكتب كونها مختصة بالشيعة، بل كونها من كتبهم، وإن لم تختص بهم، فأوقدت بها الأفران في عكا..»[1].

ثمّ ينقل سيّد الأعيان الأمين مشاهداته لبعض نفائس المخطوطات، وما جرى للبعض الآخر من المخطوطات من الخطوب فيقول: «ورأيت مرة عند بعض الناس أوراقا من «مناسك الحج» للشيخ حسن صاحب المعالم، وقد اسودّت من الدّخان وتراكم عليها ذرق الدجاج لكنها بقيت سالمة لمتانة ورقها، وفيها أ نّه بدأ بأعمال المدينة المنوّرة قبل مكة المكرمة بعكس المتعارف، لأ نّه زار المدينة أوّلاً، ممّا دلّ

(١) الأمين ـ محسن، الخطط: ١١٩.

على أنّه صنّفه في طريق الحجّ، وفيه أبحاث وفوائد من الأخبار تخالف المشهور»[1].

ثمّ يعدد السيّد الأمين المكتبات المعروفة في عصره في جبل عامل، وما تحوي هذه المكتبات من نفائس المخطوطات ونوادرها والمصير الذي آلت إليه هذه المكتبات ومحتوياتها من النهب والسرقة والاتلاف؛ وأهونها تقاسم الورثة وبيعها بثمن بخس، ومن هذه المكتبات المنهوبة المنكوبة مكتبتان احداهما للشيخ موسى شرارة في بنت جبيل، «وتلفت كتبها، وممّا نهب منها منظومتا الأُصول والمواريث بخطّه» والثانية مكتبة السيّد عبد الحسين شرف الدين في صور..»[2].

ومهما يكن من أمر فرغم كل هذه الخطوب والحوادث المؤسفة فإن ما وصلنا من تراث علماء جبل عامل يشكل ثروة علمية كبيرة، شملت أغلب المعارف والعلوم والفنون العلمية، كالفقه والأُصول والحديث وعلومه وتفسير القرآن وعلومه، وعلم التراجم والسير والرجال، وغير ذلك من مناحي العلم وفنونه؛ والتي يعتبر الكثير منها من المصادر الأساسية والكتب المرجعية للباحثين والأساتذة وطلبة العلم، بل أن بعض منها لا يستغني عنها أي مجتهد وهو يمارس عملية استنباط الحكم الشرعي، ولا تخلو منها مكتبة من مكتبات الفقهاء ككتاب «تفصيل وسائل الشيعة إلى حكم الشريعة» للشيخ الحر العاملي، وكذلك الموسوعة الفقهية للسيّد جواد العاملي الموسومة بـ«مفتاح الكرامة» وكتب مرجعية أُخرى.

ولقد مرّ بنا في ثنايا تراجم بعض علماء جبل عامل الاشارة إلى بعض مؤلفاتهم، ولا يسع مجال البحث لاستقصاء عدد المؤلفات والآثار المنسوبة إلى علماء جبل عامل،

---

(١) الأمين ـ محسن، الخطط: ١٧٠، وللتوسع أُنظر: علي مروّة، تاريخ جباع: ٣١ ـ ٣٢، وآل صفا، تاريخ جبل عامل: ١٧ وما بعدها.

(٢) المرجع نفسه: ١٧١ ـ ١٧٢.

بل لا يمكننا ذلك لتعذره بالنسبة إلى بلدة واحدة من بلدان جبل عامل كبلدة «جباع» التي خلف علماؤها ثروة فكرية ضخمة «وقد تعدت الخمسمائة كتاب، صنّفت وأُلفت كلها في جباع»[1].

وفيما يلي إشارة مختصرة لأهم المصنّفات العاملية في أهم ميادين العلوم الإسلامية:

أولاً: مؤلفاتهم في علم الفقه:

لقد مرَّت المسيرة العلمية التكاملية لعلم الفقه ـ قبل مدرسة جبل عامل ـ بأدوار تكاملية متعددة، اجتازت فيها مراحل من التطور والرّقي حتى وصلت إلى مرحلة عالية من التكامل في مدرسة الحلة العلمية وعلى أيدي جهابذة فقهائها من أمثال ابن إدريس والمحقق والعلّامة وولده فخر المحققين الحليان وغيرهم من فقهاء الحلة الفيحاء.

وتعتبر مدرسة جبل عامل الامتداد الطبيعي لمدرسة الحلة العملاقة، إلّا أنها تميزت بغزارة التأليف الفقهي وبمنهجيته في ترتيب أبحاثه ولهذا «كان لمدرسة جبل عامل الدور الفعال في دعم هذه المسيرة واعطائها زخما جديدا لإكمال ما انتهت إليه المدارس الأُخرى»[2].

وفيما يلي استعراض موجز لأهم المصنفات الفقهية العاملية:

أولاً: اللمعة الدمشقية، ومؤلفه الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي، وقد تحدثنا سابقا عن المُؤلِف والمؤلَّف والسبب الذي دعاه لتأليف كتابه (اللمعة) وللشهيد الأول

---

(١) مروّة ـ علي، تاريخ جباع: ٣١١ طبعة دار الانتشار العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١١ م.

(٢) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٩٢.

كتب فقيهة أُخرى تأتي بالمرتبة الثانية بعد اللمعة وهي (البيان) و (الذكرى) و (شرح نكت الارشاد) و (الدروس الشرعية) وهو من أشهر كتبه بعد اللمعة.

ثانيا: (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية):

لقد اهتم العلماء بمتن كتاب (اللمعة الدمشقية) باعتباره يمثل دورة فقهية شاملة لجميع أبواب الفقه، وله مميزاته على بقية الكتب الفقهية السابقة عليه[1]، ولهذا تناول العديد من العلماء كتاب اللمعة شرحا وتعليقا وتحشية[2]. ومن أهم هذه الشروح وأوسعها وأكثرها شهرة كتاب (الروضة البهية) للشهيد الثاني زين الدين العاملي، «ويبدو أن الشهيد الثاني هو أول من تصدى لشرح اللمعة ثم تبعه العلماء في شرحها والتعليق عليها»[3].

وكلا الكتابين المتن والشرح أصبحا بمثابة الكتاب الواحد، ومن المتون الفقهية للشيعة الإمامية في مرحلة السطوح من مراحل الدراسة الحوزوية. ولم يحل محله كتاب فقهي آخر إلى يومنا هذا.

ثالثا: (مسالك الافهام في شرح شرائع الإسلام):

وكتاب الشرائع من أشهر كتب المحقق الحلي وله شروح متعددة من أهمها وأوسعها كتاب (المسالك) الذي كتبه الشهيد الثاني، والذي كتبه في أواخر أيام حياته الشريفة، «ويعتبر الشهيد الثاني أول من أَدخل الشرح المزجي في عالم التصنيف لدى الشيعة، ولم يكن معروفا لهم قبل تصديه لهذا النوع من الشرح، ولهذا نجد معظم شروحه على كتب غيره نحى فيه هذا النحو، كشرحه على الإرشاد والألفية، والنفلية،

---

(١) أُنظر الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٩٤.

(٢) أُنظر الطهراني، الذريعة: ٢ / ٢٩٦ و ٨ / ١٤٥ و ١٣ / ٢٤٢ و ١٤ / ٤٧.

(٣) الحسيني، الفقه: ١٩٦.

واللمعة، والمسالك..»[1].

رابعا: مدارك الاحكام في شرح شرائع الإسلام:

للسيّد محمد بن السيّد علي بن أبي الحسن (ت ١٠٠٩ هـ) وهو أحد تلامذة الشهيد الثاني، ومن أبرز تلامذة المقدس الأردبيلي، وقد تحدثنا عنه في ثنايا حديثنا عن مدرسة النجف الأشرف في دورها الثاني. ويعتبر كتاب المدارك بمثابة الاستدراك لما فات الشهيد الثاني في كتاب مسالك الافهام وخاصة في أوائل شرح المسالك الذي نهج فيه الشهيد سبيل الاختصار، ثم أخذ بالتفصيل في جانب المعاملات، فجاء كتاب السيّد (صاحب المدارك) لشرح وتوضيح ما أجمله الشهيد، إلّا أنه لم يوفق لاكماله كدورة فقهية وإنما توقف قلمه الشريف عند كتاب الحج الذي أتمه سنة (٩٩٧ هـ) كما هو مثبت في آخر الكتاب[2].

خامسا: جامع المقاصد في شرح القواعد:

وكتاب «قواعد الاحكام» من أهم كتب العلّامة الحلي الفقهية وتولى شرحه والتعليق عليه الكثير من العلماء، ومن أهم هذه الشروح وأوسعها وأدقها شرح الشيخ المحقق علي الكركي المعروف بالمحقق الثاني، وسمى كتابه (جامع المقاصد في شرح القواعد) وتميز شرحه بالتفصيل غير أنه لم يوفق لاكماله، بل توقف قلمه الشريف عند مباحث كتاب النكاح ولم يتمه؛ وذلك في جمادى الأولى من عام خمسةٍ وثلاثين وتسعمائة[3].

وقد تحدثنا سابقا عن المحقق الكركي ضمن الحديث عن مدرسة النجف الأشرف.

---

(١) الحسيني، الفقه: ١٩٩.

(٢) طبع كتاب المدارك بطبعة محققة من قبل مؤسسة آل البيت في مدينة قم.

(٣) الطهراني ـ آقا بزرك، الذريعة: ٥ / ٧٢.

ويعتبر كتاب «جامع المقاصد» من غرر الكتب الفقهية، ومن المتون الفقهية المرجعية عند فقهاء الشيعة، بل إن «كل من تأخر عنه عيال عليه، حتى الشهيد في المسالك فإنها في المعاملات مأخوذة من جامع المقاصد..» كما يقول السيّد حسن الصدر[1].

سادسا: جامع عباسي:

وقد صنّفه الشيخ البهائي باللغة الفارسية باسم الشاه عباس الصفوي فأسماه بالجامع العباسي، وقد تحدثنا عن هذا الكتاب ضمن حديثنا عن تراث الشيخ البهائي، إذ إعْتُبر البهائي «أول من كتب رسالة عملية فقهية غير استدلالية»، وبذلك خطا خطوة جديدة في تطوير المناهج الفقهية وفتح بابا جديدا للنفوذ إلى الساحة العملية[2].

سابعا: مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلّامة:

وهو أحد الشروح المهمة على كتاب العلّامة (قواعد الاحكام) ومؤلف هذا الكتاب هو السيّد محمد جواد العاملي (ت ١٢٢٦ هـ) وهو من أبرز علماء جبل عامل المهاجرين إلى العراق وتتلمذ في حوزتي كربلاء والنجف الأشرف على يد أبرز علمائها كالشيخ الوحيد، وصاحب الرياض وهو من أبرز تلامذة الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء والسيّد مهدي بحر العلوم، وكان الداعي إلى تصنيف كتابه هذا هو الامتثال لأمر أُستاذه كاشف الغطاء كما جاء في مقدمة كتابه.

وقد كتب السيّد الجواد العاملي كتابه القيّم هذا في ظروف عصيبة ألمت بحاضرة العلم والعلماء ومركز الحوزة العلمية الشيعية (النجف الأشرف) إذ خضعت هذه

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٩٣.

(٢) الحسيني، الفقه في الجنوب: ٢٠٣، وأُنظر الشهيد مرتضى مطهري في كتابه الإسلام وإيران: ٢ /٩٦.

المدينة لحصار شرس من قبل الوهابيين، ويشير السيّد إلى ذلك في ثنايا كتابه فيقول: «ثمّ عاث في العراق فقتل من قتل وبقينا تاركين البحث والنظر على خوف منه ووجل»[1].

وكتاب مفتاح الكرامة رغم عدم اكتماله كدورة فقهية، إذ توقف قلمه الشريف عند بعض المباحث ولم يكملها، إلّا أنّ هذا الكتاب تميز بخصائص كثيرة من النادر أن تجدها في الكتب الفقهية الأُخرى[2]، ولهذا كان هذا الكتاب ولا زال مدار عناية الفقهاء وطلّاب العلوم «فالجواهر بمفتاح كرامته استخرجت، والهداية بمصباح رعايته استضاءت، بل سائر الكتب المبسوطة في الأحكام التقطت من أرقام صحائفه الكرام»[3].

وللسيّد جواد الحسيني العاملي شروح وحواشي ورسائل فقهية شتى في مسائل فقهية متفرقة[4].

كما أن العطاء الفقهي لعلماء جبل عامل لم يتوقف عند السيّد جواد والعلماء الذين ذكرناهم، وإنما استمر ولا زال مستمرا متدفقا معطاءً، ولو أردنا الاستقصاء لذكرنا عشرات الكتب والمؤلفات الفقهية ولكن مجال البحث ضيّق علينا مجال ذكرها.

---

(١) العاملي ـ جواد، مفتاح الكرامة: ٦ / ٤٣٤ خاتمة كتاب الشفعة.

(٢) أُنظر السيّد الحسيني في الفقه في جنوب لبنان: ٢٠٦ ـ ٢٠٨.

(٣) الطهراني، الذريعة: ٢١ / ٣٤١.

(٤) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ١٢٧ ـ ١٢٨.

ثانيا: مؤلفاتهم في علم أُصول الفقه:

يعتبر علم الأُصول أو ما يعرف بـ (أُصول الفقه) من أهم العلوم الأساسية في الاستنباط، وهي مجموعة من القواعد المشتركة في عملية الاستنباط الفقهي التي يمارسها الفقيه، في سيره الحثيث للوصول إلى الحكم الشرعي.

وانبثق هذا العلم في بداياته من ثنايا (علم الحديث) ومن خلال بعض الأحاديث المروية عن الأئمةعليهم السلام والتي تتضمن بعض القواعد الأُصولية تعين أصحابهم على الوصول إلى الحكم الشرعي، ثمّ سرعان ما نما هذا العلم وتوسع وأصبح له معالمه وقواعده المدونة وذلك من خلال جهود كبار علماء الشيعة من أمثال الشيخ المفيد صاحب المذكرة الأُصولية، وتلميذه المرتضى صاحب الذريعة، وتلميذهما ووارث علمهما الشيخ محمد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب العدة في علم الأُصول.

وتطور هذا العلم وتوسع في أبحاثه في مدرسة الحلة العلمية من خلال الجهابذة من علمائها كالمحقق الحلي صاحب الكتاب الأُصولي المعارج، والعلّامة الحلي صاحب المجموعة الأُصولية المتمثلة في مبادئ الأُصول، وتهذيب الأُصول، وغيرهما من المختصرات والمتوسطات والمطولات في هذا العلم.

وكان لعلماء جبل عامل دورهم في نقل تراث الحلة الأُصولي إلى جبل عامل بواسطة الشهيد الأول، ثمّ المساهمة في تطوير مناهج هذا العلم، فكانت لهم اضافات قيمة تمثلت في مجموعة من المؤلفات الأُصولية، ومن أهمها:

١ ـ كتاب القواعد والفوائد للشهيد الأول ومرَّ بنا التعريف بهذا الكتاب سابقا.

١ ـ كتاب التهذيب الجمالي للشهيد الأول أيضا وهو شرح على كتاب العلّامة الحلي (تهذيب الأُصول).

٣ ـ كتاب جامع البين في فوائد الشرحين للشهيد الأول أيضا جمع فيه شرحي أُستاذيه ضياء الدين وعميد الدين على تهذيب الأُصول للعلّامة.

٤ ـ كتاب العمدة الجلية في الأُصول الفقهية للسيّد بدر الدين الحسن من علماء القرن العاشر ومن أساتذة الشهيد الثاني[1].

٥ ـ كتاب تمهيد القواعد الأُصولية والعربية لتفريع الأحكام الشرعية للشهيد الثاني.

٦ ـ كتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين) للشيخ حسن نجل الشهيد الثاني، ويعتبر هذا الكتاب على اختصاره من أهم المتون الأُصولية: «فإنه مثّل فيه المستوى العالي لعلم الأُصول في عصره بتعبير سهل وتنظيم جيد، الأمر الذي جعل لهذا الكتاب شأنا كبيرا في علم البحوث الأُصولية حتى أصبح كتابا دراسيا لهذا العلم، وتناوله العلماء بالتعليق والتوضيح والنقد»[2]. وأحصى شيخ الذريعة الطهراني أسماء مجموعة كبيرة من الشروح والحواشي على كتاب المعالم[3]، ولا زال الكتاب بأيدي العلماء والفضلاء وطلّاب العلم ككتاب تدريسي متداول.

٧ ـ كتاب «زبدة الأُصول» للشيخ بهاء الدين العاملي، ونال هذا الكتاب حظه من الشروح والحواشي والتعليقات ومن قبل كبار العلماء منذ عصر المؤلف وإلى عصرنا هذا، وعدّد الطهراني من شروحه ثلاثين شرحا وزاد الأميني عليه ثلاثة أُخرى[4].

٨ ـ كتاب «شرح الوافية في علم الأُصول» للسيّد جواد العاملي صاحب كتاب مفتاح الكرامة وهو شرح على كتاب (الوافية) للمولى عبد البشروي الشهير بالفاضل

---

(١) أُنظر الذريعة: ١٥ / ٣٣٦.

(٢) الصدر ـ محمدباقر، المعالم الجديدة: ٧٦ وعنه الحسيني ـ محمد، الفقه في الجنوب: ٢٢٠.

(٣) أُنظر الذريعة: ٦ / ٢٠٤ و ١٤ / ٧٠.

(٤) أُنظر الذريعة: ١٣ / ٢٩٨، والغدير للأميني: ١١ / ٢٦٩.

التوني (ت ١٠٧١ هـ) والكتاب يتضمن أيضا بعض النظرات الأُصولية لأُستاذه الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وللسيّد محسن الأعرجي صاحب كتاب (المحصول في علم الأُصول)[١].

٩ ـ كتاب «وسيلة الوصول» أُرجوزة في علم الأُصول لعلي بن الحسين آل أبي جامع[٢].

١٠ ـ كتاب «الدرة المنتظمة» منظومة في علم الأُصول للشيخ موسى شرارة[٣].

ثالثا: مؤلفاتهم في علم الحديث:

يعتبر الحديث النبوي والمروي عن طريق أهل البيت عليهم السلام والموثوقين من الصحابة، من أهم مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم. وتكمن أهميته في كونه يسلط الأضواء على أحكام القرآن الكلية فيبين حدودها وجزئياتها واطلاقها وتقييدها وما إلى ذلك من أُمور مهمة في مجال الاستنباط الفقهي، ولهذا لا يمكن للفقيه الممارس لعملية الاستنباط أن يستغني عنه.

ولهذا كله اهتم علماء الشيعة بتدوين الحديث وضبط ألفاظه وشرح معانيه ضمن مجاميع سمنيت بالأُصول، ومن هذه الأُصول أُلفت الكتب الأربعة للمحمدين الثلاثة، الذين أشرنا إليهم سابقا.

وكان لعلماء جبل عامل اسهامات مهمة في هذا المجال، وظهرت لهم عدّة مؤلفات مهمة كان لها الأثر الكبير في مسيرة علم الحديث، وشكل نتاجهم اضافة

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه: ٢٢١.

(٢) الطهراني، الذريعة: ٥ / ٩٢ و٨ / ١٠٩.

(٣) المرجع نفسه.

نوعية لا يمكن تجاهلها في تاريخ تدوين الحديث. ومن هذه المساهمات:

١ ـ كتاب: «تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» للشيخ محمد ابن الحسن الحر العاملي، وقد تحدثنا عن المُؤلَّف والمؤلِّف سابقا.

٢ ـ كتاب: «منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان» وهو من تأليف الشيخ حسن نجل الشهيد الثاني، صاحب الكتاب الأُصولي (المعالم). والكتاب يجمع بين دفتيه الأحاديث الصحيحة والحسنة فقط، ولا يشمل غيرها من أقسام الحديث لأن المؤلف لا يرى حجيتها بحسب منهجه الفقهي، وقد صدّر المؤلِّفُ كتابه بذكر اثنتي عشرة فائدة رجالية مهمة.

وقد جوبه هذا الكتاب ومؤلفه ببعض الاعتراضات من قبل أقطاب المدرسة الاخبارية توقفنا عندها في ثنايا حديثنا عن مدرسة النجف الأشرف في دورها الثاني[1].

٣ ـ كتاب: «الحبل المتين في أحكام الدين» من تصنيف الشيخ البهائي، جمع فيه الأحاديث الصحاح والحسان والموثقات مع الشرح والبيان.. وهو مرتب على أقسام أربعة: العبادات، والعقود، والايقاعات، والأحكام غير أنه لم يتيسر للشيخ البهائي إكماله..»[2].

٤ ـ كتاب: «استقصاء الاعتبار في شرح الاستبصار» وهو للشيخ محمد بن الشيخ حسن صاحب المعالم، شرح فيه كتاب الاستبصار للشيخ الطوسي إلّا أ نّه غير تام، وللكتاب مقدمة فيها فوائد رجالية اثنا عشرية على غرار فوائد والده في (المنتقى).

٥ ـ كتاب: «جامع الأخبار في ايضاح الاستبصار» وهو من تأليف الشيخ عبد

---

(١) أُنظر كتابنا تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية: ٣٣٥ وما بعدها.

(٢) الحسيني، الفقه في الجنوب: ٢١٣.

اللطيف بن علي آل أبي جامع (ت ١٠٥٠ هـ) وهو من تلامذة الشيخ حسن صاحب المعالم والسيّد محمد صاحب المدارك وتتلمذ أيضا عند الشيخ البهائي[١]، ومنهج كتابه هذا مخالف لمنهج أساتذته في الحديث حيث أثبت كل ما رمي من الأحاديث بالضعف من قبل أُولئك الأعلام[٢].

٦ ـ كتاب: «الجواهر السنية في الأحاديث القدسية» لمؤلفه الشيخ الحر العاملي، وقد مرَّ سابقا التعريف به.

٧ ـ كتب «الأربعون حديثا» وقد صنّف العامليون تحت هذا العنوان مجموعة من الكتب ذكرها الطهراني في الذريعة[٣].

رابعا: مؤلفاتهم في علم «دراية الحديث»:

يعتبر (علم الدراية) من العلوم المساعدة على ترجيح الأحاديث بعضها على بعض، إذ تختلف حالات الحديث باختلاف سنده وباختلاف رواته.. أو «هو العلم الباحث فيه عن الأحوال والعوارض اللاحقة لسند الحديث، أي الطريق إلى متنه المتألف ذلك الطريق عن عدّة أشخاص مرتبين في التناقل.. فإن نفس السند المتألف عن هؤلاء المتناقلين تعرضه حالات مختلفة مؤثرة في اعتبار السند وعدمه مثل كونه متصلاً أو منقطعا، أو مسندا، أو مرسلاً.. فعلم دراية الحديث كافل للبحث عن تلك العوارض»[٤].

ولعلماء الشيعة اسهام في تدوين هذا العلم الذي انبثق من علم الحديث ولعلماء

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٧٢.

(٢) الحسيني، الفقه: ٢١٤.

(٣) أُنظر، الطهراني، الذريعة: ١ / ٤١٤ ـ ٤٣١.

(٤) الطهراني، الذريعة: ٨ / ٤٠.

جبل عامل مشاركة في هذا الاسهام؛ إذ تصدى أكابر علمائهم لتدوين مسائل هذا العلم وشرح مصطلحاته.

وينص بعض الباحثين على أن في مقدمة العلماء الكبار المتصدين لتدوين علم الدراية هو الشهيد الثاني «إذ يعتبر أول من نقل علم الدراية من كتب العامة وطريقتهم إلى كتب الشيعة»[١].

ويقال: إن أول من دوّن في علم الدراية عند الشيعة هو أبو عبد اللّه الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) والسيّد جمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس (ت ٦٧٣ هـ)[٢] وجاء من بعدهما العلّامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ)، وكان دور الشهيد الثاني هو دور التطوير والتجديد في مناهج البحث.

ومهما يكن من أمر، فقد برزت لدينا في هذا العلم مصنفات قيمة ذكر أكثرها الشيخ الطهراني في الذريعة تحت عناوينها الخاصة[٣]، وكان لعلماء جبل عامل سهم وافر في هذا العلم منها:

١ ـ «دراية الحديث»: للمحقق الشيخ نور الدين علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي (ت ٩٤٠ هـ)[٤].

٢ ـ «دراية الحديث»: للشيخ علي بن محمود المشغري العاملي خال والد الشيخ الحر[٥].

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في الجنوب: ٢١٦ نقلاً عن أفندي في الرياض: ٢ / ٣٦٨، والخوانساري في الرياض: ٣٥٨/٣.

(٢) الصدر ـ حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٩٤.

(٣) الطهراني، الذريعة: ٨ / ٤٠ ـ ٤١.

(٤) المرجع نفسه: ٤١/٨.

(٥) المرجع نفسه.

٣ ـ «بداية الدراية» للشهيد الثاني، وقد شرحها الشهيد نفسه شرحا مزجيا.

٤ ـ «وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار»: رسالة في دراية الحديث تصنيف الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي.

٥ ـ «الوجيزة في علم الدراية»: للشيخ البهائي، وهي مقدمة كتابه (الحبل المتين) ولها شروح كثيرة[1].

خامسا: مؤلفاتهم في علم الرجال والتراجم والأنساب:

وهذا العلم كسابقه ـ علم الدراية ـ من العلوم المساعدة في الاستنباط الفقهي ويجمع بينه وبين علم الدراية وحدة الموضوع وهو (سند الحديث) فبينما يبحث في علم الدراية في العوارض والحالات الطارئة على سند الحديث فتجعل من الحديث مرسلاً أو متصلاً أو صحيحا أو ضعيفا.. الخ، يبحث في علم الرجال في الأحوال الشخصية للرواة الناقلين لهذه الأحاديث[2]، من حيث وثاقة الراوي وعدمها، وطبقته بالنسبة إلى الرواة...

يقول الشيخ الطهراني معرفا علم الرجال: «هو علم يبحث فيه عن أحوال رواة الحديث وأوصافهم التي لها دخل في جواز قبول قولهم وعدمه».

وعن مدى الحاجة إلى هذا العلم يقول: «وهذا العلم يحتاج إليه كل من أراد استنباط الأحكام الشرعية عن أدلتها التي عمدتها الأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام حيث إنّه لابدَّ من أن ينظر في أحوال رجال سند الحديث ويطمئن بأنهم ممن يصلح التعويل عليهم، ويجوز الأخذ عنهم، حتى يكون حديثهم حجة له في

---

(١) الحسيني، الفقه: ٢١٧.

(٢) الحسيني ـ محمد، الفقه في الجنوب: ٢٢٨.

عمل نفسه أو الافتاء لغيره..»[1].

وقد تشتد الحاجة إلى علم الرجال في مجال الاستنباط الفقهي كلما ابتعدنا عن عصر التشريع، لأسباب تذكر في محلها، ولهذا تجد الاهتمام بهذا العلم بشكل منهجي عند الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في كتبه الرجالية الثلاثة، وكذلك من قبل معاصره الشيخ النجاشي (ت ٤٥٠ هـ) وتوالت التصنيفات في القرن السادس والسابع والقرون التي بعدها وتبعها المتأخرون في هذا المجال فكتبت موسوعات مهمة في هذا المجال، ومن أوسعها رجال المامقاني، وطبقات أعلام الشيعة للطهراني، ومعجم رجال الحديث للسيّد الخوئي وغيرها من الموسوعات القيمة.

وكان لعلماء جبل عامل اسهام في تدوين ومنهجة هذا العلم، وظهرت لهم مجموعة من المؤلفات منها:

١ ـ كتاب الرجال، من تصنيف الشهيد الثاني الشيخ زين الدين العاملي[2].

٢ ـ كتاب: «رجال الشيخ بهاء الدين العاملي» هو الحواشي على رجال النجاشي وفهرس الطوسي وخلاصة العلّامة والوجيز وغيرها[3].

٣ ـ رجال الشيخ محمد علي الجبعي جد الشيخ البهائي، له عدّة مجموعات يذكر العلّامة المجلسي في آخر البحار بعضها[4].

٤ ـ رجال السيّد محمد صاحب المدارك، دوّن فيه أسماء الرجال الذين وثقهم

(١) الذريعة: ١٠ / ٦١.

(٢) المرجع نفسه: ١٠ / ٨٨، والحسيني، الفقه: ٢٢٩.

(٣) المرجع نفسه: ١٠ / ٧٥، ١٠٨.

(٤) المرجع نفسه: ١٠ / ١٠٩.

الشيخ الطوسي، وله أيضا هوامش وتعليقات على الخلاصة في علم الرجال[1].

٥ ـ رجال السيّد جواد العاملي، صاحب مفتاح الكرامة (ت ١٢٢٦ هـ) ويظهر أنه كتب تعليقات على كتاب الرجال لأُستاذه السيّد مهدي بحر العلوم[2].

٦ ـ رجال الشيخ جواد محيي الدين بن الشيخ علي بن الشيخ قاسم محيي الدين العاملي النجفي ويأتي كتابه بعنوان تراجم آل أبي جامع[3].

٧ ـ رجال الشيخ حسن بن علي بن أحمد العاملي، تلميذ صاحبي المعالم والمدارك، اسمه: «نظم الجمان في تاريخ الأكابر والأعيان»[4].

٨ ـ رجال الشيخ حسين بن عبد الصمد، والد البهائي، في دراية الحديث وكليات الرجال، اسمه «وصول الأخيار»[5].

٩ ـ رجال السيّد محمد شفيع، ابن بهاء الدين الحسيني العاملي، اسمه «محافل المؤمنين» وهو مستدرك لمجالس المؤمنين[6].

١٠ ـ رجال السيّد صدرالدين العاملي (ت ١٢٦٣ هـ) اسمه: المجال في الرجال[7].

١١ ـ رجال السيّد عبد الحسين بن يوسف الموسوي العاملي، الشهير بالسيّد عبد

---

(١) الذريعة: ١٠ / ١٠٩.

(٢) المرجع نفسه: ١٠ / ٨١.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه: ١٠ / ٨٣.

(٥) المرجع نفسه: ١٠ / ٨٤.

(٦) المرجع نفسه: ١٠ / ٨٩.

(٧) المرجع نفسه: ١٠ / ٩١.

الحسين شرف الدين: «بغية الراغبين في آل شرف الدين»[1].

١٢ ـ رجال الشيخ عبد اللطيف بن أبي جامع العاملي تلميذ البهائي وصاحب المعالم والمدارك.. اقتصر في كتابه على رجال الكتب الأربعة.. وكتابه هذا صغير الحجم كثير النفع جعله كالمقدمة لكتابه «جامع الأخبار في ايضاح الاستبصار»[2].

١٣ ـ رجال السيّد محمد علي بن أبي الحسن بن السيّد صالح الموسوي العاملي الكاظمي (ت ١٢٩٠ هـ)، ابن أخ السيّد صدر الدين العاملي[3].

١٤ ـ رجال الشيخ محمد بن علي بن الحسن بن العودي الجزيني، له «بغية المريد في ترجمة الشيخ زين الدين الشهيد»[4].

١٥ ـ كتاب أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي يقع في جزئين، الأول في علماء جبل عامل، والآخر في سواهم، وهو من أشهر كتب التراجم وأكثرها حظا وأوفرها صيتا، وقد تناوله العلماء بالتعليق والتتميم ومن أشهر من أتمه السيّد حسن الصدر (ت ١٣٥٤ هـ) في كتابه (تكملة أمل الآمل) الذي صدر الجزء الأول منه سنة (١٤٠٧ هـ) بتحقيق السيّد أحمد الحسيني، ولم تصدر الاجزاء الأُخرى بتحقيقه، حتى سنة (١٤٢٩ هـ) حيث تمّ نشر الكتاب بأكمله، بتحقيق الدكتور حسين علي محفوظ وساعده آخران، وصدر في (٦) مجلدات من قبل دار المؤرخ العربي في بيروت.

---

(١) الذريعة: ١٠ / ٩٣.

(٢) المرجع نفسه: ١٠/ ٩٦.

(٣) المرجع نفسه: ١٠ / ١٠٠.

(٤) المرجع نفسه: ١٠ / ١٠٩.

وللشيخ الحر العاملي فوائد رجالية مهمة ذكرها في خاتمة كتابه وسائل الشيعة[1].

١٦ ـ كتاب أعيان الشيعة للسيّد محسن أمين العاملي، وهو من أوسع كتب التراجم عند الشيعة الإمامية بعد كتاب المامقاني، ويعد الكتاب من المراجع المهمة عند الباحثين، وله مستدرك مهم بقلم نجله السيّد حسن الأمين.

سادسا: مؤلفاتهم في العقائد:

تعتبر العقيدة من أهم الأُسس التي يرتكز عليها الإنسان في حياته الإيمانية، بالاضافة إلى المرتكز الآخر عند أتباع أهل البيت عليهم السلام وهو مرتكز المذهب الذي يعتقدون به ويتعبدون للّه سبحانه من خلاله.

وللعقيدة والمذهب أبحاث علمية وفكرية كَتب فيها آلاف الكتاب من علماء الطائفة وفي مختلف العصور، ووصلنا الكثير من هذه المؤلفات التي اتسمت بالشرح والبيان لأُسس العقائد الإسلامية، وأُصول المذهب الإمامي الاثني عشري، ودفع الشبهات المثارة حوله.

ولعلماء جبل عامل اسهام واسع في هذا المجال ولهم مؤلفات جليلة في مجال الدفاع عن العقيدة والمذهب، نذكر منها:

١ ـ رسالة الاعتقادية للشهيد الثاني زين الدين العاملي، تناول فيها ما لا يسع المكلف جهله من معرفة اللّه تعالى وما يتبعه من أُصول الدين، وهي نظير (الاعتقادية) للشهيد الأول.

وللشهيد الثاني رسالة أُخرى تسمى بـ (أنوار الهدى) في مسألة البداء تناول فيها

---

(١) الذريعة: ١٠ / ١٠٧.

النزاع الدائر حول هذه المسألة واثبات مدعى الشيعة الإمامية في ذلك[1].

٢ ـ الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، تأليف العلّامة المتكلم الشيخ زين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (ت ٨٧٧ هـ).

يقول الشيخ الطهراني:

«وقد ترك العلّامة البياضي ثروة فكرية كبيرة، وتراثا علميا خالدا، وآثارا قيمة في مختلف العلوم الإسلامية، تدل على مكانته السامية ومقامه الرفيع..»[2].

وذكر له الشيخ الطهراني (١٦) مؤلفا منها هذا الكتاب: «وهو من أهم آثار المؤلف، وأجلّ مؤلفاته، ومن أنفس الأسفار وأحسن ما كتب في مبحث الإمامة...»[3]، كما أن للمؤلف آثارا كلامية أُخرى ذكرت في ترجمته رحمه الله.

٣ ـ التبصرة في العقائد الحقة للسيّد حسين الكركي المعروف بالمجتهد وهو ابن بنت المحقق علي الكركي. وله أيضا: «تبصرة المؤمنين في الكلام وأُصول الدين» و «الاقتصاد في ايضاح الاعتقاد» و (الطهماسبية)[4].

٤ ـ كتاب ضياء العاملين في الإمامة، من تصنيف المولى أبي الحسن بن محمد طاهر الفتوني تلميذ العلّامة المجلسي، فيه نصوص امامة الأئمة الاثني عشر..[5]. وقد طبع الكتاب محققا من قبل مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

٥ ـ الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للشيخ محمد بن الحسن الحر

---

(١) الطهراني في الذريعة: ٢ / ٢٥٠، وعنه الحسيني، الفقه في الجنوب: ٢٢٤.

(٢) الطهراني ـ محسن، مقدمة الصراط المستقيم: ٢ / ٢٤.

(٣) المرجع نفسه: ٢ / ٢٤.

(٤) الطهراني، الذريعة: ٣ / ١٧٣، وعنه الحسيني، الفقه في الجنوب: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٥) المرجع نفسه: ٢٢٦.

العاملي صاحب الوسائل. وله أيضا «تنزيه المعصوم عن السهو والنسيان».

٦ ـ المراجعات للسيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي، وهو من أروع ما كتب في العصور المتأخرة في مباحث الإمامة وعقائد الشيعة. وكانت هذه المراجعات حصيلة المناظرات التي وقعت بين السيّد شرف الدين وشيخ الأزهر الشيخ سليم البشري، «وهي آية من الآيات، ومعجزة من المعجزات ببيانها وقوة برهانها وشرف هدفها»[١].

هذه أبرز ما يمكن الاشارة إليها من مؤلفات جبل عامل في مجال العقائد وعلم الكلام والإمامة، ومما لا شك فيه فإنّ لهم الكثير من المصنفات الأُخرى، كما أن لهم أكثر من منظومة في علم الكلام والعقائد الحقة.

سابعا: مؤلفاتهم في التفسير وعلوم القرآن:

للقرآن الكريم مكانة متميزة عند المسلمين، وقد تناولوه قراءة وحفظا وتفسيرا، وللشيعة قدم سبق في مجال تفسير القرآن، ويشهد لهم بذلك مؤلفاتهم على مرّ العصور، ومن أهمها تفسير «التبيان» للشيخ الطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) و «مجمع البيان» للشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ). وتوالت بعدهما التفاسير والأبحاث القرآنية.

وكان لعلماء الشيعة في جبل عامل اسهام وآثار جليلة في مجال القرآن الكريم وعلومه، ومن أشهر ما وصلنا من تراث علمائهم:

١ ـ الوجيز في تفسير القرآن العزيز، للشيخ علي بن الحسين آل أبي جامع وجد المؤلف: أبو أُسرة جليلة في العلم، خرج منها جماعات من العلماء الأجلة، تعرف في

---

(١) الطهراني، الذريعة: ٢٢٦.

النجف بآل محي الدين. ومؤلف الوجيز من تلامذة المحقق الكركي وله منه اجازة ذكر فيها: إنه ورد عليه من جبل عامل مهاجرا للعلم في النجف الأشرف.

يقول السيّد الصدر عن هذا التفسير: «ورأيت تفسير الوجيز.. سلك فيه طريق الايجاز في التعبير، مشيرا إلى أكثر الأقوال المحتملة من وجوه التفسير.. وبالجملة لا نظير له في التفاسير الموجودة»[(١)].

٢ ـ مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار في تفسير القرآن، للمولى الشريف أبي الحسن الفتوني النباطي، تلميذ العلّامة المجلسي، وصدّر تفسيره بمقدمة في علوم القرآن إلّا أنه لم يتيسر له إتمامه وتوقف عند تفسير أواسط سورة البقرة[(٢)].

٣ ـ العروة الوثقى، للشيخ البهائي، وهو تفسير مختصر مزجي لم يوفق لاكماله، وله أيضا تفسير (عين الحياة) توقف فيه عند أواسط سورة البقرة[(٣)].

٤ ـ تفسير ايناس المؤمنين باقتباس علوم الدين وهو للسيّد محمد حيدر العاملي ويختص بتفسير آيات الأحكام[(٤)].

٥ ـ اختصار تفسير القمي، للشيخ علي بن إبراهيم القمي، اختصره الشيخ الكفعمي، وللشيخ الكفعمي مختصرات قرآنية لبعض التفاسير المعروفة[(٥)].

وهنالك تفاسير أُخرى لبعض السور القرآنية أو لبعض الآيات نجدها في تراجم بعض علماء جبل عامل. كما أن لهم بعض المنظومات التفسيرية للقرآن وعلومه منها:

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٩٢ ـ ٩٣.

(٢) الطهراني، الذريعة: ٢٠ / ٢٦٤، وعنه الحسيني ـ محمد، الفقه في الجنوب: ٢٢٣.

(٣) الحسيني، الفقه في الجنوب: ٢٢٤.

(٤) المرجع نفسه: ٢٢٤ بتصرف.

(٥) المرجع نفسه: ٢٢٤.

٦ ـ أُرجوزة «دلائل البيان» في غريب القرآن للشيخ قاسم بن حسن آل محيي الدين الجامعي تقرب من ألف بيت، أوّله:

حمدا لمن قد أنزل الفرقانا وأبدع الاعجاز والتبيانا
سميتها «دلائل التبيان» في حلّ الفاظِ من القرآن[(١)]

ثامنا: مؤلفات في الأدعية وآداب الزيارة:

للدعاء دور كبير في بناء الشخصية الإسلامية من الناحية النفسية والروحية والأخلاقية، بل في الجوانب العقائدية والإيمانية أيضا.

ولهذا نجد للدعاء مساحة واسعة في آيات القرآن الكريم، وكذلك نجد الحث عليه بدرجة أكبر في أحاديث الرسول وأهل بيته عليهم السلام.

وللدعاء وظائف وآداب يجب مراعاتها للوصول إلى حالات القرب الإلهي المرجوة من الدعاء والحصول على نورانية القلب، وتهذيب النفس وتربيتها وقد فصلت الروايات المروية عن النبي وآله ﷺ هذه الوظائف والآداب كما وردتنا نصوص الأدعية المروية عنهم عليهم السلام.

وقد اهتم علماء الشيعة كثيرا في تدوين نصوص الأدعية المروية، «وقيدوها بغاية الاحتياط في كتبهم وأُصولهم المصححة التي كانوا يكتبونها غالبا من املاء أئمتهم بمحضرهم صونا عن التغيير والتبديل...، وبذلوا جهدهم في حفظ تلك الأحاديث المشتملة على بيان الوظائف والآداب، وفي ضبط ألفاظ الأدعية المأثورة عنهم، وادراجها في أُصولهم وكتبهم..»[(٢)].

---

(١) الطهراني، الذريعة: ٨ / ١٧٦.

(٢) الطهراني، الذريعة: ٨ / ١٢٢ ـ ١٢٣.

ويعتبر (علم الدعاء) ونقل الأدعية المأثورة من فروع علم الحديث[1]. ولولا جهود علمائنا الأوائل حتى عصر الشيخ الطوسي، ثمّ جهود ابن طاووس وكذلك جهود بعض علماء جبل عامل لضاع الكثير من الأدعية المأثورة.

ومن اسهامات علماء جبل عامل في مجال الدعاء والزيارات نذكر:

١ ـ جنة الأمان الواقية، وجنة الإيمان الباقية، وهو المعروف والمشهور بكتاب (المصباح) للشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي واختصره المؤلف بعنوان (الجنة الواقية)[2].

٢ ـ البلد الأمين والدرع الحصين، وهو أيضا للشيخ الكفعمي[3]، وهو أبسط من كتاب المصباح، ضمنه باقة من الأدعية والأوراد والأذكار.

٣ ـ مفتاح الفلاح في الأعمال والأدعية للشيخ بهاء الدين العاملي، مرتب على ستة أبواب بحسب تقسيم أعمال اليوم والليلة.. مع شرح بعض الفاظ الأدعية[4].

٤ ـ حدائق الصالحين في شرح صحيفة سيّد الساجدين، للشيخ البهائي، وقد جعل شرح كل دعاء من أدعية الصحيفة السجادية حديقة، إلّا أنّ معظم هذا الكتاب مفقود سوى شرح دعاء الهلال الذي طبع بعنوان (الحديقة الهلالية) بتحقيق السيّد علي الموسوي الخراساني[5].

وجدير بالذكر أن بعض علماء جبل عامل قد اعتنى بجمع الأحاديث الواردة عن

---

(١) الطهراني، الذريعة: ٨ / ١٢٨.

(٢) المرجع نفسه: ٥ / ١١٥.

(٣) المرجع نفسه: ٣ / ٧٩.

(٤) المرجع نفسه: ٢١ / ٢١٩.

(٥) أنظر مقدمة التحقيق للكتاب: ١٩ وما بعدها، طبعة مؤسسة آل البيت ـ قم، ١٤١٠ هـ

الإمام زين العابدين (السجاد) فجمع قسما منها (الحر العاملي) وهو ما أسماه (الصحيفة السجادية الثانية) بينما جمع السيّد محسن الأمين ـ العاملي ـ الصحيفة الثالثة والرابعة، وزاد عليها واحدا وخمسين دعاءً وهي ما تسمى بالصحيفة السجادية الخامسة[1].

٥ ـ التنبيهات العلية عن وظائف الصلاة القلبية وأسرارها للشهيد الثاني جعلها ثالث الرسالتين (الألفية والنفلية)، وللشهيد أيضا رسالة في آداب الصلاة، ورسالة في آداب صلاة الجمعة ذكر فيها بعض الأدعية والآداب[2].

٦ ـ مفاتيح الجنات للسيّد محسن الأمين العاملي، صاحب كتاب أعيان الشيعة، يقع في ثلاثة مجلدات جمع فيه الكثير من الأدعية المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام[3].

ولعلماء جبل عامل اسهام في العلوم الأُخرى، ولهم فيها مؤلفات مشهورة مثل علم النحو، والرياضيات، والهندسة، والتربية وآداب التعليم والتعلّم، وغيرها الكثير الذي لا يمكن استيعاب معشاره في هذا المختصر.

المبحث الثالث: من رواد حركة الإصلاح في حوزة جبل عامل

يعتبر مفهوم (الاصلاح) من أهم المفاهيم والأُسس التي انطلق من أجلها أنبياء اللّه (صلوات اللّه عليهم) وأوصياؤهم والسائرون على هداهم؛ من الدعاة والمجاهدين في سبيله، وفي كل الأديان والمبادئ السماوية.

---

(١) الطهراني، الذريعة: ١٥ / ١٥ ـ ١٦، وعنه الحسيني ـ محمد، الفقه في الجنوب: ٢٣٦.

(٢) المرجع نفسه: ٢٣٧ بتصرف.

(٣) المرجع نفسه: ٢٣٧.

وكان أُولئك المصلحون ينهضون في أوساط أُممهم، فيتقدمون صفوفهم ويبصرونهم بما فيه نفعهم في دنياهم وآخرتهم، ويحذرونهم من تيارات الانحراف التي تحاول أن تحرفهم عن التمسك بقيمهم ودينهم وسبل رقيهم وتقدمهم فكانوا يشخصون لهم الداء، ويصفون لهم الدواء.

وكان كل مصلح من أُولئك المصلحين ينظر إلى ما تبتلي به أُمته من داء من وجهة نظره، ويدعو إلى إصلاح ذلك بالوسائل التي يراها مناسبة لإصلاح ذلك الداء.

ولهذا نجد كثرة المشاريع الإصلاحية في حياة الأُمم والشعوب والأقوام، ويحدثنا تاريخ المصلحين عن تجارب كثيرة لرجال الاصلاح سواءً كانوا من الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم عليهم السلام أو من العلماء المستخلفين على أُممهم والوارثين لعلوم الأنبياء السابقين عليهم.

ونجد دائما إلى جانب دعوات الاصلاح وحركة المصلحين، دعوات وحركات مضادة لهم ومحاربة لتوجهاتهم، ولهذا نجد أن البلاء والمصائب بكل الوانها قد احاطت بالمصلحين، فمنهم من شرد من دياره، ومنهم من اعتقل وسجن، ومنهم من قتل، وهكذا تعددت أساليب الطغاة في محاربة أُولئك الصفوة من المصلحين وحملة المبادئ الخيرة، فتحمل أُولئك الأفذاذ كل ذلك العناء وآلامه الشديدة، بصبر وجَلد واستقامة وعزيمة لا تلين لأنهم: «احبوا مبدأهم في الاصلاح أكثر مما أحبوا الحياة، ولم يعبأوا بالعذاب يحيق بهم في سبيل تحقيق فكرتهم، وظلت آراؤهم تعمل عملها في حياتهم وبعد موتهم، حتى تحقق اصلاحهم، ونفذت أفكارهم..»[1].

---

(١) أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث: ٩ طبعة مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.

وببزوغ فجر الإسلام ظهرت حركة الإصلاح على يدي النبي الأكرم خاتم الأنبياء والرسل محمد المصطفىﷺ، الذي أرسله اللّه رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، فسعى جاهدا طيلة فترة نبوته إلى اصلاح أوضاع هذه الأُمة وليخرجها من الظلمات إلى النور، حتى مضى إلى سبيله.

وبموت النبيﷺ لم تتوقف حركة الإسلام الإصلاحية إذ تجسدت القدوة والأُسوة في أهل بيتهعليهم السلام بحسب ما جاء في حديث الثقلين المتواتر عند الأُمة الإسلامية، والأحاديث الأُخرى المستفيضة في هذا الجانب، فكانت حركتهمعليهم السلام حركة اصلاح في وسط الأُمة، وكانت قدوتهم قدوة تصحيحية لمسارها ومسيرتها الكادحة إلى اللّه تعالى.

وجاء بعد الأئمة علماء هذه الأُمة، وهم أُمناء الرّسل ونواب الأئمةعليهم السلام وتقع عليهم مسؤولية القيادة والتوجيه والاصلاح والإرشاد والتجديد في حياة الأُمة الإسلامية كما ورد في الحديث الشهير: «إن اللّه يبعث لهذه الأُمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها..»[1].

وكان لعلماء الشيعة عامة، ولحوزة جبل عامل وأساطين علمائها خاصة دور كبير في حركة الاصلاح الديني، وكانت لهم مشاريع اصلاحية مهمة لا زال الكثير منها قائما إلى يومنا هذا، وترمز إلى مؤسسيها من أعلام جبل عامل.

ونرى من الواجب علينا ـ ونحن نطوي صفحات حوزة جبل عامل ـ أن ننوه بذكر أبرز أُولئك الأعلام، ونبين أهم مشاريعهم الاصلاحية، علّنا نقتدي بهم ونقتفي أثرهم، وننتفع بآرائهم وأعمالهم الإصلاحية:

---

(١) أُنظر: مصادر الحديث عند: ابن الأثير في جامع الأُصول: ٩ / ٢٧٢.

١ ـ الشيخ عبد اللّه نعمة العاملي الجبعي (ت ١٣٠٣ هـ).

يعتبر الشيخ عبد اللّه نعمة من أكابر علماء جبل عامل فهو «عالم فاضل فقيه ماهر في العلوم، تربى على يد الشيخ الجليل العالم المحقق حسن القبيسي في الكوثرية ثمّ هاجر إلى النجف وأخذ عن علمائها حتى برع في العلوم الدينية غير مدافع، ولما رجع إلى جبع أكب عليه أهل العلم وصار شيخ البلاد الشامية والمرجع العام في البلاد».

وينقل أن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر قد رقى المنبر للتدريس فقال: «.. وما شهدت في كل عمري باجتهاد أحد غير أربعة: الشيخ عبد اللّه نعمة العاملي و...»[1].

لقد عاد الشيخ عبد اللّه نعمة إلى بلاده ـ بعد أن رحل إلى رشت وسكنها مدة ـ وسكن جبع وأخذ في ترويج الدين وتربية المشتغلين مدة أربعين سنة، وكانت له أعمال جليلة نذكر منها:

أولاً: التصدي لأُمور الناس:

وكانت له الرياسة المطلقة الدينية في جبل عامل وجميع بلاد الشيعة في سوريا ونال عند الناس مقاما وموقعا في النفوس لم يصل إليه غيره حتى صارت تضرب به الأمثال..[2].

ثانيا: تأسيس مدرسة جبع الدينية:

وأسس في جبع مدرسة دينية اجتمع فيها عدد كثير من الطلّاب من جميع أنحاء البلاد، وعمّرت هذه المدرسة أربعين عاما، وأوجدت في البلاد نهضة علمية واسعة

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ٦٠.

النطاق.. وتخرّج على يديه عدد غير يسير من كبار العلماء وأهل الفضل[1].

ثالثا ـ القيام بالاصلاح الاجتماعي:

لقد كانت للشيخ عبد اللّه نعمة مكانة اجتماعية وقيادية نافذة حيث «انقادت إليه الأُمور وألقى إليه أهل بلاد الشام أزمة الانقياد والطاعة»[2] والذي هيأ للشيخ هذا المقام العظيم والهيبة اللامتناهية في قلوب العامليين مدى اهتمامه المتزايد بهم وعطفه وحنانه ورعايته لهم، فإن له في كل سنة دورة في عموم بلاد الشيعة سواء في جبل عامل وجبل لبنان ودمشق وحمص وحلب وغيرها[3] بل إن رعايته الاجتماعية لم تقتصر على الشيعة فقط وإنما تعدت إلى غيرهم.

فينقل السيّد الأمين عن الدكتور شاكر الخوري موقف الشيخ عبد اللّه في فتنة الستين بين الدروز والنصارى حيث يقول: «إنه في حادث الستين التي كانت بين الدروز والنصارى. انه عمل معروفا مع النصاري لا يقدر».

يقول السيّد الأمين: «وتفصيل هذا هو أن المترجم آوى جماعة منهم في داره وأكرمهم..»[4].

رابعا ـ الشجاعة والجرأة الكبيرة:

لقد اتسم الشيخ بالشجاعة والجرأة والمواقف الحاسمة ولم تكن تأخذه في اللّه لومة لائم، «فكان له جاه عظيم عند أُمراء البلاد.. إلّا أنه كان يقول لأحدهم أنت ظالم

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ٦٠، وآل صفا ـ جابر، تاريخ جبل عامل: ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٢) الصدر، التكملة: ٢٧١.

(٣) الأمين، الأعيان: ٨ / ٦٠.

(٤) المرجع نفسه: ٨ / ٦١.

لا أدخل منزلك ولا آكل زادك، وينزل في دار رجل صالح متفقه»[1].

٢ ـ الشيخ موسى شرارة (ت ١٣٠٤ هـ).

قال السيّد الأمين في الأعيان:

«وآل شرارة بيت علم في جبل عامل.. وكان المترجم له، عالما فاضلاً معاصرا محققا مدققا فقيها أُصوليا شاعرا أديبا واعظا خطيبا فصيحا حسن الأخلاق عالي الهمة كثير الحفظ حسن الخط ـ جميل الصفات جامعا لأنواع الكمالات..»[2].

أكمل دراسته الأولية في جبل عامل وقرأ عليه الطلّاب فيها.. وكانت مدة قراءته اثنتي عشرة سنة ثمّ ارتحل إلى النجف الأشرف سنة (١٢٨٨ هـ) وقرأ القوانين في النجف وبعض الرسائل على الشيخ مرتضى الأنصاري وكان المدرس الأول في النجف في الأُصول وقرأ شرح اللمعة عند الفقيه الشيخ عبد الحسين الطريحي وكان وحيدا في تدريسها في النجف، وكانت قراءته لهذين الكتابين عندهما قراءة تحقيق وتدقيق.. وأتم قراءة الرسائل على الشيخ ملّا كاظم الخراساني مع حاشيته على الكتاب المذكور، وقرأ في الفقه على الشيخ محمد حسين الكاظمي وعلى الشيخ محمد طه نجف...

ثمّ صار يقرأ في الأُصول والفقه خارجا عند علماء العرب والفرس، واختلط بالعراقيين اختلاطا تاما أمثال السيّد محمد سعيد الحبوبي والشيخ أحمد ابن صاحب الجواهر، والسيّد مهدي الحكيم والسيّد حسن الصدر وغيرهم، وأقام في العراق نحوا

---

(١) الأمين، الأعيان: ٨ / ٦٠.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٠ / ١٧٢.

من تسع سنين ثمّ رجع إلى جبل عامل سنة (١٢٩٧ هـ)[١].

ويعتبر الشيخ موسى شرارة من العلماء الربانيين العاملين بعلمهم، والكادحين من أجل الإسلام والمذهب والارتقاء بالأُمة في العلم والعمل. فبعد عودته إلى جبل عامل: «اطلع أهل البلاد عليه وعلى فضله وعلمه وربانيته وقوته العلمية والعملية مع كمال المعرفة بالسياسة ومواقع الأُمور، أكب عليه أهل العلم وعرفوا قدره، وتصدى للتدريس وتربية المشتغلين، وهو مع ذلك مشغول في احياء السنن وهداية الناس وترويج الدين وابطال بعض ما كانوا عليه من العادات غير المشروعة، فأعلى كلمة الدين وأعز بسيرته الشرع المبين، وصارت البلاد تزهر بنور علمه وتشرق بنفحات قدسه..»[٢].

وقد توسع السيّد محسن الأمين في بيان مشاريعه الإصلاحية وهو من تلامذة مدرسته[٣].

ويمكن تلخيص المشاريع الاصلاحية للشيخ موسى شرارة في حوزة جبل عامل بما يلي:

١ ـ أنشأ في بنت جبيل مدرسة علمية اجتمع إليها جل طلّاب العلم الذين كانوا في جبل عامل.. وكان يتعاهد أُمور الطلبة والمدرسين.

٢ ـ كان له احترام خاص للسادة والاشراف وأهل العلم ويبالغ في اكرامهم وتعظيم العلماء منهم ويحث الناس على ذلك.

٣ ـ قام بتهذيب طريقة الوعظ في المجالس العامة وتلاوة خطب نهج البلاغة.

---

(١) الأمين، الأعيان: ١٠ / ١٧٢ ـ ١٧٤ بتصرف.

(٢) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٤٠٥.

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٠ / ١٧٢ ـ ١٧٣.

٤ ـ سن مجالس الفاتحة في وفيات العلماء والعظماء ونظم القصائد في رثاء العلماء وحث الأُدباء على ذلك.

٥ ـ التأليف بين الطائفتين السنية والشيعية «وكان كلما اجتمع بأحد من أهل السنة من حاكم أو عالم أو غيرهما يكون حديثه في الغالب مقصورا على التأليف بين الطائفتين».

٦ ـ سعى في بناء المسجد الكبير في بنت جبيل على ما هو عليه اليوم من أموال المرحومين الحاج محمد وأخيه الحاج سليمان البزي.

٧ ـ تطوير طريقة التدريس في حوزة جبل عامل «وأدخل تحسينا كثيرا على طريقة التدريس بالالتزام بتفسير العبارة والاقتصار على ذلك، وعدم الاكثار من المطالب الخارجة عن العبارة..».

٨ ـ تهذيب وتحسين المجالس الحسينية «وذلك بترتيب المجالس الأُسبوعية والوعظ فيها، بقراءة بعض خطب نهج البلاغة.. وقراءة الأحاديث على النحو الذي يتلى في مجالس العراق..».

٩ ـ وأدخل تحسينا كثيرا على الشعر والأدب بتغيير أُسلوبه عما كان عليه.. وسن للأُدباء طريقة جديدة.. فظهر في الأدب العاملي فرق واضح.

١٠ ـ تربية الطلّاب وتعليمهم والحث على طلب العلم.. «واتفق انه تكلم في فضل تعلم العلم، في بعض أسفاره إلى كربلاء مع جماعة من الكسبة. فلما رجعوا إلى النجف ترك أُولئك الكسب والتجارة وصاروا يطلبون العلم..»[١].

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٠ / ١٧٣، والصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٤٠٥.

٣ـ السيّد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١ هـ).

يعتبر السيّد محسن بن السيّد عبد الكريم الأمين الحسيني العاملي الشقرائي؛ من أبرز علماء جبل عامل، وعلم شامخ من أعلامها، بل ومن أعلام الإسلام علما وعملاً ومنهجا.

وبيت الأمين، من البيوتات العلمية الشهيرة في جبل عامل، جاء أحد أجداد هذه الأُسرة من مدينة الحلة العراقية إلى جبل عامل بطلب من أهلها ليكون مرجعا دينيا ومرشدا، فاختار الاقامة الدائمة في أرض عاملة، وعرفت الأُسرة بآل الأمين نسبته إلى أحد أجداد المترجم السيّد محمد الأمين، بعد أن كانت تعرف باسم العشيرة قشاقش.

ولد المؤلف في قرية شقراء من بلاد جبل عامل سنة (١٢٨٤ هـ) وتوفي في منتصف ليلة الأحد في ٤ رجب سنة (١٣٧١ هـ) عن عمر ناهز السبع والثمانين عاما. فهو عراقي الأصل عاملي المولد، دمشقي المهجر والمدفن[١].

وللسيّد الأمين ترجمة موسعة بقلمه الحقت بخاتمة كتابه القيم (أعيان الشيعة) وتجدها في كتابه الآخر (معادن الجواهر)[٢]، وفيها استطرادات كثيرة ومهمة. حيث تحدث عن نسب أُسرته ونشأته وعن مسيرته العلمية في مدن جبل عامل، ثمّ هجرته العلمية إلى العراق وتتلمذه على يد أساطين علمائها ومراجعها آنذاك..، وميزة هذه السيرة انها في الوقت الذي تؤرخ لحياة المؤلف نفسه فهي تعطي صورة عن الأوضاع العلمية والاجتماعية والدينية التي سادت البلاد قرابة قرن من تاريخها[٣].

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٠ / ٣٣٤.

(٢) المرجع نفسه: ١٠ / ٣٣٣ وما بعدها، ومعادن الجواهر ونزهة الخواطر للمؤلف نفسه، المجلد الرابع بأكمله، طبعة دار الزهراء ـ بيروت، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

(٣) الأمين ـ حسن، مقدمة كتاب معادن الجواهر: ٤ / ١٧.

* الجانب الاصلاحي في مسيرة السيّد محسن الأمين:

للسيّد الأمين مسيرة اصلاحية مشرقة عالج خلالها الكثير من الأمراض والعلل الاجتماعية والدينية التي كانت سائدة آنذاك.

فبعد رحلة علمية إلى حاضرة العلم النجف الأشرف، قضى فيها نحوا من عشر سنين ونصف، كتب إليه شيعة دمشق يطلبون حضوره إليهم والسكن عندهم، فخرج من النجف في أواخر جمادى الثانية سنة (١٣١٩ هـ).

يتحدث السيّد الأمين عن حركته الاصلاحية في دمشق فيقول:

«وردنا دمشق في أواخر شعبان من سنة (١٣١٩ هـ)، فوجدنا أمامنا أُمورا هي علة العلل ولابد في اصلاح المجتمع من النظر في اصلاحها:

١ ـ الأُمية والجهل المطبق:

فقد وجدنا معظم الأطفال يبقون أُميين بدون تعليم، وبعضهم يتعلمون القراءة والكتابة في بعض الكتاتيب على الطراز القديم.

٢ ـ اختلاف القوم فيما بينهم:

وجدنا أخواننا في دمشق متشاكسين منقسمين إلى حزبين بل إلى أحزاب، وقد أَخذت هذه الحزبية مأخذها.

٣ ـ مجالس العزاء:

وما يتلى فيها من أحاديث غير صحيحة وما يصنع في المشهد المنسوب إلى زينب الصغرى المكناة بأُم كلثوم في قرية رواية من ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات وبعض الأعمال المستنكرة وقد صار ذلك كالعادة التي يعسر استئصالها لا سيما أنها

ملبسة بلباس الدين. فوجهنا اهتمامنا إلى اصلاح هذه الأُمور الثلاثة..»[1].

لم تقتصر أعمال السيّد الأمين الاصلاحية على هذه الجوانب الثلاثة المهمة، وإنما عمل بكل جهده على توحيد كلمة المسلمين والدفاع عن مصالحهم والوقوف أمام المخططات الاستكبارية التي تريد النيل منهم، وذلك من خلال نشر الوعي الإسلامي بشتى الوسائل المتاحة، ففتح المدارس والمعاهد التي لا زالت تعرف باسمه (المدارس المحسنية) و (المدرسة العلوية).

وفي مجال التأليف والكتابة نجد له آثارا قيمة ومصنفات جليلة عالج فيها وبموضوعية قضايا الدين والإسلام والمذهب وبأُسلوب رصين يتسم بالحكمة وجميل الموعظة بعيدا عن العصبية أو الطائفية أو التطرف. فكان وبحق رجل العلم والعمل والاصلاح[2].

رحمه اللّه برحمته وأسكنه الفسيح من جناته.

٤ ـ السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي (ت ١٣٧٧ هـ).

ترجم له معاصره وزميله الشيخ الطهراني ترجمة موسعة في طبقاته جاء فيها:

«هو السيّد عبد الحسين بن السيّد يوسف بن السيّد جواد بن السيّد إسماعيل ابن السيّد محمد بن السيّد إبراهيم الملقب بشرف الدين الموسوي العاملي.

ونسب السيّد شرف الدين من أصح الأنساب وأشرفها، وهو أشهر من أن يحتاج

---

(١) الأمين ـ محسن، الأعيان: ١٠ / ٣٦١.

(٢) للتوسع أُنظر ما قيل في السيّد الأمين بعد وفاته، خاتمة أعيان الشيعة: ١٠ / ٣٧٨ وما بعدها، وكذلك كتاب الكاتبة صابرينا ميرفان، حركة الإصلاح الشيعي، ترجمة: هيثم الأمين، طبعة دار النهار ـ بيروت، ٢٠٠٣ م.

إلى ذكر، وأجل من أن يفتقر إلى توثيق.

و (آل شرف الدين) و (آل صدر الدين) فرعان من أصل واحد، وغصنان من دوحة واحدة، وقد ظهر فيهما منذ السنين المتطاولة أساطين الدين وأكابر الفقهاء وأئمة العلم، ولا تزال آثارهم ومآثرهم الجليلة غرة ناصعة على جبين الدهر، ووسام شرف يتوارثه الخلف عن السلف، وقد فتح المترجم له لأُسرته صفحة جديدة، وأضاف إلى مجدها بمفرده ما تقصر عن حيازته مثله الجماعة، فهو تاريخ حافل، ومأثرة تباهي بها الأواخر الأوائل.

ولد في الكاظمية في سنة (١٢٩٠ هـ) ونشأ على أبيه فتعلم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم، ثمّ قرأ سطوح الفقه والأُصول على لفيف من رجال الفضل في الكاظمية وسامراء والنجف الأشرف.. فحضر في النجف الأشرف عند الشيخ حسن الكربلاني، والشيخ محمد طه نجف، والشيخ كاظم الخراساني، والسيّد محمد كاظم اليزدي، وشيخ الشريعة الإصفهاني، ولازم حلقات دروسهم في الفقه والأُصول، والحكمة والكلام، والتفسير والحديث، وغيرها حتى سطع نجمه في الأوساط العلمية، ورمق بعين الاعجاب والتقدير من قبل مشايخه الأجلاء وغيرهم من الأعلام.

وفي سنة (١٣٢٢ هـ) عاد إلى جبل عامل مزودا باجازات الاجتهاد واستقبله أهل بلاده والتفوا حوله، فكان أمامهم المقدم ومرجعهم الجليل. ولم يقصر جهده على العمل في نشر الأحكام وهداية الأنام، بل كان قائدا موجها ومصلحا اجتماعيا وزعيما وطنيا، وكان يوالي بذل الجهد من أجل خدمة مجتمعه واصلاح شؤونه.. كما خاض ميدان النضال ضد الحكام الأجانب في عهدي الأتراك والاحتلال (الفرنسي).. وهكذا عمل في مختلف الميادين الاصلاحية والحركات السياسية والوطنية، وكان في جميع ذلك من قادة الفكر وزعماء الرأي كما يشهد به تاريخ جبل عامل الحديث.

وكان من أكبر دعاة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب، وقد دعا إلى توحيد الصف وجمع الكلمة، وجند لذلك كل قابلياته وامكانياته، وكان أول تأليف له في هذا الموضوع كتابه الجليل (الفصول المهمة في تأليف الأُمة).

ولما طغى سيل المدنية الغربية واتجهت جموع الناس إلى المدارس الحديثة التي لا تُعنَى بالتربية الدينية.. فكر في انقاذ من يمكنه انقاذه من هذه الهوة العميقة.. فقرر فتح مدارس للبنين والبنات، تحفظ لهم عقائدهم وتضمن لهم التربية الدينية إلى جانب التربية الزمنية، وهكذا كان فقد شيّد (المدارس الجعفرية) التي نمت وتوسعت وصارت (الكلية الجعفرية) وذلك مشروع جليل وعمل جبار بناء لا يثمنه إلّا الواعون والنابهون من العلماء.

وبالرغم من مرجعيته واشتغاله بالخدمات المختلفة وابتلائه بقضاء حوائج الناس، لم يفته الأخذ بحظه في عالم التأليف، بل تفوق فيه على من تفرغ له وانصرف إليه. فقد أفرغ في بوتقة التأليف عشرات الكتب القيمة الرصينة.. وكان له في الكتابة أُسلوب خاص تميز به عمن سواه، واختص بالدراسات الشيعية فوقف نفسه وقلمه لها.. ولقد أبان أُمورا وكشف حقائق لم يكن ليعرفها الكثير من العلماء لو لم يبعثها قلمه الحر النزيه.

ورابط بعد ذلك على حدود الإسلام حارسا أمينا للدين، وحساما مشهورا على رقاب المنحرفين، وجنديا مخلصا يرد عنه كيد أعدائه ويوجه النصح والارشاد إلى الضال والمغالط من أبنائه، وقد أدى رسالة عظيمة قد يعجز عن تأديتها جيل بكامله وأُمة بمجموعها...

ثمّ يختتم الشيخ الطهراني ترجمة السيّد بمقولة تنم عن عمق معرفته به فيقول: «ولا أكون مبالغا إذا قلت بأن المذهب الجعفري على ما هو عليه من حق وظهور ووضوح

مدين للمترجم له، فقد نشره من جديد بأُسلوب العصر، وخدمه بكل ما أُتي من براعة وعبقرية، فأظهر الحق وأزهق الباطل، فنصره اللّه على أعدائه نصرا كبيرا وفتح له فتحا مبينا...

لقد كان المترجم له؛ مأثرة من مآثر الوقت وآية كبرى ازدهى بها العصر الحاضر، وحسب هذا القرن مفخرة أن ينبغ فيه مثل هذا العبقرى الفذ، وحسب عاملة أن تقل باحتها علما خفاقا للدين وسيفا مشهورا للهدى مثله من بقايا العترة الطاهرة...

فماذا يقول الواصف فيه، أهو مجتهد فاضل، أم متكلم بارع، أم فيلسوف محقق، أم أُصولي ضليع، أم مفسر كبير، أم محدث صدوق، أم مؤرخ ثبت، أم خطيب مصقع، أم باحث ناقد أم أديب كبير؟؟! نعم هو كل ذلك. أضف إليه أنه ذلك المجاهد الدائب على نضاله دون الدين والمكافح المتواصل دفاعه عن المذهب الحق..»[١].

وللسيّد شرف الدين ترجمة موسعة في كتب التراجم كما أنه ترجم لنفسه في موسوعته عن آل شرف الدين، بعنوان (بغية الراغبين) كما أن هنالك مؤلفات قيمة تناولت جوانب كثيرة من شخصيته الفذة. إلّا أننا آثرنا أن ننقل ما قاله الشيخ الطهراني لأنها شهادة حسية منه للسيّد، إذ إنه من معاصريه، ومن زملائه في الدرس، وله معه رفقة أخوية وعلمية لأكثر من نصف قرن من الزمن، اطلع خلاله على أحواله ومشاريعه ومؤلفاته وزاره في مدينة صور واطلع عن قرب على مشاريعه الاصلاحية[٢].

وأما مؤلفات السيّد شرف الدين وآثاره العلمية، فهي كثيرة ذكرها الشيخ الطهراني في طبقاته وذريعته، وقد أحصاها بعض الباحثين فذكر منها خمسة عشر عنوانا بحسب

(١) الطهراني، نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ٣ / ١٠٨٠ وما بعدها.

(٢) أُنظر المرجع نفسه: ٣ / ١٠٨٤.

تواريخ صدورها[1]، ومن أهمها:

١ ـ الفصول المهمة في تأليف الأُمة.

٢ ـ المراجعات.

٣ ـ مقدمة المجالس الفاخرة.

٤ ـ الكلمة الغراء.

٥ ـ بغية الراغبين.

٦ ـ النص والاجتهاد.

وغيرها من المؤلفات القيمة، بالاضافة إلى كتب أُخرى فقدت أو احترقت أيام مواجهته للاحتلال الذي: «أصدر الحكم باغتياله، وهوجمت داره وأُحرقت مكتبته، وتلف فيها نيف وعشرون من مؤلفاته المخطوطة..»[2].

قضى السيّد شرف الدين نحبه، وانتقل إلى رحمة اللّه في بيروت سنة (١٣٧٧ هـ).. وقد نقل جثمانه الشريف إلى بغداد بعد أن شيع في بيروت تشييعا مهيبا، وشيّع في مدينته الكاظمية ثمّ في كربلاء، والنجف، حتى أودع في مقره الأخير في الحجرة المجاورة لمقبرة السيّد محمد كاظم اليزدي من جهة الجنوب من الصحن العلوي الشريف[3].

---

(١) أُنظر دراسة السيّد منذر الحكيم ضمن موسوعة الإمام شرف الدين، بعنوان المدخل، حياة الإمام شرف الدين: ١ / ٤٦٩ ـ ١٧٠، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م).

(٢) الطهراني، نقباء البشر: ٣ / ١٠٨٢.

(٣) المرجع نفسه: ٣ / ١٠٨٦.

٥ ـ السيّد موسى الصدر العاملي.

له ترجمة في ملحقات بغية الراغبين جاء فيها: «السيّد موسى الصدر هو ابن السيّد صدر الدين بن السيّد إسماعيل بن السيّد صدر الدين محمد بن السيّد صالح شرف الدين العاملي.

هاجر والده إلى إيران وتوطّن خراسان، ثمّ استدعاه المرجع عبد الكريم الحائري اليزدي ليقيم في قم فتحول إليها حتى توفي سنة (١٩٥٤ م).

وفي مدينة (قم) ولد السيّد موسى الصدر في سنة (١٩٢٨ م)، وتلقى علومه الابتدائية والثانوية، كما تلقى دراسته الدينية على عدّة من أساتذة حوزتها، ثمّ تابع دراسته الجامعية في كلية الحقوق في جامعة طهران وحاز على الاجازة في الحقوق، واتقن اللغة العربية مضافا إلى الفارسية وألم بالفرنسية والإنكليزية، وصار أُستاذا محاضرا في جامعة قم الدينية..، ثمّ انتقل سنة (١٣٧٤ هـ) إلى النجف الأشرف، وبقي فيها عدّة سنين[1]، حضر خلالها في الفقه والأُصول على كبار مراجع الدين كالسيّد محسن الحكيم، والسيّد أبي القاسم الخوئي وغيرهما...

سافر إلى لبنان سنة (١٣٧٤ هـ) فتعرف على أُسرته في صور، وحلَّ ضيفا في دار كبيرهم حجة الإسلام والزعيم الديني السيّد عبد الحسين شرف الدين الذي تعرّف على مواهبه ومزاياه، وصار يتحدث عنه في مجالسه بما يوحي بجدارته لأن يخلفه في مركزه بعد وفاته.

وبعد وفاة السيّد عبد الحسين شرف الدين سنة (١٣٧٧ هـ) كتبت صور رسالة إليه

---

(١) يذكر السيّد محمد الغروي أن السيّد موسى مكث في النجف الأشرف سنة ونصف فقط. أُنظر: مع علماء النجف: ٢ / ٥٢٢.

في قم تدعوه إليها. وهكذا قدم لبنان في أواخر سنة (١٩٥٩ م) أوائل سنة (١٣٧٩ هـ)، وأقام في مدينة صور»[١].

لقد خلف السيّد موسى الصدر الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين في مدينة صور والتي هي بمثابة القلب والمركز لقرى وبلدات جبل عامل، فكان عليه مواصلة حركة الاصلاح التي بدأها السيّدان الأمين محسن، وشرف الدين عبد الحسين، وأن يواصل المسيرة ويكمل المشاريع الاصلاحية.. وهكذا كان عند حسن ظن من استخلفه فكان ـ وبحق ـ خير خلف لخير سلف، فما أن حلَّ في مدينة صور حتى بدأ «بانجاز أعمال جليلة على صعيد المسلمين واللبنانيين طيلة عشرين عاما حتى يوم إخفائه في ليبيا ما يعجز عن انجازه إنسان آخر»[٢].

وانجازات السيّد موسى الصدر الدينية والاجتماعية والسياسية، بل والعسكرية كثيرة جدا استغرقت فترة عقدين من الزمن، وقد دون هذه الانجازات أحد المعاصرين والملازمين له وهو السيّد محمد الغروي في كتاب باسم (أيام مع الإمام السيّد موسى الصدر) وطبع سنة (٢٠٠٥ م) ذكر فيه ما يقرب من أربعين انجازا اجتماعيا وعسكريا وتربويا وسياسيا، من أهمها:

١ ـ إعادة تنظيم جميعة البر والاحسان في صور، وجمع التبرعات والمساعدات لها...

٢ ـ إنشاء مؤسسة جبل عامل المهنية لايواء الايتام وذوي الحالات الاجتماعية الصعبة لتعليمهم وتأهيلهم مهنيا.

---

(١) شعيتو ـ محمد، مقال بعنوان السيّد موسى الصدر ملحقات بغية الراغبين، ضمن موسوعة السيّد عبد الحسين شرف الدين: ٨ / ٣٢١ وما بعدها، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م.

(٢) الغروي، مع علماء النجف: ٢ / ٥٢٣.

٣ ـ إنشاء كشافة الرسالة الإسلامية لصنع رجال المستقبل من الشباب في أنحاء لبنان.

٤ ـ إنشاء بيت الفتاة لترقية المستوى الاجتماعي للمرأة من خلال مدرسة محو الأُمية والمدرسة الفنية العالية للتمريض.

٥ ـ تأسيس معهد الدراسات الإسلامية لتدريس طلبة العلوم الدينية.

٦ ـ إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى لرعاية شؤون الطائفة...

٧ ـ أسس حركة المحرومين، والتي تحولت إلى حركة أفواج المقاومة ـ أمل.

٨ ـ إنشاء مستشفى الزهراء في بيروت ومستوصفات في أنحاء لبنان.

٩ ـ إلقاء الدروس والمحاضرات، وتأليف الكتب والمؤلفات حول الإسلام والمرأة والفقه والفلسفة، والقرآن..[1].

استمر السيّد في حركته الاصلاحية إلى حين اختفاءه في ليبيا سنة (١٩٧٨ م) الموافق (١٣٩٩ هـ).

٦ ـ الشيخ محمد جواد مغنية العاملي (ت ١٤٠٠ هـ).

ولد الشيخ محمد جواد بن الشيخ محمود بن الشيخ محمد مغنية سنة (١٣٢٢ هـ) في قرية من قرى جبل عامل تعرف بـ (طيردبا)، ودرس على شيوخ قريته مبادئ العلوم، ثمّ هاجر منها إلى بيروت، ومن بيروت شدّ رحاله إلى مدينة العلم النجف الأشرف في رحلة مضنية شاقة سجل مفرداتها المترجم له بقلمه في كتاب يتضمن تجاربه في الحياة[2].

---

(١) الغروي، مع علماء النجف: ٢ / ٥٢٥، وشعيتو، ملحق بغية الراغبين: ٨ / ٣٢٨.

(٢) الغروي ـ محمد، علماء النجف: ٢ / ٤٠١، وأُنظر: مغنية ـ محمد جواد، تجارب محمد جواد مغنية: ١٧.

وأُسرة (آل مغنية) من الأُسر الجليلة المعروفة في جبل عامل بالعلم، أما عن أصل بيتهم وتسميتهم فيقول أحد علمائها: «ولا أدري عن أصل الكلمة سوى أنها مدينة في الجزائر، فهل ـ يا ترى ـ هاجر منها جدنا الأسبق إلى جبل عامل في لبنان في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي؟ أو أنّ جدتنا السابقة كانت ذات أملاك وأموالٍ طائلة فاشتهرت بالمغْنِية، أي أَغنَت ورثتها بما تركت لهم من مال وثراء كما هو معروف بين أبناء هذه الأُسرة أبا عن جد؟ اللّه أعلم!! ومغنية أيضا اسم لنهر ينبع من السفح الشرقي بجبل الشيخ ويجري باتجاه دمشق»[(١)].

وقد أشاد الشيخ الطهراني بذكر هذه الأُسرة، ونوّه بالمترجم له، وذلك عند ترجمة شقيقه الشيخ عبد الكريم مغنيّة العاملي فقال: (آل مغنية) من بيوت العلم والفضل والأدب في لبنان، نبغ فيه أعلام وأجلاء، وقد عرف رجاله بالشرف والصلاح، وفيهم بعض الأساطين مرَّ ذكر بعضهم ويأتي ذكر الباقين.. ثمّ يقول: «وللمترجم له شقيقان، أكبرهما الشيخ محمد جواد مغنية من علماء جبل عامل الأعلام، ومن المجاهدين والمدافعين عن المذهب الجعفري، وله مؤلفات قيمة، ومواقف مشرفة، حفظه اللّه وزاد في توفيقه»[(٢)].

درس المترجم له في النجف الأشرف على كبار علماء ومراجع زمانه منهم السيّد أبو الحسن الإصفهاني، والسيّد عبد الهادي الشيرازي، والشيخ محمد حسين الاصفهاني، وكان من أبرز أساتذته السيّد حسين الحمامي[(٣)].

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ٢٤٤ عن تجارب محمد جواد مغنية: ١٧.

(٢) الطهراني ـ آقا بزرگ، نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ٣ / ١١٨٠ ـ ١١٨١.

(٣) الأميني ـ محمد هادي، معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ١ / ٦٦، والغروي، علماء النجف: ١ /٤٠١.

بعد مدة طويلة مكث خلالها المترجم له في النجف الأشرف، ونال حظا وافرا من العلم والأدب وبرز بين الطبقات الروحية كعضو حساس له قيمته ووزنه.. وأخذ عليه فريق من الشباب المهاجر وغيرهم كثيرا من الدروس، رجع إلى بلاده عام (١٣٥٤ هـ) فسكن قرية معركة، ثم انتقل إلى طير حرفا، وبعدها انتقل إلى بيروت حيث عين قاضيا فيها»[١].

أما وجوه الاصلاح التي قام بها الشيخ مغنية، فيقول أحد معاصريه في ترجمته: «قدم للإسلام والمسلمين خدمة جليلة لا يستهان بها أبدا، ولا تنسى عن الذاكرة نهائيا من خلال كتبه الإسلامية الكثيرة المتنوعة التي ألفها بأُسلوب شيق وجذّاب وسهل، حيث فاقت الخمسين، فكان الجيل الصاعد يتلقف كتب سماحته بكل لهفه ويدرسها ويتمعن بها حتى أن المثقفين من كل الديانات كانوا يترصدون الأسواق لصدور كتاب لسماحته فيبتاعوه ويقرأوه»[٢].

ومن يطلع على مؤلفات الشيخ مغنية يجد فيها الآراء الصائبة، والأفكار القيمة، والمنهجية الحديثة، ورشاقة التعبير، بالاضافة إلى الموضوعية والأمانة العلمية، والابتعاد عن التنظير الطوباني بعيدا عن الواقع وإنما كان يعيش الواقع الاجتماعي ويشخص أمراضه، ويحاول أن يعالج ذلك بموضوعية تامة، ولهذا نجد السيّد الشهيد الصدر في مقال له في مجلة رسالة الإسلام تحت عنوان (الفهم الاجتماعي للنص في فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام) يثني فيه على منهجية الشيخ مغنية في كتابه (فقه الإمام

(١) الخاقاني ـ علي، شعراء الغري: ٧ / ٤٣٢، أُفست مكتبة المرعشي النجفي ـ قم، ١٤٠٨ هـ
(٢) الغروي ـ محمد، علماء النجف: ٢ / ٤٠١.

جعفر الصادق)[1].

ولم تقتصر جهود الشيخ مغنية على مجالات التأليف ونشر المقالات الناضجة في المجلّات الشهيرة كالعرفان ورسالة الإسلام والتي اتسمت بالتجديد والابتكار والجرأة الدينية.. وإنما تخطى ذلك إلى مجال السياسة والقضاء والذي هو شعبة من شُعَب السياسة، فقد عين قاضيا شرعيا في بيروت، ثمّ مستشارا للمحكمة الشرعية العليا، فرئيسا لها بالوكالة، ثمّ أقصي عن الرئاسة وأُحيل للتقاعد بعد أن أبى عن محاباة بعض المتنفذين في قضية معروفة ينقلها السيّد حسن الأمين فيما استدركه على الأعيان[2].

ومن مجالات الاصلاح الأُخرى والتي خاض غمارها المترجم له هو مجال التدريس وتربية العلماء والفضلاء، وقد مارس التدريس في النجف الأشرف «وأخذ عليه فريق من الشباب المهاجر وغيرهم كثيرا من الدروس»[3].

وطلبت منه (دار التبليغ الإسلامي) في مدينة قم التدريس فيها، فأقام بها من سنة (١٣٩٠ هـ) إلى سنة (١٣٩٥ هـ) مدرسا[4].

وكانﷺ أديبا شاعرا نقل الخاقاني صاحب شعراء الغري مقاطع كثيرة من شعره، الذي قال عنه: «وشعره يحكي روحه ومشاعره، فقد ظهر فيه مظهر العضو النابه في مجتمعه، يهمه ما يجري فيه من أحداث، ويروقه أن يتخطى على غرار الشعوب الحية،

---

(١) أبو زيد ـ أحمد عبد اللّه، محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة: ٢ / ٧٧ عن مجلة رسالة الإسلام: السنة الأُولى، العدد الثالث، ١ / صفر ١٣٨٦ هـ.

(٢) الغروي، علماء النجف: ٢ / ٤٠١، وأعيان الشيعة: ٩ / ٢٠٥.

(٣) الخاقاني، شعراء الغري: ٧ / ٤٣٢.

(٤) السبحاني، طبقات الفقهاء: ٢ / ١٤ ص: ٦٥٣.

نادى بقومه وأكثر من النداء، وسعى إلى يقظة الأذهان»[1]. ثمّ ينقل بعض المقاطع من قصيدة له بعنوان: أين اطباء النفوس، جاء فيها:

كثرت اطباء الجسوم بمصرنا أما النفوس فما لهن طبيب
ثبتت جذور الداء في أعماقها حتى استحال إلى النهى التطبيب

***

أنا ما رأيت من الذين عرفتهم رجلاً يزين فعاله التأديب
لا يشعرن لكي يفيد بلاده وإلى الوظيفة شاعر وخطيب
تاللّه لم يبغ الصلاح وإنما يبغي بذلك أن يقال أديب

وقوله:

ان اشتهار المرء ليس يفيده ما لم يكن عمل لديه يجيده
شتان بين الخاملين وبين من خطب الصلاح إلى البلاد نشيده
فمتى تقوم من السبات رجالنا لتعود للوطن العزيز سعوده
تتقدم الأمصار إلّا مصرنا أهل النفاق إلى الوراء تقوده[2]

وبعد عمر حافل بالعطاء والمشاركة الفاعلة في مختلف مناحي الحياة الدينية والاجتماعية، وافاه الأجل المحتوم وهو يتحدث في إحدى ليالي محرم سنة (١٤٠٠ هـ) على المنبر الحسيني في حارة صيدا، وانتقل إلى رضوان اللّه، ثمّ نقل جثمانه إلى النجف ووري الثرى في الصحن العلوي الشريف[3].

---

(١) الخاقاني، شعراء الغري: ٧ / ٤٣٣.

(٢) المرجع نفسه: ٧ / ٤٣٣ ـ ٤٣٤.

(٣) الغروي، علماء النجف: ٢ / ٤٠٢.

٧ـ الشيخ حبيب آل إبراهيم العاملي (ت ١٣٨٤ هـ).

عُرف المترجم له بـ (المهاجر العاملي) إذ كانت حياته كلها هجرة متواصلة إلى اللّه سبحانه، وهجرة من أجل دين اللّه ضمن مسيرة حافلة، «عاش فيها مع الناس في بيوتهم البائسة، وأمضى الأيام والليالي متنقلاً من قرية إلى قرية، ومن بلدة إلى بلدة ليُسمع كلمة اللّه، محاربا التخلف والظلم بكل اشكاله»(١).

ترجم له معاصره الشيخ الطهراني في الطبقات فقال: «هو الشيخ حبيب بن محمد بن الحسن بن إبراهيم المهاجر العاملي، عالم كبير وأديب جليل ومصنّف مكثر.

ولد في (حنوية) عام (١٣٠٤ هـ) ونشأ بها فقرأ مبادئ العلوم ثمّ هاجر إلى النجف، فحضر على علماء وقته كشيخ الشريعة الإصفهاني والشيخ علي بن باقر الجواهري، والميرزا محمد حسين النائيني والسيّد أبي الحسن الإصفهاني وغيرهم، وأجازه سيدنا الحسن الصدر وغيره.

ونزل العمارة والكوت مدة للقيام بوظائف الشرع الشريف وكيلاً من قبل مراجع النجف، وخرج من العراق في (١٣٥٠ هـ) فهبط بعلبك، وقام باعباء الهداية والارشاد واشتغل بالتصنيف والتأليف، ولم يزل إلى يومنا هذا مشغولاً بتأدية رسالته الدينية ومواصلة السير والسعي الحثيث وراء تأييد المذهب وتوحيد الكلمة. فهو من المصلحين المجاهدين ومن أعلام الفكر والعلم في تلك الديار، وهو اليوم مفتي الديار البعلبكية، له آثار خيرية ومآثر جليلة، وتصانيفه متنوعة فيها ما هو في الرد على

---

(١) المهاجر ـ جعفر، مقال بعنوان: الرجل الذي هزم الاستعمار مرتين، ضمن كتاب المؤتمر التكريمي للعلّامة الشيخ حبيب آل إبراهيم: ٤٨، إصدار المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية ـ بيروت، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

الماديين، وفيها في سائر أُصول الدين وفروعه، وفي التاريخ والأدب والعلوم المتنوعة منها: (منهج الحق) و (محمد الشفيع) و (الانتصار) في جواب ثلاث عشرة مسألة و (اليتيمة) و (أنا مؤمن) للمبتدئين حول مجمل العقائد وطريقة العبادة على المذهب الجعفري وغير ذلك. وهو لحدّ الآن لا يكل ولا يملُّ من العمل فقد أصدر كتابا شهريا باسم (الإسلام في معارفه وفنونه) وهو مجدٌّ في الاستمرار على اصداره، وقد جدَّدنا به العهد في سفرته الأخيرة إلى العتبات في (١٣٧٢ هـ) مدَّ اللّه في عمره ونفع به»[١].

وحيث أن ترجمة الشيخ الطهراني في حياة المترجم له لذا يدعو له بطول العمر، وقد ذكر محقق كتاب الطبقات في ذيل الترجمة، أن المترجم له: توفي في عاشر شوال (١٣٨٤ هـ)[٢].

وقد فات الشيخ الطهراني ذكر مؤلفات أُخرى للشيخ الحبيب منها كتاب: (الحقائق في الجوامع والفوارق)، وهو كتاب مهم في مجلدين بحث فيه المؤلف نقاط الاختلاف والاتفاق الفقهية بين المذاهب، كذلك كتاب (ذكرى الحسين) وكتاب (الجواب النفيس على مسائل باريس) وكتاب (الصراط المستقيم) وغيرها من الكتب والمؤلفات، كما أنه جمع محاضراته في كتاب بعنوان (المحاضرات العمارية)[٣].

والشيخ الحبيب من العلماء العاملين، فقد «كان عالما اماميا كبيرا، فقيها، أديبا، مؤلفا، من رجال الاصلاح[٤]. وهكذا تعددت الأبعاد والعناوين والاهتمامات عند

---

(١) الطهراني ـ آقا بزرك، نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ١ / ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٢) المرجع نفسه: ١ / ٣٥٢.

(٣) السبحاني، الطبقات: ١ / ١٤ ص: ١٦٩، والأميني ـ محمد هادي، مع رجال الفكر في النجف: ٢ / ٨٧٨.

(٤) المرجع نفسه: ١ / ١٤ ص: ١٦٩.

الشيخ الحبيب المهاجر، فعمل في مختلف الأصعدة والنشاطات الاجتماعية والمعرفية من أجل اعلاء كلمة الإسلام والارتقاء بالأُمة إلى مستوى الوعي والبصيرة مستخدما في ذلك الوسائل العصرية في مخاطبة عقل ووجدان الأُمة. بالاضافة إلى النشاطات الاجتماعية وتقديم الخدمات للمحرومين، ولا يمكن لنا أن نستوعب كل نشاطات وفعاليات الشيخ المهاجر والتي توزعت ما بين دار هجرته العراق، ووطنه لبنان، ومحل سكناه بعلبك. وإنما نشير إلى خلاصة من أوجه حركته الاصلاحية:

أولاً: انتدب إلى مدينة العمارة من قبل زعيم الطائفة آنذاك السيّد أبو الحسن الاصفهاني، لمقاومة الحملة التبشيرية التي نمت هناك بمباركة الاستعمار البريطاني، فشرع في انشاء مستشفى ومطبعة واصدار مجلة سمّاها (الهدى) وتأسيس مدارس حملت اسم المجلة، وسمت مكانته واتسع نفوذه ليشمل مناطق شاسعة من جنوب العراق، حتى وجد المبشرون أنفسهم معزولين تماما، فاضطروا إلى الرحيل»[1].

يقول السيّد محمد حسين فضل الله في كلمة له في الاحتفال التكريمي للشيخ المهاجر العاملي: «وقد رأينا الشيخ حبيب آل إبراهيمؒ دخل ساحة الجدال الإسلامي المسيحي.. من موقع فكر؛ كان يدرس المسيحية من منابعها، لو قرأت كتبه الصغيرة التي ألفها لرأيت أنه لا ينطلق من مصادره الإسلامية في فهم المسيحية، ولكنه ينطلق من مصادر المسيحية الموثوقة في عرض نصوصها ليناقشها من خلال منابعها الأصلية.. وكان عقلانيا اسلاميا في مسألة الانفتاح على الحوار مع المسيحيين..»[2].

ثانيا: الاهتمام بالتعليم المنهجي:

---

(١) السبحاني، الطبقات: ١ / ١٤ ص ١٧٠.

(٢) فضل الله ـ محمد حسين، كلمة بعنوان: الشيخ حبيب آل إبراهيم الحركة المنفتحة على الواقع، ضمن كتاب المؤتمر التكريمي للشيخ حبيب المهاجر العاملي: ٢٣ ـ ٢٤.

فبعد أن عاد المترجم له إلى بلاده سنة (١٣٥١ هـ) واستقر في مدينة بعلبك تصدّى بها للافتاء والارشاد وبثّ الأحكام، واهتمّ اهتماما خاصا بالتعليم، فأنشأ في هذا المجال اثنتي عشرة مدرسة حملت جميعها اسم (الهدى) ووضع سلسلة من الكتب للناشئة تعرفهم بمبادئ الإسلام ونظمه وقيمه ومعارفه[١] وله في هذا المجال كتاب: (نهج التدريس الابتدائي)[٢].

ثالثا: النشاط الاجتماعي الواسع لاصلاح المجتمع وتوحيد كلمته واصلاح ذات بينه، فكان (رضوان اللّه عليه) يعيش مع الناس في واقعهم، بل كان يعيش في قلب الواقع فيتحسس آلام الناس، وآلام المحرومين والمستضعفين، ويسعى جاهدا للقيام بواجبه من داخل هذا الواقع وكأنه جزء من هذا الواقع «فكان الشخصية الحركية التي عاشت حركيتها في فكرها وفي كلمتها وفي أُسلوبها العملي وفي وعيها السياسي والاجتماعي، وكان الإنسان الذي يعيش عصره بكل حاجات عصره حسب ما يملك من طاقات وحسب ما يتمثل من أساليب»[٣].

ولم تقتصر حركة الشيخ الحبيب على منطقة بعلبك فقط، وإنما امتدت لتشمل اعماله من غرب سهل البقاع حتى حلب والساحل السوري، فامتد نشاطه إلى المناطق السورية في حماة واللاذقية وحمص.. وعمل على رفع المستوى الثقافي والعلمي لأهالي هذه المناطق المحرومة، فبنى لها المدارس وأسس لها الجمعيات، ووحد صفوفهم. رحمه اللّه برحمته وجزاه اللّه عن الإسلام وأهله أفضل الجزاء.

---

(١) السبحاني، طبقات الفقهاء: ١ / ١٤ ص ١٧٠.

(٢) الأميني، معجم رجال الفكر: ٢ / ٨٧٨.

(٣) فضل اللّه، مرجع سابق: ٢٨.

٨ ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين (ت ١٤٢١ هـ).

(آل شمس الدين) من أقدم بيوت العلم في جبل عامل حيث ينتهي نسبهم إلى الشهيد الثاني، وقد تخرج من هذه الأُسرة علماء كبار منهم الشيخ محمد مهدي بن الشيخ عبد الكريم شمس الدين من مواليد النجف الأشرف عام (١٣٥٤ هـ) حيث كان والده مقيما للدراسة الدينية في الحوزة العلمية النجفية.

تعلم القرآن الكريم في صباه، كما تعلم مبادئ النحو والصرف على والده، ومقدمات الأُصول والبلاغة والمنطق على بعض الفضلاء من مدرسي الحوزة العلمية ومنهم الشاعر عبد المنعم الفرطوسي.

أكمل دراسته العالية في الفقه والأُصول على يد كبار علماء النجف فدرس (كفاية الأُصول) على الشيخ محمد تقي الايرواني، و (اللمعة الدمشقية) على الشيخ محمد تقي الجواهري، وجانبا من تقريرات النائيني على الشيخ محمد تقي الفقيه، ورسائل الشيخ الأنصاري في الأُصول العملية على السيّد عبد الرؤوف فضل اللّه (والمكاسب) في الفقه على السيّد علي الفاني، ثمّ أتم دراسته على مستوى الخارج في الفقه على المرجع الأعلى في حينه السيّد محسن الحكيم، وفي الفقه والأُصول على المرجع السيّد أبو القاسم الخوئي.

وللشيخ شمس الدين تاريخ حافل بالعطاء الفكري والثقافي والحركي، فهو من أعلام الفكر الإسلامي، وله مرتبة سامية من بين المفكرين الإسلاميين، ويتمتع بثقافة موسوعية قلَّ نظيرها بين أبناء جيله، كما أنه من رواد العمل الإسلامي ومن أقطاب الحركة الإسلامية منذ ظهورها في الأوساط الحوزوية في خمسينيات القرن الماضي.

وفي حياة هذا العلم مرحلتان حافلتان في العطاء الفكري والاجتماعي والسياسي:

المرحلة الأُولى: هي المرحلة العراقية: وهي مرحلة خصبة، حافلة بالنشاط الفكري والاجتماعي والعمل الإسلامي الحركي.. امتدت لنحو ثلاث وثلاثين سنة وبصورة متواصلة، ومن أبرز نشاطاته في هذه المرحلة:

أولاً: تمثيل المرجعية العليا المتمثلة آنذاك بالسيّد محسن الحكيم، في منطقة الفرات الأوسط ما بين (١٩٦١ م) و (١٩٦٩ م) وكان مركز عمله في مدينة الديوانية.

ثانيا: ظهر نشاطه الفكري من خلال أهم كتبه ومؤلفاته التي أصدرها في هذه المرحلة حيث أصدر (نظام الحكم والإدارة في الإسلام) سنة (١٩٥٤ م) وكتاب (بين الجاهلية والإسلام) في نفس الفترة الزمنية، بالاضافة إلى كتابه دراسات في نهج البلاغة وغيرها.

٣ ـ شارك كعضو فاعل في حركة التأليف والنشر وساهم في تحرير مجلة (الاضواء) كما اشترك مع الشيخ محمد رضا المظفر والسيّد محمد تقي الحكيم في انشاء جمعية (منتدى النشر).

٤ ـ عمل كمحاضر ومدرس في كلية الفقه في النجف الأشرف، وسعى خلال ذلك مع زملائه المجددين في تنظيم الدراسة في الحوزة على أُسس ومناهج علمية تستجيب لمتطلبات العصر.

٥ ـ ساهم في العمل على تخريج خطباء المنبر الحسيني «مستوعبين للمتغيرات، واعين لظروف العصر، قادرين على مواجهته بالثقافة الرصينة العميقة، والعلم والموضوعية» وكتب من أجل ذلك سلسلة دراسات عن ثورة الحسين وظروفها وتأثيرها في الوجدان الشعبي...

٦ ـ أسس ـ ومن خلال وكالته عن المرجعية ـ في مدينة الديوانية (مكتبة عامة) بالاضافة إلى ما يزيد على عشرين مسجدا في نفس المدينة ومحيطها.

٧ ـ ساهم مساهمة فعالة ومؤثرة في تكوين ونشأة الحركة الإسلامية مع أُخوة له من الدعاة وأبناء الحركة الإسلامية المباركة، وكان للمترجم له دور فاعل في التربية والتنظير...

المرحلة الثانية: المرحلة اللبنانية:

عاد الشيخ شمس الدين إلى لبنان سنة (١٩٦٩ م) ليبدأ مرحلة جديدة من حركته الثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية، فكان في حركة مستمرة وعلى مختلف الأصعدة، ومن أبرز نشاطاته في هذه المرحلة:

١ ـ ترأس الجمعية الخيرية الثقافية التي كانت قد تأسست عام (١٩٦٦ م) على يد جماعة من الفضلاء والمؤمنين الناشطين في الحقل الخيري والثقافي العام.

٢ ـ شارك مع الإمام السيّد موسى الصدر في تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، الذي ترأسه السيّد موسى الصدر، ثمّ انتخب الشيخ شمس الدين نائبا له عام (١٩٧٥ م).

٣ ـ كان له حضور فاعل في الحياة الثقافية والفكرية من خلال محاضراته الأُسبوعية، ومقالاته في الصحف والمجلّات، بالاضافة إلى مؤلفاته التي صدرت في فترة السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، مثل كتاب (مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني) وكتاب (العلمانية) وكتاب (قضايا السلم والحرب..) وغيرها من الكتب.

٤ ـ ساهم مع الإمام موسى الصدر في التصدي للفتنة الأهلية وذلك في مطلع عهد الفتنة الدامية التي أدت إلى الحرب الأهلية التي عصفت بلبنان (١٩٧٥ م).

٥ ـ تولى مهمام رئاسة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بعد مؤامرة اخفاء الإمام موسى الصدر في ليبيا عام (١٩٧٨ م) وانتخب رئيسا للمجلس عام (١٩٩٤ م) وبقي

في منصب الرئاسة إلى حين وفاته عام (٢٠٠١ م).

٦ ـ انشأ في اطار الجمعية الخيرية الثقافية، المعهد الفني الإسلامي، في الضاحية الجنوبية لبيروت، (ومبرة السيدة زينب) للأيتام في بلدة جبشيت، و (معهد الشهيد الأول للدراسات الإسلامية) و (مدرسة الضحى) في بيروت و (مجمع الغدير التربوي) في البقاع.

٧ ـ اتمام ما بدأ به الإمام الصدر في سبيل الحصول على ترخيص فتح الجامعة الإسلامية في بيروت تحتوي على كليات مختلفة منها كليات اسلامية، ومنها فروع الفندقة الخدماتية، ومنها كلية التقنيات الطبية.

ومما لا شك فيه أن الإمام محمد مهدي شمس الدين عالم كبير ومفكر واسع المعرفة، وفقيه له آراؤه الفقهية ومؤلفاته في بعض الأبواب الفقهية، كما أنه رجل السياسة والاجتماع وفارس مضمار المنابر، بالاضافة إلى أنه رجل الحوار الإسلامي مع الأديان الأُخرى، خلف لنا تراثا فكريا وثقافيا واسعا، طبع بعضه لأكثر من مرة، كما وترجم بعضه الآخر إلى اللغات الحية الأُخرى.

توفي (رحمة اللّه عليه) في مساء يوم الأربعاء (١٠ كانون الثاني سنة ٢٠٠١ م) الموافق للخامس عشر من شوال عام (١٤٢١ هـ) وشيع تشييعا مهيبا في بيروت، ودفن في مثواه الأخير جنب مدخل حرم مسجد الإمام الصادق عليه السلام[1].

---

(١) اقتبسنا هذه المعلومات من السيّد محمد الغروي في كتابه مع علماء النجف الأشرف: ٢ / ٧٣٣ ـ ٧٣٥، وكتيب بعنوان: الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين، العالم المجاهد والفقيه المجدد، سيرة ومؤلفات، من اصدار مؤسسة الإمام شمس الدين للحوار ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٤ م.

٩ ـ السيّد محمد حسين فضل اللّه (ت ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠ م).

(آل فضل اللّه) من الأُسر العلمية الشهيرة في جبل عامل، وهم سادة أشراف هاشميون حسنيون يرجع نسبهم إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام، وينتسبون إلى السيّد الجليل فضل اللّه الحسني والظاهر أنهم لقبوا بـ (فضل اللّه) نسبة إليه، وهم في الأصل من أشراف مكة الحسنيين، هاجر بعضهم إلى جبل عامل واستوطنها، فهم حسنيون مكيون عامليون.

وقد اشتهر من هذه الأُسرة رجال عرفوا بالعلم والفضل والصلاح منهم السيّد: «محيي الدين فضل اللّه الحسني العاملي الذي كان من مشاهير العلماء في عصره.. توجه إلى العراق في عصر الشيخ الأنصاري، ونقل أن الشيخ الأنصاري كان يُرجع الناس إليه.. وأرسل له الشيخ مرتضى الأنصاري كتابا»[(١)] أورد السيّد الأمين جملاً منه نموذجا لما كان يكتب على لسان علماء العراق في ذلك العصر.

ومن أعلام هذه الأُسرة وأعيانها السيّد نجيب الدين فضل اللّه الذي يقول عنه الشيخ الطهراني: «عالم فاضل أديب شاعر،.. تتلمذ في النجف على العلّامة الحاج ميرزا حبيب اللّه الرشتي والمولى الخراساني والشيخ محمد طه، ولما كمل وبرع وصار مشارا إليه بالفضل، رجع إلى بلاده سنة (١٣١٥ هـ) وصار من أعلام علمائها.. وله ولد فاضل سعيد اسما ومعنىً مشتغل بالنجف» ثمّ يضيف الشيخ الطهراني: «ومن آل السيّد فضل اللّه جمع من العلماء.. حدثني بتواريخهم السيّد محمد حسين بن

---

(١) أنظر، السيّد حسن الصدر، تكملة أمل الآمل: ٣١٩ ـ ٣٢٠، والأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٠ / ١١٤.

السيّد عبد الرؤوف بن نجيب الدين»[1].

هذا وقد جمع الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني في كتابه القيّم: «معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام» جملة من تراجم أعلام (آل فضل اللّه) وتوقف طويلاً عند ترجمة السيّد محمد حسين فضل اللّه فقال في ترجمته: «محمد حسين بن السيّد عبد الرؤوف بن السيّد نجيب الدين ولد (١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م)؛ عالم فاضل مجتهد مفسر، أديب شاعر كاتب متتبع في الفقه والأُصول، مع مرونة فكرية في التحقيق، مؤلف مكثر وأديب موهوب له قابلية فذّة، واستعداد فائق، إذ إنه يملك ذكاءً مفرطا وحسا مرهفا، وعاطفة جياشة.

ولد في النجف الأشرف وقرأ على أبيه، فلقنه مقدمات العلوم من نحو وصرف ومعاني وبيان ومنطق وفقه وأُصول.

وعلى صغر سنّه أخذ يختلف على حلقات دروس المشايخ، وحضر على الشيخ حسين الحلي، والسيّد محمود الشاهرودي، والسيّد الحكيم، والسيّد الخوئي، والشيخ ملا صدرا البادكوبي.

ثمّ يضيف الدكتور الأميني: «وكان زميلي منذ الصغر، تربطني به أواصر الجوار والصداقة واختلاف الشيخ الأميني (الوالد المعظم) إلى أبيه.

غادر النجف بصحبة والده الحجة الفقيه في (١٣٨٥ هـ) وتوجه إلى لبنان، وأقام في بيروت، وبعد وفاة والده تصدى للإمامة والجماعة، والقضايا الشرعية والتدريس، ولم يزل على منهاجه الحوزوي العلمي من التدريس والبحث إلى جانب تشييد

---

(١) الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ٥ / ٤٩٩ ـ ٥٠٠، وأُنظر ترجمة السيّد محمد سعيد فضل اللّه في المرجع نفسه: ٢ / ٨٢٤.

مشاريع خيرية عامة للمساكين والمعوزين والفقراء، وحل المشاكل الاجتماعية والفردية والسياسية، والحفاظ على توحيد الصفوف ووحدة الكلمة...

أولاده: العالم الحقوقي السيّد علي، والمهندس السيّد أحمد، والسيّد إبراهيم، والسيّد نجيب، والسيّد جعفر، والسيّد عباس، والسيّد بلال.

مؤلفاته المطبوعة: من وحي القرآن (تفسير ١ ـ ٢٥)، الدين بين الأخلاق والقانون، الحوار في القرآن، خطوات على طريق الإسلام، الإسلام ومنطق القوة...»[١].

وتوقف الأديب والشاعر علي الخاقاني في موسوعته شعراء الغري وقفة مطولة عند شخصية السيّد محمد حسين فضل الله في بعدها الأدبي والشعري ومما قاله فيه: «.. شاهدته لأول مرة وهو يلقي قصيدة في جمعية التحرير الثقافي بمناسبة ذكرى الغدير، كنت أتصور اشراق صورته، واشراق ديباجته إلى جانب صغر سنّه إنسانا موهوبا وشخصا له قابلية واستعداد يذهبان به إلى مراحل طويلة في الحياة. وعندما أرى القيود التي حفت به والمثالية التي اتصف بها، والطريق الوعر الذي سار عليه، ارجع فأنعى على المحيط خسرانه لهؤلاء عندما يصدمون بواقع الحياة.. والشاب الشاعر هو أنبه من رأيت من أقرانه الشباب الذين لم يقطعوا العقد الثاني، كما تجلى لي انه أشعر من رأيت منهم أيضا، فقد جمع بين رقة لبنان، ولهجة العراق، وبين خيال الأرز وظل النخيل، وفهم الحياة فهما خاصا جعله لا يناوئ افراد مجتمعه وأن اختلفوا معه في الرأي، ولا يبتعد عن الجهلاء وإن احتقرهم في قرار نفسه..»[٢].

---

(١) الأميني ـ محمد هادي، معجم رجال الفكر: ٢ / ٩٤٠ ـ ٩٧٣، وله معجم المطبوعات النجفية: ٨٠، ٢٨٠.

(٢) الخاقاني ـ علي، شعراء الغري: ٨ / ٣٠٦ وما بعدها. أُفست مكتبة المرعشي النجفي ـ قم، ١٤٠٨هـ.

وتستوقفني العبارات الأخيرة للخاقاني فتحليله لشخصية السيّد فضل اللّهﷺ تحليل دقيق جدا إذ إن هذه الصفات بقيت متجلية في شخصية سماحة السيّد حتى أواخر أيام حياته وقد لمستها بنفسي ومن خلال معرفتي به ولقائي المتكرر معه، إذ كانﷺ منفتحا على الجميع؛ الذين يختلفون معه والذين يتفقون، وكان يقدر ويحترم ويسعى إلى اللقاء والإصغاء، وكان كما يصفه أحد منصفيه بعد وفاته:

«اختار ـ هو ـ أن يكون نخلة عربية يزينها الايمان الكبير والإسلام الواسع الرحب العظيم بالسعف والمذاق الرطب.. نخلة طويلة.. طويلة.. من لم يحسن ارتقاءها لذوق جناها، قصفها بحجارة الكلام فلم تأته منها إلّا ثمرات معطوبة وغير سائغة. أما الاصفياء وأهل المحبة، وان اختلفوا، فإنهم يهزونها كما هزتها العذراء فأسقطت رطبا جنيا..»[1].

ومهما يكن من أمر، فحياة السيّد محمد حسين فضل اللّهﷺ حياة حافلة بالعطاء وعلى مختلف الأصعدة، كما أنه ترك بصماته الواضحة على كثير من الأصعدة الفكرية والسياسية والاجتماعية والأدبية، بالاضافة إلى كونه فقيها ومرجعا وعالما واعيا ملأ الدنيا عطاءً وعملاً، وربى جيلاً من الفضلاء والمجاهدين والمؤمنين، وترك آثارا علمية وثقافية كثيرة فكان رجل الاصلاح ورجل المرحلة، وترك بوفاته فراغا كبيرا في مختلف الأصعدة التي كان يشغلها بجدارة.

ولهذا لا يمكن لنا أن نستوعب كل مسيرة العطاء والاصلاح التي قام بها سماحة السيّد فضل اللّهﷺ في هذا المختصر وإنما نشير إلى بعضها ضمن مرحلتين من مراحل حياة السيّد، هما: المرحلة النجفية، والمرحلة اللبنانية.

---

(١) فحص ـ هاني، مقيمون في الذاكرة: ١٢٩، طبعة دار المدى، الطبعة الأُولى، ٢٠١٢ م.

أما المرحلة النجفية: فهو قد ولد في النجف الأشرف وترعرع فيها، وأكمل تعليمه الديني على يد الأساطين من الأساتذة والعلماء والمراجع، وكان له حضور فاعل في الحياة العلمية والثقافية والفكرية والسياسية وذلك من خلال:

١ ـ المساهمة في الحياة الأدبية والفكرية والثقافية:

لقد أصدر مع بعض زملائه ومنهم السيّد مهدي الحكيم نجل المرحوم آية اللّه المرجع السيّد محسن الحكيم، مجلة خطية باسم «الأدب» وكان في حينها في سن العاشرة أو الحادية عشرة، كما أنه نظم الشعر وهو في هذه السن. وانتخب عضوا في المجمع الثقافي (لمنتدى النشر) وكان أحد المشرفين على مجلة جماعة العلماء (الاضواء) مع السيّد محمد باقر الصدر، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، وكان السيّد الصدر يكتب الافتتاحية بعنوان (رسالتنا) والسيّد فضل اللّه يكتب الافتتاحية الثانية بعنوان (كلمتنا) وقد جمعت هذه الافتتاحيات وطبعت في كتاب للسيّد يحمل اسم (قضايانا على ضوء الإسلام).

٢ ـ كان من أوائل المشاركين في ولادة الحركة الإسلامية الشيعية الملتزمة في العراق، إلى جانب السيّد محمد باقر الصدر، إذ كانا يلتقيان معا، ويخططان معا لولادة حركة اسلامية في الواقع الإسلامي الشيعي.

٢ ـ أصدر وهو في النجف كتابين من كتبه المهمة وهما: «قضايانا على ضوء الإسلام» و «أُسلوب الدعوة في القرآن».

* المرحلة اللبنانية من حياة السيّد محمد حسين فضل اللّه:

زار السّيد فضل اللّه موطن آبائه في لبنان لأول مرة صيف عام (١٩٥٢م) تعرف من خلالها على الواقع اللبناني من خلال اللقاء بمختلف الشخصيات الأدبية والشعرية

والسياسية، وصادف وصوله إلى بيروت مع اجواء وفاة السيّد محسن الأمين العاملي فشارك في ذكرى أربعينه بقصيدة في حفل التأبين ثمّ تتابعت زياراته إلى لبنان، حتى قدم مع والده سنة (١٩٥٥ م) إلى لبنان، ومكث مدة سنة ونصف فيها، ليعود بعدها إلى النجف الأشرف.

وفي سنة (١٩٦٦ م) تلقى دعوة عبر مجموعة من المؤمنين في (جمعية أُسرة التآخي) المقيمين في منطقة النبعة بضاحية بيروت الشرقية للاقامة عندهم، وكانت هنالك ظروف معقّدة فرضت عليه الهجرة من النجف، جعلته يلبي هذه الدعوة ويأتي إلى منطقة النبعة.. تاركا مدينة النجف الأشرف.

وينقل أن السيّد محمد باقر الصدر قال إثر سفر السيّد فضل اللّه من النجف: «كلُّ من خرج من النجف خسر النجف، إلّا السيّد فضل اللّه، فعندما خرج من النجف خسرته النجف»[1].

ومن ضاحية بيروت الشرقية، ومن منطقة النبعة، ومن خلال مركز «جمعية أُسرة التآخي» بدأ السيّد عمله ونشاطه وتحركه ضمن حدود منطقة برج حمود للتوسع بعد ذلك إلى المناطق الأُخرى، ومنها إلى الجنوب وقراها الكثيرة.

وفيما يلي بعض الاشارات المقتضبة لحركة سماحة السيّد في لبنان:

١ ـ القاء المحاضرات والندوات الثقافية ذات الطابع الاجتماعي والسياسي وبشكل مكثف في منطقة النبعة وفي مناطق الجنوب أُسبوعيا. حيث اجتذبت هذه الجلسات والندوات كثيرا من الجماهير.

---

(١) أبو زيد ـ أحمد، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة: ٢ / ٨٠، وأُنظر هامش رقم ٣ من الصفحة نفسها.

٢ ـ تأسيس المعهد الشرعي الإسلامي وهي حوزة علمية لتخريج علماء دين واعين، وقد تخرج من هذا المعهد نخبة من الشخصيات الفاعلة في المجتمع منهم الشهيد راغب حرب.

٣ ـ تأسيس مكتبة عامة، ومستوصف صحي، ونادي نسائي، وتوسيع دائرة النشاط التبليغي ليشمل مناطق أُخرى من بيروت، حيث يتواجد فيها المسلمون بغض النظر عن انتمائهم المذهبي. وكان شعاره آنذاك: «ليس هنالك سؤال تافه وسؤال محرج فالحقيقة بنت الحوار».

٥ ـ بقي صامدا مرابطا في منطقة (النبعة) بعد اندلاع الحرب الأهلية في منتصف ثمانينات القرن الماضي، ولم يخرج منها إلّا بعد أن تعرض لعارض صحي أجبره على الخروج.

٦ ـ وقف إلى جانب المقاومة الإسلامية الشعبية ومنذ انطلاقها ضد الاجتياح الاسرائيلي للبنان.. ووقف بحزم ضد اتفاق ١٧ أيار مع اسرائيل، واعتصم مع الناس المعتصمين في مسجد الإمام الرضا في بئر العبد.. وهو الموقف الإسلامي الوحيد والرائد الذي عبَّر بالكلمة والموقف والدم، عن رفضه للاحتلال الاسرائيلي.

٧ ـ تعرّض سماحته لأكثر من محاولة لاغتياله وتصفيته جسديا، ومن أخطرها وأكثرها دموية حادث انفجار بئر العبد عام (١٩٨٤ م) المعروفة.

٨ ـ وقف إلى جانب الجمهورية الإسلامية الإيرانية وقيادتها ايمانا منه إن هذه الدولة ولدت من موقع الفكر الإسلامي الحركي الذي يدفع بالإسلام ليحكم الواقع من خلال قاعدته الفكرية، ومن خلال خطه التشريعي ومنهجه الحركي.. ووجد في الإمام الخمينيرحمه‌الله القيادة الحكيمة التي ينبغي الانطلاق في خط قيادته لقيادة العالم الإسلامي، وبقيت هذه العلاقة على متانتها مع قادة الجمهورية الإسلامية وكان يعتقد

بقيادة خليفة الإمام الخميني السيّد علي الخامنئي بأنه الرجل المناسب في المكان المناسب[1].

٩ ـ قام بتأسيس مجموعة كبيرة من المشاريع الاجتماعية والتربوية والتعليمية والتي تعتبر الأُولى من نوعها في الأُمة الإسلامية في لبنان من ناحية التربية والتعليم والنظام والإدارة والحداثة والتطور العلمي[2].

ومن أبرز هذه المشاريع:

١ ـ تأسيس مبرات الأيتام:

بدأها بمبرة الإمام الخوئي عام (١٩٧٨ م) في منطقة الدوحة ثم توسعت لتضم مبرات أُخرى في مختلف المناطق اللبنانية «وقد ضمت هذه المبرات مئات اليتامى الذين لا عائل لهم، وكان يمكن أن يكونوا من مشردي الأزقة، ومن مجرمي البشر، فإذا بمبرته تضمهم جميعا.. فتقيهم شر الجوع والتشرد والجريمة، وتجعل منهم اعضاء عاملين في المجتمع، وتمهد الطريق أمام النابغين منهم، ليتفوقوا في ما وهبهم اللّه من مواهب، وهذا عمل انساني رفيع في انسانيته..»[3].

وقد كان السيّد فضل اللّه المؤسس والراعي لهذه المؤسسات يدرك ـ يقينا لا يشوبه شك ـ «إنه قد يرحل في لحظة ما، وقد يعني ذلك شحة أو جفاف موارد الدعم لهذه المؤسسات وفشلها، فاشتغل على أن يكون لها ريوع وموارد دائمة، وأبدع في ذلك

(١) اقتبسنا هذه الاشارات المختصرة من كتاب الصحفي علي حسن سرور وعنوانه: العلّامة فضل اللّه وتحدي الممنوع، طبعة دار الملاك ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.

(٢) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف الأشرف: ٢ / ٧١٩.

(٣) سرور ـ علي، العلّامة فضل اللّه: ٢٢٩، مقابلة مع السيّد حسن الأمين صاحب دائرة المعارف الشيعية.

ومضى مطمئنا إلى أن مؤسساته لن تلحق به إلى ضريحه ولو بعد حين، كما لحقت مؤسسات أُخرى مؤسسيها»[1].

والملفت للنظر في عمل مؤسسات السيّد الخيرية كالمبرات وغيرها أنها مشاريع خدمية تحتاج إلى تغطية مالية كبيرة ومستمرة، وكان سماحته يؤمِّن ذلك لهذه المؤسسات وبعزة نفس وإباء ومن دون أن ينحني لهذا الغني، أو يمدح ذلك التاجر طمعا في أموالهم كما يفعل بعض أصحاب المشاريع.

يقول سماحته في هذا المجال: «انني؛ عندما انطلقت في كلِّ مشاريعي، لم أُحاول أن أخاطب كل هؤلاء الأغنياء، من مغتربين أو غيرهم لأمدحهم بكلمة كما يمدحهم الآخرون، لأقدم لهم تنازلات، لأنني لم أكن احترم احساسهم بالقيمة الكبيرة للمال الذي يملكونه.. واعتقد انني قد نجحت في هذا الامتحان، لأنّ اللّه سبحانه وتعالى، قد هيأ لي الاجواء التي استطيع أن أقوم فيها بكل مشاريعي، من دون أن أنحني لأحد، ومن دون أن أعمل لأقدم أي حساب، من حسابات المدح والثناء لأحد»[2].

نعم نجح السيّد فضل اللّه‏ﷺ «.. والنجاح بذاته قيمة.. له ولنا، وللأيتام وسائر التلامذة الفقراء، وسائر الفقراء»[3].

٢ ـ انشاء مؤسسة الإمام الهاديعليه‌السلام للاعاقة السمعية والبصرية:

وهذه المؤسسة الخيرية والتي ترعى ذوي الحاجات الخاصة ممن فقدوا نعمة البصر أو السمع تضمُّ مدرستين مهمتين هما: مدرسة النور للمكفوفين، ومدرسة الرجاء للصم.

---

(١) فحص ـ هانى، مقيمون في الذاكرة: ١٠٩.

(٢) سرور، العلامة فضل اللّه: ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) فحص ـ مقيمون في الذاكرة: ١٢٤.

٣ ـ انشاء المدارس والمعاهد للتعليم الأكاديمي والتعليم المهني:

وهي مجموعة من المدارس والمعاهد والثانويات الأكاديمية والتي ترعاها مؤسسة المبرات، وتنتشر في مساحة جغرافية تشمل أغلب مناطق لبنان وتحمل أسماء الأئمةعليهم السلام.

٤ ـ انشاء المراكز الصحية والمستشفيات:

وقد مرَّ بنا انشاء المستوصف الخيري في منطقة النبعة، وقد أسس سماحته في ضاحية بيروت الجنوبية (حارة حريك) مركز بهمن الطبي الذي يعد من المراكز الطبية المهمة في كل لبنان، كذلك أسس مستشفى السيّدة فاطمة الزهراءعليها السلام في منطقة العباسية في جنوب لبنان.

٥ ـ تأسيس المراكز العبادية والثقافية:

وقد أسس سماحته مراكز كثيرة فيمختلف مناطق لبنان، ومن أهمها: المركز الإسلامي الكبير مسجد الإمامين الحسنين في حارة حريك. كذلك مركز أهل البيت في طرابلس وغيرها من المراكز والمساجد والحسينيات والمدارس التي كان يسهر على رعايتها[١].

وفي أحدث احصائية لجمعية المبرات الخيرية التي ترعاها مؤسسة السيّد محمد حسين فضل اللّهرحمه الله نجد أن هذه المؤسسة تضم (١٥) مدرسة أكاديمية و (٩) مبرات للأيتام، و (٣) مدارس لذوي الاعاقة و (٥) معاهد مهنية وفنية و (٤) مراكز صحية واستغاثية، و (٤٠) مركزا ثقافيا ودينيا، ومركز للتشخيص التربوي، ودار لرعاية

---

(١) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف: ٢ / ٧١٩ ـ ٧٢٠.

المسنين[1].

٦ ـ آثاره العلمية: خلف آثارا علمية كثيرة أشرنا إلى بعضها سابقا، وهي مطبوعة ومنشورة من قبل دور النشر في بيروت، ومن قبل (دار الملاك) التابعة لسماحته﷫.

وينبغي أن نشير إلى أن سماحته كان يتردد على مدينة دمشق وبشكل مستمر في نهاية كلِّ أُسبوعٍ ولمدة ناهزت العقدين من الزمن، وكانت له فيها مدرسة دينية، وطلّاب يحضرون دروسه الفقهية، كما كان له محفل ثقافي بعنوان «ندوة السبت» والتي نتج عنها موسوعة ثقافية في (٢٠) مجلدا بعنوان: كتاب الندوة، بتحرير الأُستاذ أحمد القاضي، وكان يدير هذه الندوة تلميذه ومدير مكتبه في دمشق فضيلة السيّد محمد طاهر ملحم الحسيني.

وكان لسماحته رعاية أبوية لمشاريع ثقافية واجتماعية وتبليغية في مختلف المناطق السورية، وخاصة مدن الساحل السوري حيث موطن الشيعة العلويين.

وفي ختام حديثنا عن السيّد محمد حسين فضل اللّه أود أن استعير كلمات زميلنا السيّد هاني فحص الذي أنصف السيّد فضل اللّه بعد وفاته بمقالات جاء فيها: «السيّد محمد حسين فضل العالم الفقيه، المرجع الأُستاذ الإمام، امامِ الفقراء تأسيسا في النبعة، الخطيب، الواعظ، المحاضر، الكاتب، الباحث، الشاعر، الجميل، مربي جيش هائل من الأيتام في مؤسسات مفتوحة أبوابها، وجاهزة مقاعد الدراسة فيها في وجه المزيد من الأيتام والفقراء...

تحية له.. صابرا على المرض منذ عقود، وصابرا على الأذى منذ عقود.. كأنه تمرن في الصبر على المرض الجسدي ليتأهل للصبر على القهر الروحي.. هنا يحلو لنا أن

(١) مجلة بينات، عدد خاص برقم ٣٩٥ ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م.

نقلد السيّد محمد حسين فضل اللّه في اجتهاده في الصبر على الاعداء والأصدقاء معا.

رحمه اللّه الرحمان الرحيم، كفاء رحمته التي ترجمها مياتم تعيد اليتم إلى مفهومه الصحيح (الفرادة) وهنا كانت فرادته.

لقد اختار ﵀ أن يكون نخلة.. كلما ارتفعت نحو السماء اتسع ظلها على الأرض ونعم الأحبة بضينها.. ظلاً وارفا هو ظل الروح وإن غاب الجسد.. وغلالاً وعطاءً متجددا من الحبر الذي لا يجف وان جف الدم في الجسد وانهمر دمعا مالحا على وجنات الأحبة.. «دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً».

إلى ظل اللّه هانئا مضى.. وهنيئا له هناك ما يُطعم جزاءً على ما أَطعم[1].

توفي ﵀ في (٢٢ / رجب / ١٤٣١ هـ) ودفن في مثواه الأخير في مسجد الحسنين بعد أن شيّع في بيروت تشييعا كبيرا.

---

(١) فحص ـ هاني، مقيمون في الذاكرة: ١٢٨ ـ ١٢٩ بتصرف.

الخاتمة: تلخيص لأهم أدوار مدرسة جبل عامل العلمية

قسم السيّد حسن الصدر الأدوار العلمية لحوزة جبل عامل إلى أدوار ثلاثة تنتهي بالسنة التي أنهى بها كتابه المجلد الأول من كتابه (تكملة أمل الآمل) وذلك سنة (١٣٣٥ هـ)[1]، ويمكن اعتماد تقسيم السيّد الصدر لأدوار مدرسة جبل عامل باضافة دور رابع يتناول المرحلة اللاحقة لعصر السيّد الصدر.

قال السيّد الصدر وهو يتحدث عن علماء جبل عامل:

«وأما حالتهم العلمية؛ فإنها تنقسم إلى أدوار ثلاثة:

الدور الأول: من أول زمنهم إلى القرن الحادي عشر.

الدور الثاني: من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر.

الدور الثالث: من القرن الثالث عشر إلى هذا الأوان.

١ ـ الدور الأول:

فقد كانت حركة المعارف ترتقي فيه شيئا فشيئا حتى بلغت في أواسطه وأواخره مبلغا حسنا، وقد كانت مدارس العلم حافلة بطلّابها في النصف الآخر من هذا الدور، سواء في بلاد بشارة (جبل عامل) حيث مدارس ميس وعيناثا وغيرها، تزدحم فيها طلّاب العلوم، وفي بعلبك حيث مدارس الكرك، وبعلبك تزدهي بعمرانها ومشايخ العلماء وجهابذتهم جالسون في منصات دروسهم ينشرون فوائدهم وفرائدهم مما جعل لبلاد عاملة شهرة طائرة بحيث جعل اسمها يقرن بالاجلال والاعظام في كل

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٤٦٠ ـ ٤٦٥.

أقطار الشيعة...

وممن اشتهر منهم في هذا الدور، وعد من الطراز الأول؛ الشهيد الأول ﷺ، وممن نبغ الشهيد الثاني، والمحقق الكركي علي بن عبد العالي، والشيخ الحر محمد ابن الحسن، والشيخ البهائي، والشيخ علي بن يونس النباطي صاحب كتاب «الصراط المستقيم».

ولم يكن في ذلك الدور العلم مقصورا على الرجال، بل كان فيه للنساء سهم، واشتهرت بالفضل والعلم ورواية الحديث أُم الحسن فاطمة بنت الشهيد محمد بن مكي.

٢ ـ الدور الثاني:

افتتح القرن الثاني عشر بالحروب والفتن.. وقل الاشتغال حينئذٍ بتحصيل العلم، وانصرف هم القوم إلى لمِّ شعثهم وحفظ كيانهم بين مجاوريهم في تلك الفوضى السائدة، وقل فيهم عديد أهل الفضل ولكنه لم ينقطع، بل لم تخل البلاد من العلماء الزهاد كالسيّد حسين نور الدين، والسيّد حيدر نور الدين في النبطية، ومن العلماء المؤلفين كالشيخ محمد مهدي الفتوني العاملي،.. ومثل الشيخ علي خاتون الذي هاجر في طلب العلم مدة ثمّ رجع إلى بلاده طبيبا متفننا أديبا، ولكنه بلي بفتنه الجزار فصودر ماله، وضبطت أملاكه، وحبس مرتين.. ثمّ أخذت المكتبة الكبرى التي كانت لآل خاتون والشيخ المذكور ولي أمرها، وكانت تحوي خمسة آلاف مجلد من الكتب الخطية النادرة، فأمست في عكا طعما للنار.

ومثل الشيخ أبي الحسن بن السيّد حيدر الأمين، صاحب المدرسة المشهورة في قرية شقراء التي حوت من الطلّاب فوق الثلاثمائة فيهم الفضلاء الأجلاء، كالسيّد

جواد العاملي مؤلف مفتاح الكرامة، والشيخ إبراهيم يحيى، ومثل الشيخ حسن سليمان الزاهد العالم، والشيخ محمد الحر الفقيه المحقق.. وأمثال هؤلاء في هذا الدور كثيرون، لكن ظلم الجزار بلغ مبلغا عظيما في الضغط على العلماء والكبراء حيث تعقبهم قتلاً وسجنا وتعذيبا ومصادرة، وتشتت من بقي منهم في الأقطار، واستصفى الجزار آثارهم العلمية، فكان لأفران عكا من كتب جبل عامل ما اشعلها بالوقود أُسبوعا كاملاً، وكانت هي الضربة الكبرى على العلم وأهله.. حتى أجاب الجزار داعي ربه، فاستفاق الناس من ذلهم ورجعت حركة العلم إلى عهدها وفتحت المدرسة الكوثرية بإدارة العالم المحقق الشيخ حسن قبيسي، فكانت مصدر فائدة ومعرفة على البلاد.. وقد تخرج من هذه المدرسة جماعة كانوا المرجع في الفتوى في جبل عامل مثل المرحوم السيّد علي إبراهيم الذي كان له في الفقه الباع الأطول، ومثل المرحوم الشيخ عبد اللّه نعمة الذي هاجر ثم رجع إلى جبع وافتتح مدرسته الشهيرة وكانت مجمعا للعلماء مدة أربعين سنة حتى توفي.

ولم يأفل نجم مدرسة جباع حتى أضاء مصباح مدرسة حناوية في ضواحي صور تحت إدارة العلّامة المتقن المرحوم الشيخ محمد علي عز الدين، وهذه المدرسة كانت مجمعا لفضلاء الطلّاب ودائرة لفنون مختلفة.. وغدا يديرها السيّد الأجل العلّامة السيّد نجيب الدين فضل اللّه، والعالم الفهامة الشيخ إبراهيم عز الدين.

٣ ـ الدور الثالث:

دخل (الدور الثالث) ومدرسة بنت جبيل التي عمرها بالافادة والاستفادة رئيسها العلّامة الشيخ موسى شرارة حافلة بطلابها وفضلائها، وقد أفل نجم مدرسة حنوية بوفاة رئيسها الشيخ محمد علي عز الدين، فانظم طلابها إلى مدرسة بنت جبيل، فكانوا

فيها كسواد الناظر في وجه الصبيح.

وكان الجد والاجتهاد فيها على أتمه حتى إذا دخلت سنة (١٣٠٤ هـ) اختطفت المنون رئيسها ومؤسسها فماتت بموته.

وكانت مدرسة أنصار في ذلك الزمن زاهرة برئاسة السيّد حسين إبراهيم، ولكنها أشبهت زهرة طيبة مخضلة المجنى والمنبت، لفحها حر القيظ فعادت هشيما، ولم يمض عليها ثلاث سنوات حتى أصبحت أثرا بعد عين.

وكذلك كانت المدارس بعد ذلك تزهر ثمّ تذوي ولا يطول أمدها، حتى ضعفت الهمة، وقلّت الرغبة وانصرف الناس عن طلب العلم بعد أن ضربت الكوارث مخيمها في بلاد جبل عامل وحلت بهم النكباء..»[1].

هذه هي ملخص الأدوار الثلاثة التي ذكرها السيّد حسن الصدر في المجلد الأول من كتابه (تكملة أمل الآمل) والذي فرغ من تدوينه في شهر صفر سنة (١٣٣٥ هـ). حيث عكس لنا صورة لحالة الأُفول والاضمحلال لحوزة جبل عامل عند نهاية دورها الثالث، أو عند التاريخ الذي انتهى فيه من تدوين كتابه.

وللسيّد محسن الأمين العاملي في خططه تقسيم ثلاثي أيضا لمراحل حوزة جبل عامل، ينتهي في آخرها إلى نفس النتيجة التي انتهى إليها السيّد حسن الصدر في نهاية التكملة، فيقول السيّد الأمين: «أُنشئت في جبل عامل من عهده القديم عدّة مدارس.. ثم أُنشئت فيها بعد القرن العاشر، عدة مدارس استمرت إلى ما قبل هذا العصر..».

ثمّ يضيف السيّد الأمين: «وأما اليوم، فلم يبقَ في جبل عامل من أدناه إلى أقصاه ما يقال له مدرسة دينية، ولم يبقَ فيه طالب واحد من طلّاب العلوم الدينية، ومن يريد

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٤٦٠ ـ ٤٦٥ بتلخيص وتصرف.

طلب العلم الديني من أهله، عليه أن يذهب إلى النجف بالعراق.. ولا ندري بعد هذا ما تأتي به حوادث الأيام، واللّه وحده هو المطلع على مغيبات الأُمور»[1].

وتاريخ كتاب خطط جبل عامل مقارب لتاريخ كتاب التكملة، حيث ينتهي كلا السيدين إلى نفس النتيجة؛ وهي أن نهاية المرحلة الثالثة هي نهاية وجود المدارس والحوزات العلمية في جبل عامل، ومن أراد طلب العلم فعليه أن يهاجر إلى حاضرة العلم النجف الأشرف.

٤ ـ الدور الرابع:

إلّا أن كلا العلمين (رحمهما اللّه برحمته الواسعة) لم يعاصرا المرحلة الرابعة من مراحل حوزة جبل عامل وهي المرحلة التي سبقت ظهور الجمهورية الإسلامية في إيران وبعد ظهورها؛ حيث ظهرت نهضة علمية واسعة، وتأسست المدارس والمعاهد والحوزات العلمية الكثيرة، ولم تقتصر هذه المدارس والمعاهد على الرجال فقط، بل كان للنساء الراغبات في الدراسات الدينية الحوزوية مدارسهنَّ أيضا، كذلك تعددت وجهة الطلّاب المهاجرين لطلب العلم لتشمل بالاضافة إلى النجف الأشرف مدينة (قم)، بل إنَّ هذه المدينة أصبحت هي الحوزة الرئيسية للتشيع بعد أن انحصر دور حوزة النجف الأشرف نتيجة ما تعرضت له من نكبات من النظام البعثي الصدامي من سبعينات القرن الماضي وإلى حين سقوطه عام (٢٠٠٣ م).

وقد تحدثنا في هذا المجلد عن المرحلة الرابعة وحوزاتها ومدارسها المعاصرة بشيءٍ من التفصيل والتوسع.

وهكذا ينتهي حديثنا عن (حوزة جبل عامل) العريقة في تاريخها، والغنية في

---

(١) الأمين ـ محسن، خطط جبل عامل: ١٦١، ١٦٤.

عطائها، والزاهرة بعلمائها وفضلائها وأُدبائها، مرددين مع السيّد محسن الأمين أبياته الشهيرة:

يـا أهـل عامـل إنّ اللّـه ميـزكم ... علـى الكثيـرين اخلاصـا وايمانـا
وفطنـة واعتـدالا فـي سـلائقكم ... ففقـتم النـاس افهامـا واذهانـا
احيـوا مـآثر آبـاءٍ لكـم سـلفوا ... مجاهـدين لهـا سـرا واعلانـا
أسـلافكم نشـروا للعلـم ألويـةً ... جازت إلى الهند مع أقصى خراسانا
والفـوا فيـه أسـفارا قـد انتفعـت ... بهـا الـورى وعلـت مـا بينهم شـانا
كانت بهم (مشغرى) تزهو وجارتهـا ... (جزين) مع (جبع) مـن أرض لبنانـا
كذاك (ميس) و (عيناثـا) وبعـدهما ... (شقراء) قد فاض فيهـا العلـم أزمانـا
وفـي (جويـا) و (حـانين) ومثلهمـا ... (كونين) حتـى (بنـي حيـان) أحيانـا
أمـا (النباطيـة) الفوقـا فكـم زهـرت ... بـه وأدرك فيهـا العلـم ريعانـا
وقلمـا بلـد فـي أرض عـاملكم ... لـم يثمـر العلـم فـي أكنافهـا آنـا
حتـى المنـارة وهـي اليـوم خاويـة ... قد انبتت من فحول العلـم طومانـا[1]

---

(١) الأمين ـ محسن، المعادن والجواهر: ٣ / ٤٥١ ـ ٤٥٢.

مصادر ومراجع الكتاب

القرآن الكريم، كتاب الله تبارك وتعالى.

نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ترتيب وفهرست د. صبحي الصالح، طبعة دار الهجرة ـ قم، الطبعة (بلا ـ ت).

(حرف الألف)

الاصفي ـ محمد مهدي

١ ـ مقدمة كتاب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيدين العامليين، طبعة بيروت، (بلا ـ ت).

آل صفا ـ محمد جابر

٢ ـ تاريخ جبل عامل، طبعة دار النهار ـ بيروت، البعة الرابعة، ٢٠٠٤ م.

آل قاسم ـ عدنان فرحان (الدكتور)

٣ ـ تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، طبعة دار السلام ـ بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م).

ابن الأثير ـ مجد الدين أبو السعادات، المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ)

٤ ـ جامع الأُصول في أحاديث الرَّسول، تحقيق: أبو عبد الله عبد السلام، ومحمد عمرو علوش، الطبعة دار الفكر ـ بيروت، (١٤١٧ ـ ١٩٩٧ م).

ابن جبير ـ محمد بن أحمد الأندلسي (ت ٦١٤ هـ)

٥ ـ رحلة بن جبير، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت، (بلا ـ ت).

ابن كثير ـ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)

٦ ـ البداية والنهاية، طبعة مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت، (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م).

أبو زيد ـ أحمد

٧ ـ محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة، طبعة دار العارف ـ بيروت.

أفندي ـ الميرزا عبد اللّه أفندي الإصفهاني (من أعلام القرن الثاني عشر)

٨ ـ رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: أحمد الحسيني، طبعة مكتبة المرعشي ـ قم، ١٤٠٣ هـ.

الاصطخري

٩ ـ المسالك والممالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال، طبعة القاهرة، ١٩٦١ م.

أمين ـ أحمد الدكتور (ت ١٣٧٣ هـ)

١٠ ـ زعماء الاصلاح في العصر الحديث، طبعة مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩ م.

الأمين ـ حسن (الدكتور)

١١ ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، طبعة دار التعارف ـ بيروت، الطبعة السادسة، (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م).

الأمين ـ محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين الحسيني العاملي الدمشقي (ت ١٣٧١ هـ)

١٢ ـ أعيان الشيعة، حققه: السيّد حسن الأمين، طبعة دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م) في خمسة عشر مجلدا والطبعة الرابعة في عشرة مجلدات.

١٣ ـ خطط جبل عامل، حققه وأخرجه: حسن الأمين، طبعة دار المحجة البيضاء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م).

١٤ ـ معادن الجواهر ونزهة الخواطر، طبعة دار الزهراء ـ بيروت، (١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م).

الأميني ـ إبراهيم

١٥ ـ خاطرات العلّامة الأميني (بالفارسية)، طبعة مركز اسناد انقلاب اسلامي، الطبعة الأُولى، ١٣٩٢ ش.

الأميني ـ محمد هادي

١٦ ـ معجم رجال الفكر والأدب في النجف، الطبعة الثانية، (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م).

١٧ ـ معجم المطبوعات النجفية، طبعة مكتبة الآداب النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، (١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م).

(حرف الباء)

البحراني ـ يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني (ت ١١٨٦ هـ)

١٨ ـ الكشكول، تحقيق: محمد حسين الأعظمي، طبعة النجف الأشرف، ١٩٦١ م.

١٩ ـ لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، طبعة أُفست مؤسسة آل البيت، (بلا ـ ت).

(حرف التاء)

التفرشي ـ مصطفى بن الحسين الحسيني (من أعلام القرن الحادي عشر الهجري)

٢٠ ـ نقد الرجال، تحقيق وطباعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٨ هـ.

(حرف الجيم)

الجلالي ـ محمد رضا الحسيني

٢١ ـ تدوين السنة الشريفة، طبعة مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٣ هـ.

(حرف الحاء)

الحسيني ـ محمد طاهر

٢٢ ـ الفقه في جنوب لبنان، طبعة دار المحجة البيضاء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م).

الحكيم ـ منذر

٢٣ ـ حياة الإمام شرف الدين، ضمن موسوعة الإمام شرف الدين (المدخل)، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م).

الحموي ـ شهاب الدين أبي عبد اللّه ياقوت (ت ٦٢٦ هـ)

٢٤ ـ معجم البلدان، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، (بلا ـ ت).

(حرف الخاء)

الخاقاني ـ علي

٢٥ ـ موسوعة شعراء الغري، أُفست مكتبة المرعشي ـ قم، ١٤٠٨ هـ

الخطيب عجاج

٢٦ ـ تدوين السنة قبل التدوين، طبعة القاهرة، (١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م).

الخوانساري ـ محمد باقر (١٣١٣ هـ)

٢٧ ـ روضات الجنات في تراجم العلماء والسادات، طبعة مكتبة اسماعيليان ـ قم، ١٣٩٠ هـ

(حرف السين)

السبحاني ـ جعفر

٢٨ ـ موسوعة طبقات الفقهاء، طبعة دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م).

سرور ـ علي حسن

٢٩ ـ العلّامة فضل اللّه وتحدي الممنوع، طبعة دار الملاك ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م).

(حرف الشين)

شرف الدين ـ عبد الحسين (ت ١٣٧٧ هـ)

٣٠ ـ بغية الراغبين في نسب آل شرف الدين، مطبوع ضمن موسوعة السيّد شرف الدين، المجلد السابع والثامن، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م).

شعيتو ـ محمد

٣١ ـ مقال بعنوان: (السيّد موسى الصدر)، ملحقات بغية الراغبين ضمن موسوعة السيّد عبد الحسين شرف الدين، المجلد الثامن، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، (١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م).

الشهرستاني ـ هبة الدين (ت ١٣٨٦ هـ)

٣٢ ـ نهضة الحسين، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت، (بلا ـ ت).

الشيبي ـ كامل مصطفى (الدكتور)

٣٣ ـ الصلة بين التصوف والتشيع، طبعة دار الأندلس ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢ م.

(حرف الصاد)

الصالحي ـ عبد الحسين

٣٤ ـ الحوزات العلمية في الأقطار الإسلامية، طبعة بيت العلم ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م).

الصدر ـ حسن (ت ١٣٥٤ هـ)

٣٥ ـ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، طبعة انتشارات اعلمي ـ طهران، (بلا ـ ت).

٣٦ ـ تكملة أمل الآمل، تحقيق: حسين علي محفوظ وآخرون، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، (١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م).

الصدر ـ محمد باقر (ت ١٤٠١ هـ)

٣٧ ـ محاضرات حول المحنة، نشرت ضمن كتاب (ومضات) والذي يتضمن مجموعة مقالات ومحاضرات ووثائق للسيّد الشهيد الصدر، إعداد المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨ هـ.

٣٨ ـ المعالم الجديدة للأُصول، طبعة المجمع العالمي للإمام الشهيد الصدر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩ هـ.

(حرف الطاء)

الطبري ـ أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (من علماء الإمامية في القرن الرابع)

٣٩ ـ التفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ (تفسير الطبري)، ضبط وتعليق: محمود شاكر، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م).

طلس ـ أسعد

٤٠ ـ مصر والشام، طبعة دار المعارف بمصر، ١٩٤٥ م.

الطوسي ـ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)

٤١ ـ فهرست كتب الشيعة وأُصولهم، تحقيق وتقديم: عبد العزيز الطباطبائي، طبعة مؤسسة آل البيت ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠ هـ

٤٢ ـ الرجال، تحقيق: جواد القيومي، طبعة جامعة المدرسين ـ قم، ١٤٢٠ هـ

الطهراني آقا بزرك ـ محسن، (ت ١٣٨٩ هـ)

٤٣ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م).

٤٤ ـ طبقات أعلام الشيعة، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م).

(حرف العين)

العاملي ـ بهاء الدين محمد بن الحسين (ت ١٠٣٠ هـ)

٤٥ ـ جامع عباسي، (دورة فقهية بالفارسية)، طبعة مؤسسة انتشارات فرهاني ـ طهران، (بلا ـ ت).

العاملي ـ محمد بن الحسن بن علي الشهير بـ (الحر العاملي) (ت ١١٠٤ هـ)

٤٦ ـ أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل، تحقيق: أحمد الحسيني، طبعة مكتب الأندلس ـ بغداد، (بلا ـ ت).

العاملي ـ محمد جواد الحسيني العاملي (ت حدود ١٢٢٦ هـ)

٤٧ ـ مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلّامة، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، (بلا ـ ت).

العودي ـ محمد بن علي بن حسن العودي الجزيني

٤٨ ـ رسالة بغية المريد في الكشف عن أحوال الشيخ زين الدين الشهيد، يوجد قسم منها في كتاب حفيد الشهيد الأول (الشيخ علي بن محمد بن الحسن)، الدر المنثور من المأثور وغير المأثور، طبعة قم، ١٣٩٨ هـ بتحقيق أحمد الحسيني الاشكوري، والطبعة الجديدة بتحقيق: منصور الإبراهيمي، طبعة المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلامية، (١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م).

(حرف الغين)

الغروي ـ محمد

٤٩ ـ مع علماء النجف الأشرف، طبعة دار العارف ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٨ م).

(حرف الفاء)

فحص ـ هاني

٥٠ ـ مقيمون في الذاكرة، طبعة دار المدى ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠١٢ هـ.

الفضلي ـ عبد الهادي

٥١ ـ تاريخ التشريع الإسلامي، طبعة مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى، (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

الفقيه ـ محمد تقي

٥٢ ـ جبل عامل في التاريخ، طبعة دار الاضواء ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م).

(حرف القاف)

القزويني ـ جودت (الدكتور)

٥٣ ـ تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية من العصر البويهي إلى نهاية العصر الصفوي، طبعة دار الرافدين ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦ هـ.

٥٤ ـ المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية، طبعة دار الرافدين ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦ هـ.

القمي ـ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (١٣٥٩ هـ)

٥٥ ـ الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، المطبعة المركزية ـ طهران، ١٣٢٧ ش.

٥٦ ـ الكنى والألقاب، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ.

(حرف الكاف)

الكاظمي ـ فيصل (الدكتور)

٥٧ ـ الحوزات الشيعية المعاصرة بين مدرستي النجف وقم، طبعة دار المحجة البيضاء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م).

(حرف الميم)

المجلسي ـ محمد باقر (ت ١١١١ هـ)

٥٨ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق ومراجعة وتقديم الشيخ محمود درياب ومجموعة من العلماء، طبعة دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأُولى، (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م).

مُروّة ـ علي

٥٩ ـ تاريخ جباع، طبعة دار الانتشار العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١١ م.

٦٠ ـ التشيع بين جبل عامل وإيران، طبعة رياض الريس للكتب والنشر ـ لندن، بريطانيا، (بلا ـ ت).

المسعودي ـ أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ)

٦١ ـ إثبات الوصية، منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم، (بلا ـ ت).

٦٢ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة دار الأندلس ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م).

مطهري ـ مرتضى

٦٣ ـ الإسلام وإيران، ترجمة: محمد هادي اليوسفي، طبعة دار الحق ـ بيروت، (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

مغنية ـ محمد جواد

٦٤ ـ تجارب محمد جواد مغنية بقلمه، تحقيق: رياض الدباغ، طبعة أنوار الهدى ـ قم، ١٤٢٧ هـ

مطهري ـ مرتضى

٦٥ ـ الإسلام وإيران، ترجمة: محمد هادي اليوسفي، طبعة دار الحق ـ بيروت، (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

مغنية ـ محمد جواد

٦٦ ـ تجارب محمد جواد مغنية بقلمه، تحقيق: رياض الدباغ، طبعة أنوار الهدى ـ قم، ١٤٢٧ هـ

مكي ـ محمد كاظم

٦٧ ـ منطلق الحياة الثقافية في جبل عامل، طبعة دار الزهراء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م).

٦٨ ـ الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، طبعة دار الأندلس ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٦٣ م.

المهاجر ـ جعفر

٦٩ ـ رجال الأشعريون من المحدّثين وأصحاب الأئمة، طبعة مركز العلوم والثقافة الإسلامية ـ قم، (١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م).

ميرفان ـ صابرينا

٧٠ ـ حركة الاصلاح الشيعي، ترجمة: هيثم الأمين، طبعة دار النهار ـ بيروت، ٢٠٠٣ م.

(حرف النون)

ناصر خسرو أبو معين حميد الدين ناصر بن خسرو قبادياني مرزوي (ت ٤٨١ هـ)

٧١ ـ سفرنامه ناصر خسرو، رحلة ناصر خسرو، ترجمة: د. يحيى الخشاب، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ١٩٤٥ م، وطبعة دار الكتاب الجديد، الطبعة الثانية، ١٩٧٠ م، والنسخة الأصلية الفارسية، تحقيق: د. محمد دبيرسياقي، طبعة طهران، (بلا ـ ت).

نصر الله ـ إبراهيم

٧٢ ـ حلب والتشيع، طبعة مؤسسة الوفاء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م).

النوري ـ ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، الشهير بالمحدث النوري (ت ١٣٢٠ هـ ـ ١٩٠٢ م)

٧٣ ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الخاتمة، طبعة وتحقيق: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧ هـ

(حرف الهاء)

هاشم عثمان

٧٤ ـ تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام، طبعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م).

(حرف الواو)

الوردي ـ علي (الدكتور)

٧٥ ـ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، طبعة أُفست المكتبة الحيدرية.

الفهرست